

التلويح والمؤرخون العرب

تأليف

الدكتور السيد عبد العزيز سالم

أستاذ التاريخ الإسلامى والمضيق الإسلامى
كلية الآداب، جامعة الإسكندرية

الناشر

مؤسسة شباب الجامعة

ت: ٤٨٢٩٤٧٢ / أ: ٤٨٢٩٤٧٣ / ف: ٤٨٢٩٤٧٤



Bibliotheca Alexandrina



0020393

البلايح والمورخون العرب

تأليف
الدكتور السيد عبد العزيز سالم
أستاذ التاريخ الإسلامى والفتاوى الإسلامية
كلية الآداب جامعة الإسكندرية

الناشر
مؤسسة ثواب الجماعة
للطباعة والنشر والتوزيع
ت ١٨٢٩١٧٢ الإسكندرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

خص العرب علم التاريخ بجانب كبير من اهتمامهم ، لميلهم إلى معرفة مصائر الأمم الماضية ، وحوادث الأزمان السابقة ، ولاهتمامهم بالأنساب ، فرووا أخباره ، وجمعوا ما استطاعوا جمعه من الروايات ، وألفوا فيه ، ولم يتركوا جانباً من جوانب النشاط الإنساني القديم والمعاصر لهم إلا سجلوا تاريخه ، ولذلك حفلت مصنفاتهم بجوانب متعددة من أحوالهم المعاصرة ، فلم تخل كتبهم من معلومات جغرافية واجتماعية واقتصادية مما يمكن أن يؤلف تاريخاً للحضارة العربية في العصور الإسلامية المختلفة ، ولذلك أيضاً كان كثير من رواد علم التاريخ رواداً لعلم الجغرافية في نفس الوقت ، وكان التاريخ والجغرافية في نظر العرب فرعين متلازمين من شجرة المعارف العامة التي كانوا يسمونها بالآداب ، بوجه عام ، فكما كان من الضروري للعربي أن يعرف لغته ، ثراها ونظمها وشعرها وما كتبها ، فكذلك كان لابد أن يعرف أنساب العرب وأخبارهم وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبار الفتوح الإسلامية وتواريخ الخلفاء والدول وكان لزاماً عليه — إكمالاً لثقافته — أن يعرف بلاد الإسلام ومدائنها والطرق إليها مع ما تيسر من أحوال أهلها وصفاتهم وعاداتهم ، ومن هنا فانه من العسير أن تفصل بين المؤرخ والجغرافي والأديب في تاريخ الفكر الإسلامي (١) .

وعلى هذا النحو فإن معظم المصنفات التاريخية والجغرافية والأدبية موسوعات عربية في التاريخ والآداب والعلوم الإسلامية بوجه عام ، وتعتبر ذخيرة طيبة

(١) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون في الأندلس ، من البداية إلى الحاضر ،

مصحفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلدان السابع والثامن ، مدريد ١٩٥٩

للباحث في علم التاريخ عند العرب ، ومنها يستطيع أن يستخلص ما يرغب في استخلاصه من مادة عليية في المجال الذي ينوى البحث فيه . ولا يخفى أهمية هذه الموسوعات الجامعة بالنسبة لدراسة الحضارة الإسلامية ، إذ تعين على توضيح مجريات الأحداث ، وتفهمها تفهما واعيا ، والوقوف على عوامل الضعف والقوة في العموم ، والتيارات المختلفة التي تؤثر في حياتها ، فإن كثيرا من الحركات السياسية والاجتماعية يستعصى على دارسى التاريخ فهمها ما لم تكن مصحوبة بدراسة العوامل الاقتصادية التي أثرت فيها وتأثرت هي بها ، فالمجرات السامية من قارب شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الشام والعراق في العصور القديمة ، وغزو المكسوس لمصر أمور يفلق فهمها على للتورخ مالم يقرنها بالعوامل الاقتصادية التي كانت تؤثر فيها ، كما أن الفتوحات الإسلامية في فارس والعراق والشام ومصر والمغرب والأندلس ، وحركة القرامطة ، وثورة الزنج ، وقيام الدولة الفاطمية في مصر . والحركة الصليبية ، والهجرات الجرمانية وغيرها من الأحداث الكبرى في التاريخ الإسلامى والأوروبى الوسيط ، لم تكن كلها حركات سياسية أو دينية فقط ، ولكن جللتها بالأوضاع الاقتصادية كان وثيقا للغاية (١) . وكانت التجارة من العوامل الرئيسية التي ساعدت على انتشار الرحلات في الماضى ، كما كانت العامل الرئيسى في انتشار الإسلام في أطراف الدولة الإسلامية ، في الهند والصين وبلاد ما وراء النهر ، وفي السودان الغربى ومورطانية وغانه وأواسط إفريقيا وسواحلها الشرقية .

وظل العرب يهتمون بدراسة تاريخهم وحضارتهم ، ويسجلون الأحداث والوقائع القديمة والمعاصرة لهم ، إلى أن تعرض العالم العربى في النصف الأول

(١) سيدة اسماعيل كاشف ؛ مصادر التاريخ الإسلامى ومناجم البحث فيه ، القاهرة

من القرن السابع عشر الميلادي موجة عاتية من الجود الفكري بعد أن تكب بالفتح العثماني لعظم أقطاره في المشرق والمغرب ، وزاد الاستعمار الاوربي العالم العربي منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر في هذا الركود ، بكاد عم الانفصال السياسي والحضاري بين شقي العالم العربي : المشرق والمغرب . ولم يفتق العرب من صدمة الاستعمار الاوروي إلا بعد أن انقضى ما يزيد على نصف قرن من الزمان ، ثم كانت الانفلاحة التحررية الأولى من عرب المشرق في مصر والشام والعراق ، إذ أعلنوا ثورتهم على الاستعمار ، وأخذوا يعملون تدريجيا لاصفاد التي كبلهم بها المستعمرون ، فلما تحققت آمالهم في آخر الامر ، وظفروا بحريتهم ، أخذوا يدون أيديهم إلى إخوانهم في المغرب العربي ، الذين كانوا يعملون من جانبهم على التحرر من أغلال الاستعمار الفرنسي البغيض ، وساند العرب في سائر الأقطار العربية كفاح الشعب العربي الثائر في تونس والجزائر والمغرب ، إلى أن تبا لهذا الشعب العربي المغربي أن ينال ثمرة كفاحه ، ويسترد حريته .

وبينما كان قلب العالم العربي منذ بداية القرن العشرين يحتدم بالثورات ضد المستعمرين ، وينفل بالحركات القومية ، كانت محتاجة ثورة أخرى شملت معظم جوانب الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية ، ذلك أن الحركة القومية العربية اقترنت بحركة إحياء واسعة النطاق (١) ، كان من أبرز مظاهرها البحث عن النكسب التاريخية ، ودراستها ، ونشرها ، باعتبارها أداة لكشف عن ملكات العرب ، وطاقتهم الابداعية ، ومصدرا ملها للأعجاب والبطولات ، ثم هي بالإضافة إلى ذلك حافظ لإلهاب المشاعر القومية ، ودفع الحركة القومية لتثعب العربي إلى الغاية والمنتهى ، وعلى هذا النحو تزايد الاقبال على الدراسة التاريخية

(١) فرانز روزنثال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور صالح أحمد السلي ، بنسبة ١٩٦٣ :

وأدى ذلك إلى الاهتمام بالبحث في علم التاريخ عند العرب ، ودراسة مناهج البحث فيه ، وهو أمر سبقهم المستشرقون إلى تحقيقه . ولم يعب الباحثين العرب أن يأخذوا على هؤلاء المستشرقين ، فعلى الرغم من أن نفرا من المستشرقين المشتغلين بالتاريخ الإسلامى قد جانبا المنهج العلمى ، فعمدوا إلى التفضيل فى أبحاثهم لتعمية العرب عن معرفة أجداد أسلافهم ، ومنهم من كان يسمى إلى إبراز الأخطاء التى وقع فيها العرب ، ومنهم من يجد حركات الشعوبية ، وأبرز روح المقاومة التى مارسها المعجم والبربر ضد العرب ، رغبة فى تفتيت وحدة الشعوب العربية ، فإنه لا ينبغي أن نجهد فضل التاليف والابحاث القيمة التى قام بها بعض المستشرقين فى التاريخ الإسلامى وفى مصادره وفى نشأته ، ومنهم بروكلمان وهاملتون جب ، وبارتولد ، وسوناجيه ، فقد اتسمت أبحاث هؤلاء بالنزاهة العلمية والتحرى والصدق ، والاعتداد على المصادر العربية التى بذلوا فى نشرها وتحقيقها واستخدامها جهودا موفقة . ومن طلائع المستشرقين فى دراسة علم التاريخ عند العرب :

١ - وستنفلد (فردناند) الذى أصدر بحثا عاما فى مؤرخى العرب فى سنة ١٨٨٢ ، جمع فيه نحو ٥٩٠ اسما من أسمائهم وضمنه مصنعاتهم (١) فى القرون العشرة الأولى بعد الهجرة .

٢ - مرجليوث : وقد نشر عددا من المحاضرات كان قد ألقاها فى جامعة كلكتوتا بالهند فى فبراير سنة ١٩٢٩ عن مؤرخى العرب (٢) ، تعرض فيها لدراسة المؤرخين العرب فى القرون الستة الأولى للهجرة .

F. Wuestenfeld, Die Geschichtschreiber der Araber und (١)
ihre Werke, Goettingen, 1882.

D. S. Margliouth, Lectures on Arabic Historians (٢)
(delivered before the University of Calcutta, February 1929)
University of Calcutta, 1930.

٣ — بروكلمان : أصدر معجما لجميع مصنفات العرب في العصور الاسلامية ، وقسم هذه الدراسة القيمة إلى أقسام تتبع العصور التاريخية ، وقد أفاد بروكلمان في دراسته عن التاريخ الاسلامي وكل ما كتبه وستنفذ من قبل عن المؤرخين العرب ، ويتضمن كتابه مجلدان نشرهما في برلين فيما بين عامي ١٨٩٨ ، ١٩٠٣ ، ثم ذيلها بملحق من ثلاث مجلدات نشرها فيما بين عامي ١٩٣٧ ، ١٩٤٢ (١) .

٤ — هاملتون جب : نشر بحثين قيمين : أحدهما في دائرة المعارف البريطانية (الطبعة ١٤) ، عن التاريخ عند المسلمين ، والثاني في دائرة المعارف الاسلامية تحت مادة « علم التاريخ » ، من القسم العربي ، في الملحق « Supplement » الصادر سنة ١٩٣٨ (صفحات من ٢٣٣ — ٢٤٥) مادة « Tarikh » (٢) ، كما نشر بحثا عن التاريخ الاسلامي في العصور الوسطى في كتابه « دراسات في حضارة الاسلام » (٣) .

٥ — بار تود : أصدر بحثا فيما عن تاريخ التركستان حتى الغزو المغولي ، ضمن مقدمته دراسة جديدة عن المصادر الخاصة بالتاريخ الاسلامي (٤) .

٦ — كلود كامن : قدم لدراسة الاصلية عن « سورية الشمالية في العصر

C. Brockelmann: Geschichte der Arabischen Litteratur, (١)

2 vols., Berlin 1898-1902 & Supplementband, 3 vols, Leiden 1937-1942.

H.A. R. Gibb : Ta'rikh, in Ency. of Islam, Supplement, (٢)
pp, 238-245, Leiden-London, 1938.

(٣) هاملتون جب ، دراسات في حضارة الاسلام، ترجمة الدكتور إحسان عباس ومحمد محمود زايد ، بيروت ١٩٦٤ ص ٤١-٣ .

Barthold W.: Turkestan down to the Mongol invasion, (٤)

London 1928 (Gibb Memorial Series, N.1.5)

الصليبي ، بدراسة ممتازة عن المصادر العربية ، شملت الفصل الثاني كله من المقدمة التي أفردها لبحث المصادر (١) .

٧- سوفاجيه: نشر بحثاً متكاملًا عن ومقدمة لتاريخ المشرق الاسلامي، عرض فيها مصادر تاريخ كل قطر من أقطار المشرق الاسلامي على حدة (٢) .

٨ - فرانز روزنتال : أصدر مصنفين جليلين ، أحدهما بعنوان : « علم التاريخ عند المسلمين » ، وقد تولى ترجمته الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي بجامعة بغداد (٣) ، والثاني بعنوان : « مناهج البحث العلمي عند المسلمين » (٤) ، وقد تولى ترجمته إلى العربية الأستاذ الدكتور أنيس فريجة ، الأستاذ بالجامعة الأمريكية ببيروت ، تحت العنوان السابق (٥) .

وهناك علماء آخرون ، كتبوا في التاريخ الإسلامي في المغرب والاندلس نذكر منهم، ليفي بروفسال في بحثه القيم « Les Historiens des Chorfa » (٦) ،

(١) Claude Cahen, la Syrie du Nord à l'époque des Croisades (١) et la Principauté franque d'Antioche, Paris, 1940, pp. 33-93.

(٢) Jean Sauvaget; Introduction à l'histoire de l'Orient musulman, Paris, 1923.

(٣) Franz Rosenthal, a history of Muslim Historiography, (٣) Leiden, 1952. والترجمة العربية بعنوان : علم التاريخ عند المسلمين ، قام بها الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي ، بغداد ١٩٦٣ .

(٤) F. Rosenthal, the Technique and approach of Muslim (٤) Scholarship, Rome, 1947.

(٥) روزنتال ، مناهج العلماء المسلمين ، ترجمة الدكتور أنيس فريجة ، بيروت ١٩٦١ .

(٦) E. Lévi-Provençal, Les Historiens des Chorfa, Paris 1922 (٦)

وبونز بويجس الاسباني في كتابه الكبير « تراجم للتورخين والجغرافيين
الأدلسيين » (١). ثم ظهرت بحوث عربية قيمة في التاريخ والمؤرخين العرب، انحص
بالذكر منها الدراسات التي قام بها الأستاذ أحمد أمين في كتابه ضحى الاسلام ،
وظاهر الاسلام (٢)، وقد عالج فيها نشأة علم التاريخ وتطوره في العصر العباسي ، ومنها
الفصل القيم الذي أضافه الأستاذ عبد الحميد العبادي لكتاب « علم التاريخ » ، مؤلفه
هرثسو ، عندما تبين له أثناء قيامه بترجمته — اختصار المؤلف لهذا الموضوع في
فصله الثاني ، فأصبح الكتاب يتضمن ثمانية فصول بدلا من سبع (٣) ، ومنها
أيضا كتاب نشأة علم التاريخ عند المسلمين ، للأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري (٤)،
والمؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي للأستاذ الدكتور محمد مصطفى
زيادة (٥) ، وموارد تاريخ الطب في الدكتور جواد علي (٦) ، ومنتجع البحث
التاريخي للأستاذ الدكتور حسن عثمان (٧) ، والتعريف بالمؤرخين في عهد الممولى
والتركان للأستاذ عباس المزوى (٨) ، والبحث الذي نشره الأستاذ الدكتور زكي

Pons Boigues (F.): Ensayo bio-bibliografico sobre los (١)
historiadores y geógrafos arábigo-espanoles, Madrid, 1898.

(٢) أحمد أمين : ضحى الاسلام ، جزآن ، القاهرة ١٩٣٨ .

(٣) هرثسو ، علم التاريخ ، ترجمة الأستاذ عبد الحميد العبادي ، القاهرة ١٩٣٧ ،
والفصل الثالث من هذه الترجمة من تأليف الأستاذ عبد الحميد العبادي (ص ٥١ - ٦٩) .

(٤) عبد العزيز الدوري ، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، بيروت ١٩٦٠ .
(٥) محمد مصطفى زيادة ، المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي ،
القاهرة ١٩٤٩ .

(٦) جواد علي ، موارد تاريخ الطب في مجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٥٠ -

١٩٥٢ (ثلاثة أجزاء) .

(٧) حسن عثمان ، منتجع البحث التاريخي ، القاهرة ١٩٤٣ .

(٨) عباس المزوى ، التعريف بالمؤرخين في عهد الممولى والتركمان ، بغداد ١٩٥٧ .

محمد حسن بعنوان : « دراسات في مناهج البحث في التاريخ الاسلامى » ، (١) ،
وكتاب مصادر التاريخ الاسلامى ومناهج البحث فيه للأستاذة الدكتورة سيدة
كاشف (٢) . وكتاب مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامى ، للأستاذ الدكتور عبد المنعم
ماجد (٣) ، ومصطلح التاريخ للدكتور أسد رستم (٤) ، وكتاب استخدام
المصادر وطرق البحث في التاريخ المصرى الوسيط للدكتور على ابراهيم حسن (٥) ،
وكتاب التاريخ والمؤرخين في مصر في القرن التاسع عشر للأستاذ الدكتور
جمال الدين الشيال (٦) ، والبحث القيم الذى نشره الأستاذ الدكتور حسين مؤنس
عن الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس (٧) ، وأخيراً البحث الذى تقدم به الدكتور
عبد القادر أحمد طه لثبيل درجة الدكتوراه فى الآداب من جامعة عين شمس
بعنوان المؤرخ ابن الأثير (٨) .

-
- (١) ذكرى محمد حسن ، دراسات في مناهج البحث في التاريخ الاسلامى ، مجلة كلية
الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد الثانى عشر ، ج ١ ، مايو ١٩٥٠ .
(٢) سيدة اسماعيل كاشف ، مصادر التاريخ الاسلامى ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
(٣) عبد المنعم ماجد ، مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامى ، القاهرة ١٩٥٣ .
(٤) أسد رستم ، مصطلح التاريخ ، بيروت ١٩٣٩ .
(٥) على ابراهيم حسن ، استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ المصرى الوسيط ،
القاهرة ١٩٤٩ .
(٦) جمال الدين الشيال ، التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر ، المكتبة
التاريخية ، عدد ٣ القاهرة ١٩٥٨ .

Gamal el-Din el-Shayyal, a history of Egyptian historiography
in the 19 th Century, Alexandria, 1962.

- (٧) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون فى الأندلس من البداية إلى الحجاز ،
مكتبة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد ، المجلد ٧ ، ٨ ، مدريد ١٩٥٩/١٩٦٠ م
١٩٩ - ٣٥٩ .

عبد القادر أحمد طه لثبيل درجة الدكتوراه ، بحث مقدم لثبيل درجة الدكتوراه
فى الآداب - جامعة عين شمس فى ١٩٦٧/٧/٨ .

ويبين لنا عما ذكرناه عن كثرة البحوث والتأليف العربية في التاريخ والمؤرخين العرب أن الباحثين العرب حذوا حذو المستشرقين في الاهتمام بدراسة التاريخ ، فجاءت دراساتهم وقد تميزت باللبقة وتشبعت بالروح النقدي . وفافت في هذا المجال بحوث المستشرقين .

وقد كان من مظاهر اهتمام جامعة الاسكندرية بهذه الدراسات التاريخية أن خصصت لطلاب السنة الرابعة بقسم التاريخ مقرراً قومياً لم يجد أنسب من تخصيصه لدراسة التاريخ والمؤرخين العرب ، وقد رأيت أن أجمع محاضراتي في هذا الكتيب حتى ييسر للطالب أن يقوم بدراستها ، متراصة فيما بينها ، بطريقة علمية مسنعة ، وقسمت هذا الكتاب إلى قسمين رئيسيين : الأول أفردته الكتابة التاريخية والثاني خصصته لدراسة المصادر ، واختتمت الكتاب بنصوص تاريخية وجغرافية تعين الطالب على تطبيق ما درسه في فصول الكتاب . أرجو أن أكون قد وفقت فيما ذهبت إليه ، والله أسأله التوفيق .

أشهر عبد العزيز سالم

الاسكندرية في الاثنين ٢١ جمادى الثانية ١٣٨٧ هـ

(٢٥ سبتمبر ١٩٦٧)

البسائر الأولى

الكتابة التاريخية عند العرب

الفصل الأول

علم التاريخ في أقوال مؤرخي العرب

(١) التقويم الهجري

(٢) آراء مؤرخي العرب في التاريخ :

أ - فائدة للتأريخ .

ب - أخطاء المؤرخين العرب في رأى ابن خلدون

ج - الشروط اللازم توفرها في الكتابة التاريخية (فى رأى ابن خلدون
والسخاوى)

الفصل الثانى

نشأة علم التاريخ عند العرب

(١) أخبار العرب في الجاهلية

(٢) كتاب السيرة والمغازى وبداية الكتاب التاريخية عند العرب

أ - مدرسة التاريخ في المدينة

ب - مدرسة التاريخ في العراق

الفصل الثالث

تطور الكتابة التاريخية

(١) منهج الكتابة التاريخية عند العرب

(٢) تنوع صور الكتابة التاريخية

الفصل الأول

علم التاريخ في أقوال مؤرخي العرب

(١)

التعريف المبررى

أ - لفظة «تاريخ» لغة واصطلاحاً:

تاريخ كل شيء من حيث اللفظ ، وفقاً لما ذكره محمد بن يحيى الصولي (ت ٥٣٣٦هـ) غاية وقتها الذى ينتهى إليه ، ولهذا يقال : فلان تاريخ قومه فى الجود ، أى الذى انتهى إليه ذلك . وقيل إن معناه التأخير ، وقيل أيضاً إنه أضاف إلى (١) .
« وتاريخ ، مصدر من أرخ ، بلفظ قيس ، وهو اللفظ الشائع عند العرب ، أو « ورخ ، بلفظ تميم ، وهو لفظ لم يستخدمه كاتب قط (٢) ، ويرى بعض المؤرخين أن لفظ « تاريخ ، مشتق من « يارخ ، العبرية بمعنى القمر أو « رخ ، بمعنى الشهر ، وعلى أساس هذا الزعم يكون معنى لفظ « تاريخ ، التوقيت ، أى تحديد الشهر (٣) . ويستبعد الأستاذ روزنثال الافتراض القائل بالأصل العبرى لوجود حرف ياء فى الصورة العبرية (٤) . وزعم آخرون أن لفظ « تاريخ ،

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، أدب الكتاب ، تحقيق محمد بهجة الأثرى ، القاهرة ١٣٤١هـ ، ص ١٧٨ ، محمود شكرى الألوسى ، بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ، ج ٣ القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٢١٤ .

(٢) قس المصدر ، ص ١٨٠ .

(٣) بلسير ، مادة تاريخ ، حاضرة المعارف الإسلامية ، (القسم العرب) ، مجلد ٤ ،

عدد ٨ ص ٤٧٣ .

(٤) فرائز روزنثال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ص ٢١ .

مشتق من اللفظ الأكدي « أرخو » وهو أيضا أمر بعيد الاحتمال في رأى روزنتال (١). ويذهب بعض المؤرخين إلى أن لفظ « تأريخ » تعريب لكلمة « ماه روز » الفارسية ومعناها حساب الشهور والأيام (٢)، أو التوقيت حسب القمر (٣)، وتوحى لفظة ماه روز بأن المراد منها تعيين بدء الشهر القمري (٤)، ويطلقون ذلك برواية جاء فيها أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب لما كثرت لديه الأموال، واختلط عليه وقت توزيعها، جمع وجوه الصحابة، وسألهم عن كيفية التوصل إلى ذلك، فقال له الهرمزان ملك الأهواز، وكان قد أسر زمن فتح فارس، وحل إلى عمر فاسلم: « إن المعجم حسابا يسمونه ماه روز ويستدونه إلى من غلب عليهم من الأكاسرة »، فمروا لفظة ماه روز بمؤرخ، وجعلوا مصدروه « التأريخ ». واستعملوه في وجوه التصريف، ثم شرح لهم الهرمزان كيفية استعمال ذلك (٥).

وكلمة التأريخ من حيث الاصطلاح تعنى الزمن والحقة (٦)، ولم يظهر هذا الاصطلاح بالمعنى الذى ذكرناه لا فى الأدب الجاهلى، ولا فى القرآن الكريم، ولا فى الأحاديث النبوية، ولم يستخدم لأول مرة إلا منذ أن أدخل عمر بن

(١) قس المرجع.

(٢) البيهقى، الآثار الباقية عن القرون الخالية، لشمس ادوارد شاو، ليزج ١٩٢٣ م ٢٩ — حزه الأصفهاني، تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء، مطبعة كويباتي، برلين، م ٨.

(٣) روزنتال، علم التاريخ، م ٢٣.

(٤) بلشير، ملعة تأريخ م ٤٧٤.

(٥) البيهقى، الآثار الباقية، م ٣٠ — السخاوى، الإعلان بالتاريخ لمن ذم أهل التاريخ،

لمشمس روزنتال فى كتابه، علم التاريخ عند المسلمين، م ١٢٠.

(٦) روزنتال، م ٢٣.

الخطاب التفرقة المجرى ، فقد ورد هذا الاصطلاح في بردية يرجع تاريخها إلى سنة ٢٢ هـ ، مما يدل على أن الكلمة كانت معروفة في ذلك الحين . (١)

ثم تطور مدلول الكلمة بعد ذلك إلى أن أصبحت الكتب التاريخية ، وأقدمها الكتب التي تتضمن مجموعات تراجم تتعرض لسنوات الميلاد والوفاة لبعض الشخصيات التي عني مؤلفو هذه الكتب بترجمتها ، وعلى هذا الأساس أصبح التاريخ عند العرب فنا يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثة التبيين والتوثيق بل عما كان في العالم ، (٢) ، وموضوعه يقوم على الإنسان والزمان ، ومسائله قوامها أحوال الإنسان والزمان والمفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة الموجودة للإنسان وفي الزمان ، (٣) ، ولهذا السبب كانت كتب السيرة والمغازي والأنساب تدخل في عداد الكتب التاريخية ، ثم تطور معنى التاريخ إلى معناه الشائع المعروف باستعمال كتب الحواريات لهذه الكلمة (٤) ، مثل تاريخ الأمم والملوك للطبري ، وتاريخ بني ملوك الأرض والأنبياء لمزاة الأصفهاني .

ومع ذلك فلفظة « تاريخ » عند العرب لم تكن تطابق كلمة « History » عند الأوروبيين . لأن القضايا الفلسفية المتصلة بفكرة التاريخ هي من تطورات الفلسفة الحديثة (٥) ، وهي تختلف كلية عن مفهوم التاريخ عند العرب .

(١) . نفس المرجع ، ص ٢٤ .

(٢) الكاتيجي ، المختصر في علم التاريخ ، ٣٢٧ - السخاوي الاعلان بالكتب

ص ٣٨٥

(٣) نفس المصدر

(٤) دوزنك ، ص ٢٥ .

(٥) جوردون هايلد ، التاريخ ، ترجمة عبد البرسم عبد الملك ، القاهرة ١٩٥٨ ،

ص ١١٥ وما يليها - هيرانتكن ، دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية ، ترجمة الدكتور محمود زايد ، بيروت ١٩٦٣ - فرنشو ، علم التاريخ ، ص ١ - ٢٢

ب- ارجال التقويم الهجرى :

كانت فكرة الرقة وتحديدته في المجتمع القبلى الجاهلى غير معدودة ومشوشة ، فكان العرب يؤرخون بكل عام يكون فيه أمر مشهور متعارف عليه ، فأرخ العدنانيون بعام نزول اسماعيل مكة ، وعام تفرق ولد معد ، وعام رئاسة عمرو بن لحي الخزاعي الذى بدل دين ابراهيم بمبادة الأصنام ، وعام وفاة كعب بن لؤى ، وعام الفدر أو حجة الفدر (١) ، كذلك أرخوا بعام القيل ، وفيه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان في السنة الثانية والثلاثين من ملك كسرى أنوشروان ، كذلك أرخوا بعام الختان لأنهم تماوتوا فيه (٢) ، فقال النابغة الجعدي فيه :

فمن يك سائلا عنى فإنى . . من الشبان أيام الختان

مضت مائة لعام ولدت فيه . . وعشر بعد ذاك وحجتان

وأرخت قريش أيضا بوفاة هشام بن المغيرة المخزومي والده أبى جبل لإجلهم له ، وأرخوا أيضا ببنيان الكعبة (٣) ، وكانت حمير تؤرخ بالنباسة ، وغان بالسد (سد مأرب) ، وأهل صنعاء بظهور الجشة على اليمن ، مرملة الفرس . ثم أرخ العرب بالأيام المشهورة كحرب البسوس وداحس ، ويوم ذى قار ، وبحرب الفجار ، ثم أرخ العرب في خلافة عمر بالتقويم الهجرى (٤) . وذكروا في ذلك

(١) وفيه وب قوم من بني يربوع على رسل أحد ملوك حمير ، كان وجههم بكسوة الى الكعبة ، ونهبوا متاعهم ، فبلغ خبرهم من كان قد اجتمع بالموسم من ابناء القبائل ، فوثب بعضهم على بض . وقد حثت ذلك قبل المبت ياتى عام قل حد قول الزبير بن يكار

(٢) السولى ، أدب الكتاب ، ص ١٧٩ - العيون ، ص ٣٤

(٣) حزة الاسفهانى ، تاريخ سنى ملوك الأرض والانباء ، برلين ١٣٤٠ ، ص ٩٣-٩٦

(٤) البكائيجى ، ص ٣٣٠-٣٣١ ، جواد على ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، بغداد

أنه قال : « وضعوا الناس تاريخاً يتعاملون عليه ، وتصير أوقاتهم مضبوطة فيما يتعاملونه من معاملاتهم ، فقال بعض من حضر من مسلمي اليهود : لنا حساب مثله نستند إلى الاسكندر ، فارتضاء الآخرون لما فيه من الطول . وقال قوم : يكتب على تاريخ القرس ، فقل إن تاريخهم غير مستند إلى مبدأ معين ، بل كلما قام منهم ملك ابتدأوا من لدن قيامه وطرحوا ما قبله ، واتفقوا على أن يجعلوا تاريخ دولة الاسلام من لدن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ، لأن وقت الهجرة لم يختلف فيه أحد ، بخلاف وقت مبعضه فإنه يختلف فيه ، وكذا وقت ولادته ليلة وستة ، وأما وقت وفاته فهو وإن كان معينا ، فلا يحسن عقلا أن يجعل الأصل لمبدأ التاريخ ، وأيضا ، فوقت الهجرة ، ووقت استقامة ملة الاسلام وترادف الوفود ، واستيلاء المسلمين ، فهو ما يترك به ، ويعظم وقته في النفوس » (١) .

وهناك من يجعل أصل التاريخ الاسلامي مأخوذاً من اليمن (٢) استناداً إلى الرأي القائل بأن أول من أرخ التاريخ يعلى بن أمية الذي كتب إلى عمر بن الخطاب كتاباً من اليمن مؤرخاً ، فاستحسنه عمر ، فشرع في التاريخ (٣) ، ومنذ أن وضع عمر بن الخطاب تقويماً ثابتاً يتمثل في التاريخ الهجري ، أصبح هذا التقويم عنصراً أساسياً في نشأة الفكرة التاريخية (٤) .

وذكر آخرون أن السبب الذي دفع عمر بن الخطاب إلى اتخاذ الهجرة النبوية

(١) السخاوي ، الاعلان بالتاريخ ، ص ١٣ ، راجع في ذلك المشايخ البيهقي ، الآثار الباقية ص ٣٠

(٢) السخاوي ، الاعلان بالتاريخ ص ١٠ — وروثال ، ص ٢١

(٣) السخاوي ، المصدر نفسه ، ص ٩٠

(٤) عبد العزيز الحوري ، نشأة علم التاريخ ، ص ٩٩

أساساً للتاريخ العربى الإسلامى أنه أباه موسى الأشعرى كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يقول : « إنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب ليس لها تاريخ ، فلا ندرى على أيها تعمل . (١) ، وكان عمر قد دون الدواوين ، ووضع الأخرجة ، ومن القوانين ، واحتاج إلى تاريخ ، فجمع الناس ، وعرض عليهم مشكلة اختيار ساذقة معروفة تكون أساساً للتاريخ الإسلامى ، فذكر له بعضهم التاريخ بميث النبي ، وأشار عليه بعضهم ، ومنهم سعد بن أبى وقاص ، التاريخ بوفاته ، ورأى آخرون أن يكون ذلك بالمولد ، وأبدى البعض الآخر أن يكون مبدأ الهجرة الأساس فى ذلك ، لأن المبعث والمولد فيها اختلاف ، فيستبعد لذلك ، ولأن الوفاة لا يحسن أخذها أساساً للتاريخ ، فإن من يفعل ذلك لابد أن يكون عدواً يستبشر بموته ويستحب أن يكون موته عيداً (٢) ، فرجع لديهم جعله من الهجرة ، وهى حادث ثابت يحدد التاريخ ، وأجمع المسلمون على ذلك ، فأرخوا بالهجرة ، وتم ذلك فى العام الرابع من خلافة عمر بن الخطاب ، أى فى العام السابع عشر بعد الهجرة (٣) .

ومناك من يحمل أصل التاريخ الإسلامى مأخوذاً عن الفرس اعتماداً على رواية يمينون بن مهران التى أوردها البيرونى ، وجاء فيها أن عمر بن الخطاب « لما رفع إليه صك عله فى شعبان ، فقال عمر : أى شعبان ، الذى نحن فيه أو الذى هو آت ؟ ثم جمع أصحاب رسول الله وآله واستشارهم فيما دهمه من الحيرة فى أمر الأوقات ، فقالوا يجب أن تتعرف الحيلة فى ذلك من رسوم الفرس ، فاستحضروا المهرمان واستلوه ذلك ، فقال : إن لنا حساباً تسميه ماه وروز أى حساب الشهور والأيام . فغربوا ماه وروز ، فقال « موزخ » وجعلوا مصدره التاريخ وشرح لهم

(١) القول أدب الكتاب ، ص ١٧٩ - السقاوى ، المصدر السابق ، ص ٥٠٩

(٢) البيرونى ، الآثار الباقية ، ص ٣

(٣) السقاوى ، الإعلان ، ص ٥٠٩

المرزمان كيفية استعمالهم ذلك ، وما عليه الزوم من مثله . فتم اتخاذ الهجرة بعد ذلك أساسا للتأريخ الاسلامي (١) .

واعتقد أن المسلمين أخذوا فكرة التأريخ عن عرب الجنوب ، فما لا شك فيه أن عرب الجنوب اهتموا بأمر التوقيت لموامل عديدة منها الزراعة التي تخضع لتقلبات الجو وتبدل المواسم ، ومنها الأعياد والشعائر الدينية التي لها ارتباط وثيق بضبط الأوقات ، ومنها التجارة في البر والبحر (٢) . وقد ورد لفظ «دريخ» في نقوش العربية الجنوبية ، وجمعها «أورخم» بمعنى الشهر القمري (٣) .

وما إن اتفق المسلمون على اعتبار هجرة الرسول إلى يثرب أساسا للتقويم الاسلامي حتى اختلفوا في الشهر ، فرأى بعضهم أن يبدأوا برمضان ، ورأى آخرون وعلى رأسهم عبد الرحمن بن عوف ، أن يبدأوا بالتاريخ رجب باعتباره أول الأشهر الحرام ، ولكن عثمان وعلى اقترحا أن يكون مبدأ التاريخ الهجري في المحرم ، لأنه شهر حرام ، فاخذ عمر برأيهما لاعتبارات منها أن المحرم شهر حرام والعرب تعظمه ، ومنها أنه آخر الأشهر الحرام ومنصرف الناس من الحج (٤) ، ومنها أن بيعة العقبة التي بمقتضاها اتفق الرسول صنع الأوس والخزرج على الهجرة إلى يثرب حدثت في ذى الحجة ، ثم عزم الرسول على الهجرة في المحرم ، فكان أول هلال استهل بعد البيعة والعزم على الهجرة هو هلال المحرم (٥) ، وكان العرب في الجاهلية يعتبرون الأهلة مواقيت لتعيين أوائل الشهور ، كذلك اعتبر الاسلام الرقبة شهادة ابتداء

(١) البيهقي ، الآثار الباقية ، ص ٢٩ ، ٣٠ - السخاوي ، الاعلان ص ١١٢ .

(٢) جنواد على ، ج ٨ ص ٣٤٣ .

(٣) خمس المرجع ص ٣٦٦ .

(٤) السبكي ، ادب الكتاب ، ص ١٨٠ .

(٥) السخاوي ، الاعلان بالتويخ ، ص ١٠٩ .

الشهر الجديد (١) ، وميز العرب شهر المحرم عن غيره باعتباره أول السنة بزيادة الألف واللام .

وكان العرب يغلون الليالي على الأيام في التاريخ ، بخلاف العجم الذين كانوا يبنون تاريخهم على الأيام دون الليالي (٢) ، لأن ليلة الشهر سبقت يومه وولده ، ولأن الألهة الليالي دون الأيام وفيها دخول الشهر (٣) . وقد قدم الله تعالى في كتابه العزيز الليالي على الأيام في قوله تعالى : وله ما سكن في الليل والنهار ، وهو المسيح العظيم (٤) ، وقوله أيضا : وهو الذي يثوقكم بالليل ويصلح ما جرحتم بالنهار ، (٥) ، وفي قوله تعالى : وإن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ، ينشئ الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين (٦) ، وفي قوله : وهو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ، والنهار مجرا ، إن في ذلك

(١) جواد علي ، ج ٨ ، ص ٣٦٥ . وكان العرب يكبرون عند رؤية القمر كل أول ليلة من الشهر لقرينهم ، بمعنى الشهر الثالث ، من وقت الملح ، وسرورهم بالموسم ، فلبسوا الرؤية للصلح ، فقالوا استهل وأهل ، وسماوا القمر هلالا لهذا المعنى ، (راجع الصول ، ص ١٨٢) ، وكان العرب يسمون أول ليلة من الشهر البراء ، لغيره القمر من الشمس ، كما كانوا يسمونها النجيرة لأن الهلال نحرها أي رؤى في نحرها .

(٢) عبد الحميد المبادئ ، التاريخ عند العرب ، فصل مضاف في كتاب علم التأريخ لهرقل ، ص ٥٢ .

(٣) الصول ، ص ١٨٠ - الألو ، بلوغ الأرب ، ج ٣ ، ص ٢١٦ وما يليها .

(٤) القرآن الكريم ، سورة الأنعام آية ١٣ ،

(٥) القرآن الكريم ، سورة الأنعام آية ٦٠ .

(٦) القرآن الكريم ، سورة الأعراف آية ٥٤ .

لآيات لقوم يسمعون ، (١) ، وفي قوله : « وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون » (٢) ، وفي قوله : « وهو الذي يحي ويميت وله اختلاف الليل والنهار » (٣) ، وفي قوله : « ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » (٤) ، وفي قوله : « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون . فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون » (٥) .

-
- (١) القرآن الكريم ، سورة يونس ١٠ آية ٦٧ .
 - (٢) القرآن الكريم ، سورة الأنبياء ، ٢١ آية ٣٣ .
 - (٣) القرآن الكريم سورة المؤمنون ٢٣ آية ٨٠ .
 - (٤) القرآن الكريم سورة لقمان ٣١ آية ٢٩ .
 - (٥) القرآن الكريم ، سورة فصلت ٤٠ آية ٣٧ .

(٢)

آراء مؤرخي العرب في التاريخ

١- فائدة التأريخ:

ارتبطت الكتابة التاريخية منذ بدايتها في صدر الاسلام بالعلوم الدينية ارتباطاً وثيقاً ، فكان المؤرخون الأولون يكتبون في السيرة النبوية وفي المغازي وفي نسب قریش ، وفي الطبقات وفي التراجم لرجال العلم والفقه الحديث . وما لاشك فيه أن القرآن أكد على أمثلة الشعوب الماخنة البائدة لما تنطوى عليه هذه الأمثلة من عبر دينية ومواعظ خلقية ، كما جاء القرآن بنظرة عالمية إلى التاريخ بمثابة في تتابع النبوات ، وكان لهذه النظرة أثرها العميق في اهتمام كتاب العرب بدراسة تاريخ الرسل والأنبياء ، يضاف إلى ذلك أن القرآن نص على أن سيرة الرسول مثل السليين يقتدون به ، وكان لهذا التأكيد أثره في عناية كتاب العرب بدراسة السيرة النبوية ودراسة حياة الرسول ، وقد سميت الدراسات الأولى لحياة الرسول باسم المغازي ، وتعني لغوياً دراسة أعماله الحربية ولكنها تشمل في حقيقة الأمر على عصره كله (١) . ومنذ أن وضع عمر بن الخطاب التاريخ المهجري ، وتم للعرب إنشاء دولة إسلامية واسعة الأطراف ، وأسس ديوان الجند ، حتى زادهام المسلمين بدراسة الأنساب ، ولا يخفى ما لدراسة الأنساب من أهمية في خدمة التاريخ .

ولقد جمع كثير من أئمة المسلمين بين الفقه والتاريخ ، فكان الطبري وابن كثير الدمشقي يجمعان بين التفسير والتاريخ ، وكذلك كان الحافظ الذهبي مؤرخاً وفتياً

(١) عبد العزيز الدوري ، نشأة علم التاريخ عند العرب ، ص ١٨ - ٢٠

وجافظاً في أن واحد ، وكان عبي الدين محمد الكافيجي (ت ٨٧٩) ، وشخص الدين السخاوي الحافظ المؤرخ (ت ٩٠٢) ، يجمعان بين الفقه والتاريخ . وكان أكثر علماء المسلمين يرون ضرورة الاشتغال به لخدمة الغرض الديني ، حتى يصبح علم التاريخ على هذا النحو وسيلة لفهم الفقه والشرعة . ولقد خص الكافيجي في رسالته المختصر في علم التاريخ ، جانباً كبيراً من عنايته لتوضيح مركز التاريخ في العلوم الدينية الإسلامية (١) ، ولا يجب في ذلك ، فإن الكافيجي كان عالماً دينياً قبل أن يكون مؤرخاً . كذلك أشار السخاوي في كتابه « التبر المسبوك » ، إلى أهمية التاريخ لعلم الشرعة ، فقال : « (وبعد) فعلم التاريخ فن من فنون الحديث النبوي ، وزين قربه النور ، حيث سلك فيه المنهج القويم المستوي ، بل وقبه من الدين عظيم ، ونفعه متين في الشرع ، بشهرته غني عن مزيد البيان والتفصيل ، إذ به يظهر تزييف مدعى القضا ، ويبان ما صدر منه من التحريف في الارتقاء ، إذ كان اختل عقله أو اختلط ، ولم يجاوز بلدته التي لم يدخلها الطالب قط ، وتحفظه الانساب المترتبة عليها صلة الرحم ، والمقرب عنها الميراث والكفاة حسباً قرر في محله وفهم ، وكذا تعلم منه آجال الحيف ، واختلاف المنقود والأوقاف ، التي ينشأ عنها من الاستحقاق ما هو موهود ، وينتفع به في الإطلاع على أخبار العلماء والزهاد والفضلاء والملوك والأمراء والنبلاء وسيرهم ومآثرهم ، في حريمهم وسلبهم ، وما أبقى الدهر من فضائلهم أو ذائلهم ، بعد أن أبادهم الحدثن ، وأبلى جديدهم الألوان ، حيث تنبع الأمور الحسنة من آثارهم ، ولا يسمع منهم فيما تنفر عنهم العقول المستحسنة من أخبارهم ، ويتمتع بما فيه من المواظ

(١) الكافيجي ، المختصر في علم التاريخ ، راجع الباب الثاني الخامس بأصول علم التاريخ

الفائدة والطائف المفيدة (١) .

ولقد استعرض السخاوى ما ذكره مؤرخو العرب فى العصر الاسلامى فى
قائده علم التاريخ ، وأورد فى كتابه ، الاعلان بالتويخ لمن ذم أهل التاريخ ،
مقدمة فى فضل المشتغلين بالتاريخ ، فقال : فلما كان الاشتغال بفن التاريخ
للعلماء من أجل القربات ، بل من العلوم الواجبات ، المتنوعة الاحكام الخمسة بين
الاصايات وقال أيضاً : « وأما ما لعله يذكر فيه من أخبار الانبياء
صلوات الله عليهم وستهم ، فهو مع أخبار العلماء ومذاهبهم ، والحكام وكلامهم ،
والزهاد والنسك ومواعظهم ، عظيم الفناء ، ظاهر المنفعة ، فما يصلح الإنسان
به أمر معاده ودينه وسريته فى اعتقاداته ، وسيره فى أمور الدين ، وما يصلح
به أمر معاملاته ومعاشه الدنيوى . وكذا ما يذكر فيه من أخبار الملوك
وسياستهم ، وأسباب مبادئ الدول وإقبالها ، ثم سبب انقراضها ، وتدبير
أصحاب الجيوش والوزراء ، وما يتصل بذلك من الأحوال التى يتكرر مثلها
وأشبابها أبداً فى العالم ، غزير النفع ، كثير الفائدة بحيث يكون من عرفه كن
عاش الدهر كله ، وجرب الأمور بأسرها وبأشرف تلك الأحوال بنفسه ، فيغزو
هقله ، ويصير مجرباً غير غر ولا غمر . . . وإله أيضاً جم الفوائد كثير النفع
لندى الهمم العالية والقراخ الصافية ، لما جبل عليه طباعهم من الارتياح عند
سماعهم هذه الأخبار إلى التشبه والاقتداء بأربابها ، ليصير لهم نصيب من حسن
النماء وطيب الذكر . . . » (٢) .

لهوأت التاريخ على حد قول السخاوى عبرة وموعظة ، ودرس وتجربة ،

(١) السخاوى ، كتاب التبر المسبوك فى ذيل الملوك ، يولاي ١٨٩٦ ، ص ٢ .

(٢) السخاوى ، الاعلان بالتويخ لمن ذم أهل التاريخ ، ص ٤٠٠ ، ٤٠١ .

توقف الدارس على عشرات الماضين وأسباب انقراض الدول والحضارات ،
وتدفع أصحاب المثل الى الاقتداء بالشخصيات البارزة ، ولقد أورد السخاوى
مقتطفات كثيرة لأقوال بعض المؤرخين والكتاب زتها ترتيباً زمنياً ، لتعرض
بعضها ، ونضيف اليها مقتطفات لم يذكرها السخاوى ، وبدأ هذه المقتطفات بما
ذكره أبو الفرج الأصفهاني (ت ٥٢٥٦ هـ) في مقدمته للأغانى : « ان القارىء
إذا تأمل ما فيه من الفقر ونحوها لم يزل منتقلاً من فائدة الى فائدة ، ومنصرفاً
منها بين جد وهزل ، وآثار وأخبار ، وسير وأشعار ، متصلة بآيام العرب
المشہورة ، وأخبارها المأثورة ، وقصص الملوك فى الجاهلية والخلفاء فى الاسلام ،
تجمل بالمتأدين معرفتها ، ومحتاج الأحداث الى دراستها (١) .

وأورد قطعة من مقدمة أبى الفرج بن الجوزى فى المنتظم جاء فيها :
« والسير والتواريخ فوائد كثيرة أهمها فائدتان : ١ - إحداهما أنه ان ذكرت
سيرة حازم ، ووصفت عاقبة حاله ، أفادت حسن التدبير واستعمال الحزم ، أو
(ان ذكرت) سيرة مفراط ووصفت عاقبة أفادت الخوف من التعريط ،
فيتأدب المتسلط ، ويعتبر المتذكر ، ويتضمن ذلك شطح صوامم العقول ،
ويكون روعة للفتنة فى المنقول .

٢ - والثانية أن يطلع بذلك عجائب الأمور ، وتقلب الزمن ومصاريف
القدر وسماع الاخبار (٢) .

وذكر العماد بن حامد الأصفهاني فى الفتح القسى : « أما
بعد ، فان التاريخ لسان يخبر به الزمان عن عجائب الوقائع ، بل أستاذ

(١) الأغانى ، ج ١ (طبعة بيروت ١٩٥٦) ، ص ٤ - السخاوى ، الامعان

بالنويخ ، ٤٠٧

(٢) السخاوى ، الامعان ، ص ١٢

يفرر دروس الحوادث ليعلم السامع ، بل ما شئت من محمود مدح ينفس
كروب النفس ، ويروح الروح ، وله رجاله أئمة فضلاء وسادة جلة بلاء ، (١) .
وقال أيضاً في موضع آخر : « وإنما بدأنا بالتاريخ به لاستقبال سنة ثلاث
وثمانين وخمسة ، لأن التواريخ معاندا إما أن تكون مستفتحة منذ بدء نشأة
البشر الأولى ، وإما مستفتحة بمقرب من الدول الأخرى ، فلا أمة من الأمم
ذوات الملل وذوات الدول إلا ولهم تاريخ يرجعون إليه ، ويعولون عليه ، ينقله
خلفا عن سلفها ، وحاضرها عن غابرها ، تهيد به شوارد الأيام ، وتصب به
معالم الاعلام ، ولولا ذلك لا تقطعت الوصل ، وجهلت الدول ، ومات في أيام
الأخر ذكر الأول ... ولولا التاريخ لضاعت مساعي أهل السياسات الفاضلة ،
ولم تكن المدائح بينهم وبين المذام هي الفاصلة ، ولقل الاعتبار بمسألة العواقب
وعقوبتها ... » (٢) .

وقال الشيخ عبد الواسع بن يحيى الواسع البغدادى ، صاحب تاريخ اليمن المسمى
فرجة الموموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن : « أما بعد ، فإن علم التاريخ علم
جليل المقدر ، شهد بفضله الآيات والأخبار ، واعتنى نقله الاثبات والأخبار
وأنفقوا في ذلك نفائس الاعمار ، يطلع به العاقل على ما مر من الأعصار ، فيزيده من
الكياسة والاستبصار ، بما حدث للأمم الماضية من الحوادث التي فيها عظة
واعتبار » (٣) .

-
- (١) مهدي الدين أبو عبد الله محمد بن محمد القرشي الأصفهاني ، كتاب الفتح القسفي في
الفتح القسفي ، نشره الكوئنت كارلو دي لاندريج ؛ لندن ١٨٨٨ ج ١ ص ١
(٢) هس أنصهر ، ص ٤ — السخاوي ، الاعلان ، ص ٤١٣
(٣) عبد الواسع بن يحيى الواسع البغدادى ، تاريخ اليمن المسمى فرجة الموموم والمزن في
حوادث وتاريخ اليمن ؛ القاهرة ١٣٤٦ ص ٤٣

وقال السخاوى عن ابن الاثير ما ذكره عن فوائد التاريخ : « ولقد رأيت جماعة ممن يدعى المعرفة والدراية ويظن بنفسه التبحر في العلم والرواية ، يحقر التاريخ ويزدريها ، ويعرض عنها ويلقيها ، ظناً منه أن غاية فائدتها إنما هو القصص والأخبار ، ونهاية معرفتها الأساطير والأسماء ، وهذه حال من اقتصر على القشر دون الب لب نظره ، وأصبح غشلياً جوهره ، ومن رزقه طبعاً سليماً ، وهده صراطاً مستقيماً علم أن فوائدنا كثيرة ، ومنافعها الدينية والأخروية جمة غزيرة . . . فأما فوائدنا الدينية فنما أن الانسان لا يخفى أنه يحب البقاء ، ويؤثر أن يكون في زمرة الأحياء ، فيألت شرى أى فرق بين ما رآه أمس أو سمعه وبين ما قرأه في الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين ؟ ، فإذا طالها فكأنه عاصمهم ، وإذا عليها فكأنه حاضرهم ، ومنها أن الملوك ومن اليهم الأمر والشي إذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والمدون ، ورأوا ما مدونة في الكتب يتناقلها الناس ، فيروها خلف عن سلف ، ونظروا الى ما أفضت من سوء الذكر ، وقبيح الأحداث ، وخراب البلاد ، وهلاك العباد ، وذهاب الأموال ، وفساد الأحوال ، استبقوها ، وأعرضوا عنها وأطرحوها ، وإذا رأوا سيرة الرعاة العادلين وحسنها ، وما يقيمهم من الذكر الجليل بعد ذهابهم ، وأن بلادهم وبالكهم عسرت ، وأموالها دنت ، استحسنوا ذلك ، ورغبوا فيه ، وثابروا عليه ، وتركوا ما ينافيه ، هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء السائبة التي دفعوا بها مضرات الأعداء ، وخلصوا بها من الممالك ، واستصابتوا قنائس المدن ، وعظم الممالك ، ولولم يكن فيها غير هذا لكنى به خيراً . . . ومنها ما يحصل للانسان من التجارب والمعرفة بالحوادث ، وما يهيم إليه عواقبها ، فانه لا يحدث أمر إلا وقد تقدم هو أو نظيره ، فيزداد بذلك علماً ، ويصبح لأن يقتدى به أهلاً . ولقد أحسن القائل حيث يقول :

رأيت العقل عقليين .: فطبع ومسموع
 فلا ينفع مسموع .: إذا لم يك مطبوع
 كما لا تنفع الشمس .: وضوء العين ممنوع
 يعنى بالمطبوع العقل الفرزى الذى خلقه الله تعالى للإنسان ، وبالمسموع
 ما يزداد به العقل الفرزى من التجربة ، وجعله عقلاً ثانياً توسعاً وتعظيماً له ،
 والافهوزيادة فى غفلة الاول . ومنها ما يتجمل به الإنسان فى المجالس والمحافل
 من ذكر شيء من معارفها ونقل طريقة من طرائقها ، فترى الاستماع مصنية اليه ،
 والرجوع مقبلة عليه ، والتلوب متأمل ما يورده ويصدره ، مستخسة ما يذكره .

أما القوائد الاخرية فنها أن العاقل الحبيب إذا تفكر فيها ورأى تحلب
 الدنيا بأهلها ، وتتابع نكباتها الى أعيان قاطنيتها ، وأنها سلبت نفوسهم وذخائرهم ،
 وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم ، فلم تبق على جليل ولا حقير ، ولم يسلم من نكدما
 غنى ولا فقير ، زهد فيها وأعرض عنها ، وأقبل على التزود للآخرة منها ، وورغب فى
 دار تمزجت عن هذه الخصائص ، وسلم أهلها من هذه القوائس . . . ومنها التخلق
 بالصبر والتأسي ، وهما من محاسن الأخلاق ، فإن العاقل إذا رأى أن مصاب
 الدنيا لم يسلم منه بى مكرم ، ولا ملك معظم ، بل ولا أحد من البشر ، علم أنه
 يصيبه ما أصابهم ، فيتوبه ما تابهم . . . (١) .

ونقل من مقدمة أبى بكر محمد بن محمد بن على بن خنيس لكتابه « تاريخ
 مائة » ، الفقرة التالية : « إن أحسن ما يجب أن يعتنى به ، ويعلم بجانيه ، بعد
 الكتاب والسنه ، معرفة الأخبار ، وتقييم المتأقب والآثار ، ففيها تذكرة

بتقلب النعم بأبنائه ، وإعلام بما طرأ في سالف الأزمان من عجائب أوبائه ،
وتنبيه على أهل العلم الذين يجب أن تتبع آثارهم ، وتدون منابهم وأخبارهم ،
ليكونوا وكأنهم ماثلون بين عينيك مع الرجال ، ومتصرفون وخطابون لك
في كل حال ، ومعروفون بما هم به متصفون ، فيتلو سورهم من لم يعاين صورهم ،
ويشاهد محاسنهم من لم يعطه السن أن يعاينهم ، فيعرف بذلك مراتبهم ومناصبهم ،
ويعلم المتصرف منهم في المنقول والمفهوم ، والتميز في المحسوس والمرسوم ،
ويتحقق منهم من كسته الآداب حليها ، وأرضعته الرياسة ثديها ، فيجد في الطلب
ليلحق بهم ، ويتمسك بسلبهم ، (١) .

ونقل عن أبي إسحق إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن أبي الدم الفقيه الحنوى ،
موضحاً أهمية التاريخ بالنسبة للعلماء فقال : « إنما الفائدة في التاريخ الاسلامي مع
قربه من الصحة ، ذكره لعلاء الأمة المحمدية ، وذكر محاسنهم ، وعلومهم ،
ومواعظهم ، وحكمهم ، وسيرهم التي يستدل العامل بها في أموره ، ويتسدد بها
ويتفكر فيها ، فينتفع بما قالوه وعانوه ، وما ينقل عنهم من المحاسن دنيا
وأخرى » (٢) .

وقد اهتم ابن خلدون (ت ٨٠٩ هـ) في مقدمته بفن التاريخ ، فأشار إلى أنه
في الظاهر لا يبدو أن يكون مجرد أخبار عن الأيام والدول القديمة والأمم
الماضية ، ولكنه في الباطن نظر وتحقيق ، وتحليل دقيق للكائنات ومبادئها ، وهو
يطلعنا على أسباب الوقائع والأحداث ، وكيفية حدوثها (٣) . ثم خصص فصلاً

(١) السخاوي ، الامعان ، ص ٤١٧ ، ٤١٨

(٢) نفس المصدر ، ص ٤١٨

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وان ، القاهرة ، ١٩٥٧

تميدا عدد فيه فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه ، فقال : « اعلم أن فن التاريخ عزيز المذاهب ، جرم الفوائد ، شريف الغاية ، إذ هو يوقننا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم ، والآثياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياستهم ، حتى تتم قائمة الاقتداء في ذلك لمن يرويه في أحوال الدين والدنيا . ثم يشير إلى ما يحتاج إليه المؤرخ في تأريخه للأحداث ، من اتساع المعارف ، وحسن النظر ، والتثبت ، كي يفتكب عن المزالات والمغالط ، وينصح بعدم الاعتماد على المنقول ، وبضرورة إلمامه بقواعد السياسة وطبيعة العمران في الاجتماع الإنساني ، والاطلاع على طبائع الموجودات ، والإحاطة باختلاف الأمم والبقاع في السر والاخلاق والعوائد والتحل والمذاهب ، ومعرفة الحاضر من ذلك ، ومائلة ما بينه وبين الغائب . وتعليل المتفق منها والمختلف (١) .

كتاب - أخطاء المؤرخين العرب في رأى ابن خلدون :

يعتبر ابن خلدون أول من بحث من كتاب العرب في الاجتماع الإنساني ، والعمران ، ونظم الحكم والسياسة في العصر الاسلامي ، وأول من طبق منهم منهج البحث العلمي في الكتابة التاريخية ، فنظر إلى التاريخ العام الاسلامي نظرة شاملة ، واستخلص من الدراسات التاريخية السابقة عليه آراء جديدة في علم التاريخ ضمنها نظرات فلسفية ، تتضمن من النقد والتحليل ما لم تعرفه مصنفات العرب في التاريخ قبله ، وقد عمل ابن خلدون على تطبيق آرائه في فلسفة التاريخ ، عند تمرسه لدراسة تاريخ الدول الاسلامية في المشرق والمغرب ، على نحو يختلف عن نهج من سبقه من مؤرخي العرب ، وإن كان قد وقع في بعض الاغلاط التي

أخذها على غيره من المؤرخين (١).

وقد أخذ ابن خلدون على الباحثين في التاريخ والمصنفين له مأخذ تلخصها فيما يلي :

١ - نقل بعض المؤرخين روايات مصنفة لكتاب سابقين عليهم بأغلاطها وزلاتها ، أو يجلوها في كتاباتهم كما سمعوا ، دون أن يقوموا بتصفيتها من شوائبها أو تنقيحها ، ودون أن يسموا ذهنهم في فهمها ثم نقلها بعد ذلك . وفي ذلك يقول : « وإن تحول المؤرخين في الاسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وستروها في صفحات الدفاتر وأودعوها . وخططها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها أو ابتدعوها ، وزخارف من الروايات المضعفة افقوها ووضعوها ، وافقوا تلك آثار الكثير من بعدم واتبعوها ، وأدوها إلينا كما سمعوا ، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها . ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولادفعوها . فالتحقيق قليل ، وطرف التنقيح في الغالب قليل ، واللفظ والوهم نسيب للأخبار وخطيل ، والتقليد عريق في الأديمين وسليل (٢) . والنقل إذاً بهم دون أن يقوم الناقل بمراجعة ما نقله ودون قياس الماضي بالحاضر ، والغائب بالشاهد ، عده خطأ كبيراً ، وفي ذلك يقول ابن خلدون : « إن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني ، ولا قيس الغائب منها بالشاهد ، والحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن فيها من العصور ، ومزلة التقدم والحيد عن جادة الصدق ، وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في

(١) سيدة كاشف ، مصادر التاريخ الاسلامي ، ص ٦٠

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ج ١ ، ص ٢٠٩

الحكايات والوقائع ، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غشا أو سميئا ، لم يعرضوها على أصولها ، ولا قاسوها بأشباهها ، ولا سبروها بمقيار الحكمة ، والوقوف على طبائع الكائنات ، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار . . . (١) .

ويأتى ابن خلدون بشواهد تاريخية توضح نتائج الاعتماد على النقل دون تحكيم البصر والبصيرة فيما نقلوه خاصة فيما يتعلق بالإحصاءات العددية للجند والأموال ، فيذكر منها ما نقله المسعودى وغيره في جيوش بنى اسرائيل أن عدتهم في التيه ستائة ألف أو يزيدون ، وهو رقم مبالغ فيه ، لا يصح لمؤرخ مثل المسعودى أن ينقله دون تعليق أو نقد . ويشير ابن خلدون الى مبالغة المؤرخين في ذكر أعداد الجيوش ، أو في احصاء أموال الجبايات ، فيتجاوزوا في ذلك حدود المعقول ، وكان لابد لهؤلاء المؤرخين عند قيامهم بنقل هذه الأعداد التحقق من موافقتها للنطق .

٢ - ويعيب ابن خلدون على المؤرخين المعتمدين على النقل البعد عن الواقعية في سرد الحقائق التاريخية ، والاغراب في الخيال الى حد تزيف الخبر وتشويهه ، ويضرب أمثلة في ذلك . فيذكر أن بعض المؤرخين الذين ينقلون أخبار التبايع يذكرون خروجهم من قراهم باليمن الى افريقية من بلاد المغرب ، وأن إفريقش بن قيس بن صني من أعظم ملوكهم الاول ، وكان معاصراً لموسى عليه السلام على حد قولهم ، غزا افريقية وأثنى في البربر ، وأنه هو الذى أطلق عليهم اسم البربر عندما سمعهم يרטلون ، وأنه حجز هنالك قبل انصرافه من المغرب جماعات من القبائل الحيرية ، اختلطوا بأهل المغرب ، ومنهم صنهاجه وكتامة ، ومن هذا ذهب الطبرى والجرجاني والمسعودى وابن الكلبي الى القول بأن صنهاجه وكتامة من حمير (٢) .

(١) ابن خلدون ، نفس المصدر ، ص ٢١٩

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ص ٢٢٣

وواصل ابن خلدون حديثه عن هذه المبالغات الأسطورية التي لا يخلو منها كتاب يتناول تاريخ التباينة ، أو يتعرض لذكر عاد (١) ، ثم يورد أمثلة أخرى تصور الأخبار الملققة الموضوع لتبرير حادث من الحوادث وقع في العصر الإسلامي ، من ذلك ما أدخله المؤرخون من قصة العباسة أخت الرشيد مع جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي تبريراً لنكبة الرشيد للبرامكة ، ويرجح ابن خلدون السبب الحقيقي لنكبة البرامكة إلى استبدادهم بشؤون الدولة واحتجائهم أموال الجباية (٢) ، ثم يحدثنا ابن خلدون عن أخطاء المؤرخين الذين يطعنون في نسب العبيدين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة إلى اسماعيل الإمام بن جعفر الصادق ، اعتماداً على أحاديث نفقت للمستضعفين من خلفاء بني العباس تروفاً لإيهم بالمدح فيمن ناصبهم ، ويعيب ابن خلدون على هؤلاء المؤرخين غفلتهم عن التفتن لشواهد الواقعات وأدلة الأحوال التي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعوام والرد عليهم (٣) . ومن الأمثلة التي يوردها ابن خلدون في الطعن في الأساليب ، ما ذكره في نسب إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن ، والتشكيك في نسبه إلى أبيه الإمام إدريس الأول فيزعم هؤلاء أنه لراشد مولى إدريس فيقول : « ما أجملهم ! أما يعلمون أن إدريس الأكبر كان أصباره في البربر وأنه منذ دخل المغرب إلى أن توفاه الله عز وجل عريق في البدو ، وأن حال البادية في مثل ذلك غير خافية ، إذ لا مكان لهم يتأق فيها الرب ، وأحوال حرمهم أجمعين برآى من جاراتهن لتلاصق الجدران ، وتطامن البنيان ، وعدم القواصل بين المساكن » (٤) .

(١) قس المصدر ، ص ٢٢٧

(٢) قس المصدر ، ص ٢٣٠

(٣) قس المصدر ، ص ٢٤٠

(٤) قس المصدر ، المقدمة ، ج ١ ص ٢٤٤

٣ — ومن الأخطاء الشائعة التي يقع فيها المؤرخون غفلتهم عن تبدل أحوال الأمم والأجيال بمرور العصور والأيام . واعتقادهم أن أحوال العالم في عصرهم هي نفسها في العصور الماضية لم تتغير ، فيحكمون على الشخصيات التاريخية القديمة على أنها معاصرة لهم ، فيقول : « ومن الغلط الخفي في التاريخ الدهول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الأعصار ومرار الأيام ، وهو داء دوى شديد الخطاء ، إذ لا يقع إلا بعد أحقاب متطاولة ، فلا يكاد يفتن له إلا الآحاد من أهل الخليقة . وذلك أن أحوال العالم والأمم وعواظهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر ، إنما هو اختلاف على الأيام والازمنة ، وانتقال من حال إلى حال » (١) . ثم يقول : « فربما يسمع السامع كثيراً من أخبار الماضين ، ولا يفتن لما وقع من تغير الأحوال وانقلابها ، فيجرىها لأول وهلة على ما عرف ، وبقيتها بما شهد ، وقد يكون الفرق بينهما كثيراً ، فيقع في مهواة من الغلط » (٢) .

وبأق ابن خلدون بأمانة في هذا الباب ، فيشير إلى ما يقع فيه بعض المؤرخين المتأخرين والمتصفحين لكذب التاريخ عندما يظنون أن ابن أبي عامر الحاجب المستبد على هشام المؤيد ، وكان قاضياً للواريث في زمن الحكم المستنصر ويخرج في نفس الوقت بالمكر ، أن خطة القضاء في ذلك العهد تماثل خطة القضاء في زمنهم .

(١) نفس المصدر ، ص ٢٥٢

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٥٤

ج - الشروط الملزمة لتوفرها في الكتابة التاريخية

(في رأى ابن خلدون والسخاوى)

يشترط ابن خلدون في المؤرخ أن يكون عالماً بقواعد السياسة وطبائع الموجودات ، واختلاف الأمم والبقاع والأعصار في السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال ، والاحاطة بالحاضر من ذلك ، ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق أو يور ما بينهما من الخلاف ، وتعليل المتفق منها والمختلف ، والقيام على أصول الدول والملل ، ومبادئ ظهورها وأسباب حدوثها ، ودواعي كونها ، وأحوال القائمين بها وأخبارهم ، حتى يكون مستوعباً لأسباب كل حادث . وفقاً على أصول كل خبر (١) . ويشترط السخاوى في المؤرخ أن تتوفر فيه العدالة مع الضبط التام والتحرى في العادات . وعدم المداينة للسدوح والزلز واستخدام الاشارات الخفية لشخص يفضنه بسبب منافية في رتبة ، أو اختلاف في رأى أو مانحو ذلك (٢) . والمؤرخ الفاضل لا ينبغي أن يصرح بالتجريح اى باتهام زميل له بتهمة الكذب أو الوضع ، اذا كان قد أخطأ في أمر من الامور . والافضل أن يكسر القاطع أحسنها ، اذا أراد الجرح ، أو بأدنى تصريح (٣) . كذلك لا ينبغي للمؤرخ الفاضل أن يجرم بأمر من الامور اذا كان هذا يحتمل قولين ، فلا بد له من الإحتياط والوقوف ، الى أن يصل في حكمه بتأويل صحيح . ويشترط السخاوى أيضاً أن يكون عارفاً بما ينقله من غيره ، حتى لا يجرم الا بما يتحققه ، فان لم يحصل له مستند معتد في الرواية ، لم يجر له

(١) نفس المصدر ، ٢٥٩

(٢) السخاوى الاعلان ، ص ٤٨٢ ومايليها

(٣) نفس المصدر ، ص ٤٩٢

النقل لقوله صلى الله عليه وسلم (كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع) ، وليكون بذلك محترزا عن وقوع المجازفة والبهتان ، والافتئات والعُدوان ، وهو لا يشعر ولا يبصر ، (١) ، كما يشترط أيضاً في المؤرخ التمييز بين المقبول والمردود ، وبين الرفيع والوضيع ، وفهم الالفاظ ومواقفها خوفاً من اطلاق الفاظ لاتليق بالمرءين ، والصلاح والتقوى ، حتى لا يأخذ بالتوهم والقرائن التي تختلف (٢) .

(١) نفس المصدر ، ص ٤٦٤

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٦٨ - التبر المسبوك ، ص ٤

الفصل الثاني

نشأة علم التاريخ عند العرب

(١)

أخبار العرب في الجاهلية

وصلت إلينا أخبار العرب في الجاهلية الأولى ، التي سجلها المؤرخون في مدوناتهم لأول مرة في العصر الأموي ، مشوهة ، لا تعدو أن تكون أخباراً يغلب عليها الطابع الأسطوري ، أو أخباراً أدخلها المغرضون من اعتقوا الإسلام من أهل الكتاب ، لاسيما ما كان يتعلق منها بتاريخ اليمن وأخبار ملوكها وأقبالها . أما التاريخ الجاهلي القريب من الإسلام ، والذي وصل إلينا في المصادر العربية ، فأقرب بكثير إلى الواقع التاريخي من الروايات التي سجلها الأخباريون عن عصر الجاهلية الأولى المرفقة في القدم ، لأن أخباره كانت ماتزال ثابتة في ذاكرة القوم قريبا من أحداث عصر النبوة . ولاتصالها الوثيق بحياة الرسول قبل المبعث . وحتى هذه الأخبار القرية في جاهليتها إلى الإسلام ، رغم قربها من الواقع التاريخي عن غيرها من أخبار الجاهلية الأولى ، لا تتخلو من تحريف وقصص ، الأمر الذي دعا الدارسين في تاريخ العرب في هذه الحقبة إلى بذل جهود هائلة لتصنيفها عما يشوبها من التحريف (١) .

ويرجع السبب في تشويه أخبار الجاهلية الأولى واضطرابها ، واختلاطها

(١) السيد عبد العزيز سالم ، دراسات في تاريخ العرب ، الجزء الأول ، عصر ما قبل

بالقصص والاساطير إلى انتشار الآمية بين العرب قبل الإسلام، ففضل الرواة الحفظ على الكتابة، واعتمدوا على الذاكرة^(١)، ولذلك ظلت هذه الاخبار تتداول شفاهاً على الالسة جيلاً بعد جيل، ولحمة إثر لحمة، إلى أن دونت في العصر الاموي عندما ثبتت دعائم الدولة الإسلامية واستقرت أركانها، وبدأ العرب يعنون بأخبارهم القديمة، وقد دخل فيها الكثير من عناصر القصص. ولم تدون هذه الاخبار قبل العصر الاموي لعوامل ثلاثة: الاول — أن العرب بعد الإسلام نظروا إلى عصر الجاهلية على أنه عصر انحطاط أخلاق^(٢)، فلم يهتموا برواية اخباره الإهتمام الكافي، والثاني — أن العرب شغلوا بالدعوة الإسلامية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، كما شغلوا بالفتوحات الإسلامية والتنظيمات الإدارية والإقتصادية والدفاعية للدولة العربية الإسلامية في زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، وبفترة الامصار في خلافة عثمان، وبالصراع بين أهل العراق وأهل الشام في خلافة علي، وبالصراع بين المصيتين العربيتين اليمنية والمضرية في زمن مروان بن الحكم، ومن جاء بعده من خلفاء بني أمية؛ عن تدوين أخبارهم القديمة. أما العامل الثالث فيرجع إلى أن المواد التي كان يسجل عليها العرب أخبارهم كانت سهلة الكسر، سريعة الضياع.

ولاشك أن أخباراً جاهلية، تنقل على هذا النحو في العصر الاموي، على لسان الزوادم لم تكن تعدو قصصاً خرافية وأساطير تخلو من الصفة التاريخية، وثبتت عن الحسن والمتنظور التاريخيين الذين يعتمدان على النقل والتحليل والنظر

(١) عبد المنعم باجيد، مدينة لدراسة التاريخ الإسلامي، ص ٧٢. — سيدة اسماعيل كاشف، مصادر التاريخ الإسلامي، ص ١٢ — روزنتال، ص ٩٨ — هاملتون جب، حواصات في حضارة الإسلام، ص ١٤٤ وما يليها.

(٢) روزنتال، ص ٣٠

والتحقيق (١). هذه الاخبار على حد قول ابن خلدون « بعيدة عن الصحة ، عريقة في الروم والغلط ، وأشبه بأحاديث القصص الموضوعة » (٢) ، وهي لذلك لا يمكن الوثوق بها أو الاعتماد عليها لما تتضمنه من مبالغات وخرافات (٣) . ومعظم ما وصلنا في كتب الأخباريين يتناول أخبار الين وملوكها من التبابعة ، وأخبار عاد وثمود وطسم وجديس وجرم ، أو يتضمن أخباراً وقصصاً عن بني اسرائيل . أما في شمال الجزيرة العربية فالأمر يختلف كثيراً ، فقد كان لدى المناذرة كتب تتضمن أخباراً تفصيلية عن عرب الحيرة وأنسابهم وسير ملوكهم ، كانت محفوظة في بيع الحيرة أفاد منها ابن الكلبي في مصنفه عن الحيرة (٤) ، ومنها استقى ابن هشام والطبري وغيرهما أجزاء كبيرة من مادتهم التاريخية . كذلك كان لعرب الحجاز أخبارهم عن أحوالهم الاجتماعية والانساب تتمثل في أيامهم وأشعارهم ، وأيام العرب بمجموعة روايات شفوية قبلية جماعية تتخللها الأشعار ، جمعت في القرن الثاني للهجرة (٥) . ومع أن روايات الأيام مضطربة من الناحية الزمنية والتوقيت كما أنها لم تكن تخلو من عصبية ، بالإضافة إلى أنه ينقصها التماسك والحيكة التاريخية ، فإنها مع ذلك كانت تتضمن كثيراً من الحقائق

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ج ١ ص ٢٠٩

(٢) هــ المصـبـور ، ٢٢٤

(٣) جـ ب ، علم التاريخ حائرة المعارف الاسلامية ، القسم العرب ، ص ٤٨٣ (مجلد

٤٤ عدد ٨)

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، المجلد الأول ، قسم ٢ ، تحتوي على غوبة

لندن ١٨٨١ — ١٨٨٢ ص ٧٧٠ . يقول هشام « كنت استخرج أخبار العرب وأنساب آل

نصر بن زبيدة ومبالغ أعمار من عمل منهم لأن كسرى وتاريخ سنهم من بيع الحيرة »

(٥) عبد العزيز الدوري ، نشأة علم التاريخ منذ العرب ، ص ١٧

التاريخية (١)، بحيث يطالب حاجي خليفة بحملها فرعاً من فروع التاريخ (٢). أما الشعر العربي في الجاهلية فقد كانت له أهمية في إطلاعنا على الأحوال الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام، فهو ديوان العرب، وبه حفظت الانساب، وعرفت المآثر، ومنه تعلمت اللغة العربية (٣). وإلى جانب الشعر العربي وأيام العرب في الجاهلية، أهتم العرب في الجاهلية بحفظ الانساب القبلية، ولا يخفى ما لرواية الانساب من أهمية كبرى بالنسبة للدراسة التاريخية.

وشهد القرنان الأول والثاني للهجرة اهتماماً خاصاً بدراسة أخبار العرب في الجاهلية والإسلام، وأخبار الأمم والشعوب التي اتصلت بهم أو اتصلوا بها، وتألف من مجموع هذه الأخبار مجموعة من الكتابات التاريخية في أخبار اليمن وأشعارها، وفي أخبار وقائع العرب في الجاهلية، ومن المؤرخين العرب الذين اشتغلوا برواية أخبار العرب قبل الإسلام عبيد بن شربة الجرهمي اليمني، وهب بن منبه (ت ١١٠ هـ)، ومحمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦ هـ)، وابنه أبو المنذر هشام بن محمد (ت ٢٠٤ هـ)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى القيسمي (ت ٢٠٩ هـ). وإلى هؤلاء المؤرخين نضيف جماعة من الأخباريين ممن كان لهم إهتمام كبير بالانساب والشعر، نخص منهم بالذكر أبا مخنف الأزدي (ت ١٥٧ هـ)، وعوانه بن الحكم الكوفي (ت ١٤٧ هـ)، وسيف بن عمر (ت ١٨٠ هـ)، ونصر بن مزاحم (ت ٢١٢ هـ).

(١) جب، علم التاريخ، طائفة المعارف الإسلامية، القسم المغرب، ص ٤٨٤

(٢) حاجي خليفة، كشف الظنون، طبعة استنبول، ج ١ ص ٢٠٤ (١٩٤١)

(٣) القرشي، جبهة أشعار العرب، بولاق ١٣٣٨ هـ، ص ٣ — السويطي، الزمر

في علوم اللغة، شرح الأستاذ محمد أحمد جاد المولى وآخرين، ج ٢ ص ٤٧٠، أحمد أمين

لجبر الإسلام، ص ٥٧ — السيد عبد العزيز سالم، عصر ما قبل الإسلام، ص ٣٦

وعلى بن محمد المداقي (ت ٢٢٥ هـ)، وعن أهم جغرافية بلاد العرب بنو خلدون
أبو محمد الحسن بن أحمد المداقي (ت ٣٣٤).

ومادمتنا نتحدث عن أخبار العرب في الجاهلية، فنستغني بذكر الفريقين
الأول من المؤرخين الذين عنوانوا بالكتابة عن الجاهلية:

١ - عبيد بن شريك الجهمي البجلي :

اختلفوا في أصله، فروى أنه كان من أهل صنعاء، وقيل إنه من الرقة بالعراق،
والأرجح أنه كان يمنيًا وجرهياً بالذات، وكان قصاصاً أخبارياً، أدرك النبي صلى الله
عليه وسلم، ولكنه لم يسمع منه شيئاً. ثم وفد على معاوية بن أبي سفيان، وبرز
في بلاطه (١)، وذكروا أنه كان يسمع معاوية كل ليلة شيئاً من أخبار العرب
وأيامها وأخبار العجم وملوكها وسياساتها رعيها (٢)، وأنه ألف له كتاب
الملوك وأخبار الماضين، (٣) الذي طبع في ذيل كتاب التيجان في ملوك حمير،
المنشور في حيدر أباد دكن في الهند سنة ١٣٤٧ هـ بعنوان «أخبار عبيد بن شريك
الجهمي في أخبار اليمن وأشعارها ونسائها»، لآبي محمد بن هشام بن أيوب
الحميري (ت ٢١٣). وكتاب ابن شريك يتضمن كثيراً من أخبار العرب في
الجاهلية، كما يشتمل على كثير من الأشعار التي وضعت على لسان عاد وثمود

(١) ابن قتيبة، كتاب المآثر، ص ١٨١ — المسعودي، مروج الذهب ومعارف
الجبهر، ج ٢، طبعة محمد الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥٨ م ص ٨٥.

(٢) المسعودي، المصدر السابق، ج ٢ ص ٤٠.

(٣) راجع مقدسة الدكتور نبيه أمين فارسي للجزء الثامن من كتاب الأكليل، يونس

وطسم وجديس والتبابعة . كذلك يضم الكتاب بعض أخبار عن بني اسرائيل :
ويقلب على جميع هذه الاخبار طابع القصص الشعبي المتأثر بالاسرائيليات (٢) .
وقد أفاد الحمداني في كتابه الإكليل من أخبار عبيد بن شربة ، فقلل تنفا منها .

وهب بن منبه :

كان يمتيا من اهل ذمار ، وأصله فارسي ، وقيل انه كان يهوديا واسلم .
وينسبون إليه معظم الاسرائيليات الواردة في المصادر العربية ، وقد ركز وهب
بن منبه اهتمامه على اخبار الين في الجاهلية ، وهو في ذلك يعتمد على مصادر نصرانية ،
إذ ان روايته عن نصارى نجران تطابق الروايات النصرانية (٣) . ومن الكتب
المنسوبة إليه كتاب الملوك المتوجة من حير واخبارهم وقصصهم وقبورهم
واشعارهم ، ، وقد وصلت إلينا اجزاء منه في كتاب التيجان في ملوك حير ، لابن
حشام .

ويقلب على اخبار وهب طابع القصص الشعبي الخرافي ، وقد حمل ذلك
المؤرخ هاملتون جب إلى القول بأن كتابي وهب بن منبه وعبيد بن شربة يمدانا
ببرهان ساطع على أن العرب الاول كانوا يفتخرون إلى الحس والمنظور التاريخيين

(١) جواد علي ، العرب قبل الاسلام ، ج ١ ص ٤٤ — عيد الزيز الدوري ، نشأة
علم التاريخ ، ٢٦ . والمقصود بالاسرائيليات القصص والاساطير المأخوذة عن العهد القديم ، وقد
جمع وهب بن منبه وعبيد بن شربة من هذه القصص ما كان متداولاً بين المسلمين وخاصة مارواه
كتب الاخبار (ت ٣٢ — ٣٤ هـ) وعبد الله بن سلام (ت حوالي ٤٠ هـ) ، وأما
أبها ما تكتنا من جهة عن طريق اتصالهما بأهل الكتاب ، ومن دراستهما الشخصية
للكتب المقدسة .

(٢) جواد علي ، ج ١ ص ٤٥

حق عندما يتطرقان إلى ذكر أحداث تكاد تكون معاصرة لما (١).

وينسب إلى وهب كذلك كتاب المبتدأ ، الذي يشير عنوانه إلى ابتداء الخليقة ، وهو أول محاولة عند العرب لكتابة تاريخ الرسالات . وقد اعتمد عليه ابن قتيبة في المعارف (٢) ، والطبري في كتابه تاريخ الرسل والملوك (٣) ، والمقدسي في كتابه البدء والتاريخ (٤) ، واحمد بن محمد الثعلبي في كتابه عرائس المجالس في قصص الانبياء ، وقد وجد انجمه في كتابة التاريخ العالمي منذ بدء الخلق صدى قويا عند مؤرخ مشهور من مؤرخي المدينة هو ابن اسحق (٥) . كذلك ينسبون إلى وهب كتاب المغازي الذي لم يبق منه إلا مجموعة أوراق مخطوطة ما زالت محفوظة في مكتبة هيدلبرج بألمانيا ، وكان قد عثر عليها الأستاذ يسكر (٦) وقد اعتمد الطبري على كثير من أقوال وهب بن منبه في تفسيره الكبير (٧) .

وكان وهب بن منبه يجيد عدداً من اللغات القديمة ، فقد كان يتقن اليونانية والسريانية والحميرية ، كما كان يستطيع قراءة الكتابات القديمة التي يتعد على

(١) جب ، دراسات في حضارة الاسلام ، ١٤٤ .

(٢) كثيراً ما تردد اسم وهب في صفحات كتاب المعارف لابن قتيبة في الفصل الخامس

بمبدأ الخلق (ابن قتيبة ، كتاب المعارف ، القاهرة ١٣٠٠ هـ م ٣٠)

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق دى غوية ، لندن ١٨٨١

(٤) مطهر بن طاهر المقدسي ، كتاب البدء والتاريخ ، نشره كسان هوار ، باريس

١٨٩٩

(٥) عبد العزيز الدوري ، نشأة علم التاريخ ، ص ٢٦ — جب ، علم التاريخ ، دائرة

المعارف الاسلامية ، ص ٤٨٧

(٦) أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٣٢٣ — عبد العزيز الدوري ، المرجع

السابق ، ص ٢٥

(٧) هامنون جب ، المرجع السابق ، ص ١٤٤

العلماء في زمنه قراءتها ، وفي ذلك يقول المسعودي نقلا عن عثمان بن مرة التحوطاني : « لما ابتدأ الوليد ببناء مسجد دمشق ، وجد في حائط المسجد لوحا من حجارة فيه كتابة باليونانية ، فعرض على جماعة من أهل الكتاب ، فلم يقدروا على قراءته ، فوجه به إلى وهب بن منبه ، فقال : هذا مكتوب أيام سليمان بن داود عليها السلام ، فقرأه » (١) .

٣ - هشام بن محمد بن السائب الكلبي :

كان أبو محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦ هـ) عالما بالانساب والفقه والتاريخ ، وتشير دراساته للانساب إلى محاولة لجمع الروايات القبلية معتمداً على أفضل نسبة في كل قبيلة (٢) ، وخلفه ابنه أبو المنذر هشام في هذا العلم ، فتبع دراسات أبيه في الانساب وتقدم بها ، وقد وصل إلينا قطعة من كتابه « أجمرة النسب » بخطوطه محفوظة في المتحف البريطاني . ويتضمن ملاحظات عن مشاهير الرجال . ويقول عنه ابن قتيبة « كان هشام اعلم الناس بالانساب اخذ هذا العلم عن أبيه » (٣) ، اما عن دراساته التاريخية فغزيرة متنوعة . فقد تعرض لتاريخ الانبياء ، وتاريخ العرب في الجاهلية وذكر أيامهم . كما تناول تاريخ الفرس ، وتاريخ العرب في العصر الاسلامي ، ولذلك يعتبر هشام من اعظم الاخباريين في تاريخ العرب في الجاهلية وكان يعتمد على الاصول والمصادر التاريخية التي تتعلق بموضوع دراساته ؛ ففي تاريخ الانبياء كان يعتمد على اهل الكتاب ، وفي تاريخ الفرس

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ١٦٦ وما يليها

(٢) عبد العزيز الدوري ، المرجع السابق ، ص ٤٠

(٣) ابن قتيبة ، كتاب المعارف ، ص ١٨١

كان يستقى مادته من الترجمات عن الفارسية وعن الأخبار والتقصص الهندية ، و قد دراسته عن تاريخ الصين يستمد مادته من القصص الشعبي المتواتر في تاريخ الصين (١) ، وفي بحثه عن الحيرة (٢) يعتمد على محفوظات كنائس الحيرة ، وهي المواد الفارسية المترجمة .

ولطشام بن محمد الكلبي كتب كثيرة ذكرها ابن النديم في الفهرست ، يبلغ عددها نحو ١٤٠ كتاباً ، وصل إلينا منها قطعة من كتاب جهرة النسب ، ووصل إلينا كتاب « الأصنام » الذي نشر بمصر (٣) ، وكتاب « نسب خول الخيل في الجاهلية والإسلام » . وقد أفاد كثير من مؤرخي العرب بالطبرى والمسعودي وابن قتيبة . ومع ذلك فقد اتهم هشام وأبوه بالوضع (٤) ، ومنجب جماعة من العلماء الرواية عنه ، ولكن الأستاذ بروكلمان يدافع عنه (٥) ، كما يدافع عنه أيضاً الأستاذ أحمد زكي محقق كتاب الأصنام (٦) .

(١) عبد العزيز الدوري ، ص ٤١ .

(٢) ذكر ابن النديم في الفهرست كتابين من تأليفه بعنوان : « كتاب الحيرة » ،

وكتاب « العيبة ونسبة البيع والديارات ونسب البادين » (راجع روزقالي ، ص ٣٩٠)

— جيب ، علم التاريخ ص ٤٨٥)

(٣) ابن الكلبي ، كتاب الأصنام ، نشره أحمد زكي باشا ، بولاق ١٣٣٢ ، وموزعة

بالمكتبة القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥ .

(٤) أبو الفرج الأنصاري ، كتاب الأغاني ، ج ١ ص ١٩ — راجع أيضاً مقدمة

كتاب الأصنام ، ص ١٤ .

(٥) جب ، المرجع السابق ، ص ١٤٧ — جواد علي ، ج ١ ص ٤٧ .

(٦) مقسمة كتاب الأصنام ، ص ٣٢٩١ .

٤- أبو عبيدة معمر بن هاشم التميمي:

كان فارسي الأصل، يهودى الآباء، ولكنه كان عربياً تميمياً أو تميمياً بالولاء (١)، وهو لذلك السبب كان على جانب كبير من الثقافة والاطلاع، إذ جمع بين الثقافات الفارسية واليهودية والعربية، وقد أخذ أبو عبيدة من شيوخه أمثال أبو عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب، وعمد إلى روايات البدو لجمعها، ولذلك كان يعتبر من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وألسانها ولغاتها.

وأبو عبيدة من طلائع مؤرخي العرب في الجاهلية والإسلام، اهتم بصفة خاصة ببلاد العرب الشمالية، فروى عن أخبار قبائلها وأيامها، كما شملت أخباره قسماً من التاريخ الإسلامي فأحاطت بتاريخ العرب في عصر النبوة والفتوحات الإسلامية (٢). وقد صنف أبو عبيدة عدداً كبيراً من الكتب عن المدن والأصهار، وعن المناخر، ود المثالب، القبلية، وفي الأخبار، وعن شخصيات تاريخية، وعن المعارك، وعن الأحزاب (وخاصة الخوارج)، وعن القضاة، وعن الموالي، بالإضافة إلى دراساته في القرآن والحديث والشعر (٣). وذكر في الفهرست أنه كان شعوبياً يظن في الألسان ويؤلف في مثالب العرب (٤). ويصل الأستاذ أحمد أمين نزعة الشعوبية بأصله الفارسي الذي حرره من الخضوع

(١) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج ٢، ص ٣٠٤.

(٢) من بين كتبه في الفتوحات، كتاب فتوح أرمينية، وكتاب السرد وفتح،

وكتاب فتح الأهواز، وكتاب خراسان (روزيثال ص ٢٨٤)

(٣) الدوري، ص ٤٤.

(٤) نجر الإسلام، ص ٢٦٥ - ضحى الإسلام، ج ٢، ص ٣٠٤.

للمصيبة العربية (١) ، ولكن الأستاذ جب يرفع عنه التهمة (٢) ، ويحذر ما انتهى
به حجة على البراية المجردة من ثوب الغرض والتحيز لا عن التحيز للمفسر
لذاته (٣) .

٥- أبو محمد الحسن بن محمد بن يعقوب المعروف بابن الخليل الهمداني :
هو مؤرخ يمني ، عرف بسعة الاطلاع ، ودقة التعريف بمواضع جزيرة
العرب بوجه عام ، واليمن بوجه خاص ، ووصفها ، وذكر قبائلها ، وتاريخها .
ولد في صنعاء في زمن غير معروف ، ونشأ بصنعاء ، ثم رحل إلى بلاد العرب ،
وارتادها دارسا معالمها وآثارها ، وأقام حيناً من الوقت بمكة ، اتصل خلاله
بعلمائها ومؤرخيها ، ثم عاد إلى اليمن ، وأقام بصعدة ، إلى أن اتهم بهجاء النبي ،
فجز به في السجن ، وتوفي في سجنه في عام ٣٢٤ هـ (١) .

ويصنف كتابه « صفة جزيرة العرب » من أهم مصادر تاريخ العرب في
الجاهلية ، خاصة في القسم الجنوبي من الجزيرة العربية ، لدقته البالغة في وصف
الآثار ، واعتماده على المشاهدة (٢) . وقد ساعدت معرفته بخط المسند الحميري
على قراءة الكتابات الأثرية والنقوش التي شاهدها في المواضع التي ارتادها (٣) .

-
- (١) أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج ٢ ، ص ٣٠٥ .
(٢) هاملتون جب ، دراسات في حضارة الإسلام ، ص ١٤٦ .
(٣) جب ، علم التاريخ ، دائرة المعارف الإسلامية ، ص ٤٨٥ .
(٤) السيوطي ، بنية الوعاة ، القاهرة ، ١٣٢٦ هـ ، ص ٢١٧ .
(٥) الهمداني ، كتاب صفة جزيرة العرب ، لفر محمد بن عبد الله بن يلهيد التجدي ،
١٩٥٣ .
(٦) زورث في كتابه الإكليل عبارات يفهم منها أنه كان عارفاً بالخط المسند (الإكليل ،
ج ٨ ، لفره نبيه أمين فارس ، ص ٤٢ ، ٥٣) .

وكتابه الاكليل أهم ما ألفه في ماضى الزمن قبل أن يصنف كتاب «صفة جزيرة العرب» ، ويتكون الإكليل من عشرة أجزاء لم يصل إلينا منها سوى الجزء الأول والثاني . والجزءان الثامن والعاشر (١) . والقسم الأعظم من كتاب الإكليل يتضمن وصفاً لآثار الزمن المعمارية من قصور وسدود وقلاع ومدن وهياكل ، وصفها الممداني وصفاً دقيقاً ، اعتمد فيه على المعاينة والفحص الدقيق . ويعتبر الممداني أول رحالة ارتاد الزمن ، ووصف آثارها ، وقرأ نقوشها قبل أن يقوم الرواد الأوربيون في العصر الحديث بهذا العمل بقرون طويلة .

(١) راجع مقدمة كتاب الإكليل ، الجزء العاشر ، نشره جيب الدين الجليلي ، القاهرة

(٢)

كتاب السيرة والمغازي وبرايز الكتابة التاريخية عند العرب

أ - مدرسة التاريخ في المدينة .

ازدهرت الحركة العلمية في العصرين الأموي والعباسي ، وقامت مراكز علمية هامة في الأمصار الإسلامية ، ففي الحجاز تألفت الحركة العلمية في مكة والمدينة ، وفي العراق اشتهرت البصرة والكوفة في العصر الأموي في علوم النحو والصرف واللغة ، وفي الأدب ، وفي الكلام ، وفي التاريخ ، وانضمت اليها بغداد في العصر العباسي ، ونافستهما في الشهرة العلمية . وفي مصر كانت القسطنطينية المركز العلمي الاول في القرآن الحديث والفقه بوجه خاص ، وكان مركزها جامع عمرو بالنسطاط . أما في الشام فقد ازدهرت فيه الحركة الدينية ، وظهر به علماء أجلاء في الفقه والحديث ، وكان مركزها جامع دمشق .

والقرآن هو المصدر الاول لدراسة علم التاريخ عند العرب ، وبلية الحديث والسنة ، وكانت بداية التأليف العلمي في التاريخ وثيقة الصلة بهذين المصدرين ، وعلى هذا الاساس كان علم التاريخ العربي الاسلامي عند نشأته يقوم بادي ذي بدء على دراسة سيرة النبي وأخبار النزوات ومن أسهم فيها ، وكان مركز النشاط في هذه الحركة التاريخية يمثل في مكة والمدينة . وكان المؤرخون الاول من المسلمين يعتمدون فيه على الروايات الشفهية شأنهم في ذلك شأن رواة الحديث ، فكان كل سجيل منهم يستند أخباره من الجيل السابق ، وكان الخبر التاريخي يستند من السامع عن الحفاظ الموثوق بهم وهو ما يعرف بالاسانيد ، وهي وسيلة للاجتماع على صحة الخبر ، وهي نفس الوسيلة التي اتبعها المحدثون في روايتهم الحديث ، مما يدل على أن التاريخ العربي عند نشأته سلك نفس الطريقة التي سلكها الحديث ،

فكان الخبر التاريخي على هذا النحو يتألف من عنصرين : رواية الخبر على التابع، ويعرف ذلك بالسند أو الإسناد، ثم نص الخبر ويسمى المتن (١) . . . ويتخذ ابن خلدون هذه الطريقة في رواية الخبر، ويهاجم الاخباريين بقوله : « كثير ما وقع للورخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع ، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو رقيقا ، لم يرضوها على أصولها ، ولا قاسوها بأشباهها ، ولا سبروها بميزان الحكمة ، والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار ، فضلوا عن الحق ، وتاهوا في بيضاء الوهم والغلط » (٢) . وفي موضع آخر يقول : « فقد زلت أقدام كثير من الإثبات والمؤرخين الحفاظ في مثل هذه الأحاديث والآراء ، وعلقت بأفكارهم ، ونقلها عنهم الكافة من ضعفة النظر والغفلة عن القياس ، وتلقوها هم أيضا كذلك من غير بحث ولا روية » (٣) .

وأقدم الكتب التاريخية التي تجمع بين الحديث والتاريخ هي كتب المغازي والسيرة ، فقد دفع اهتمام المسلمين بأقوال الرسول وأفعاله للاعتداد بها والاعتقاد عليها في التشريع الإسلامي ، وفي النظم الإدارية ، الكتاب إلى الكتابة في سيرة الرسول وفي مغازيه ومغازي الصحابة (٤) ، وكان من الطبيعي أن تتألق هذه الحركة في المدينة باعتبارها دار هجرة الرسول ودار السنة التي عاش فيها الصحابة ، وسمعوا أحاديث الرسول ورووها بدورهم إلى التابعين .

ويتقسم مؤرخو السيرة والمغازي في مدرسة المدينة ومكة إلى ثلاث طبقات :

(١) ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٣١٩ — عبد العزيز الدوري ، ص ٢٠ — سيفة كاشف ص ٢٥

(٢) مقدمة ابن خلدون ، ج ١ ص ٢١٩

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٥١

(٤) ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٣١٩ — الدوري ، ص ٢٠ ، ١٩

فبرز في الطبقة الأولى منهم : أبان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥ هـ) وعروة
الزبير (ت ٩٢ هـ) ، وشرحبيل بن سعد (ت ١٢٣ هـ) . ومن رجال الطبقة الثانية :
عبد الله بن أبي بكر بن حزم (ت ١٢٥ هـ) ، وعاصم بن عمرو بن قتادة (ت ١٢٠ هـ) ،
وابن شهاب الزهري (ت ١٢٤ هـ) . ومن رجال الطبقة الثالثة : موسى بن عقبة
(ت ١٤١ هـ) ، ومحمد بن اسحاق بن يسار (ت ١٥٢ هـ) ، والواقدي (ت ٢٠٧ هـ) .
وكلهم من المدينة دار السنة باستثناء ابن شهاب الزهري فهو مكي ، ونضيف إليه
وعب بن منبه الذي كتب في السيرة بجانب كتاباته في قصص الأنبياء وأخبار
القديس .

الطبقة الأولى :

١ — أبان بن عثمان بن عفان : كان والياً على المدينة في خلافة عبد الملك بن
مروان ، واشتهر بالحديث والفقه ولكنه كان يميل إلى دراسة المغازي ، وكتابته
في المغازي لا تعدو أن تكون محققاً تضمنت أحاديث عن حياة الرسول . ولم
ينقل له أو يرو عنه أحد من كتاب السيرة الأول كابن سعد وابن هشام ، شيئاً في
السيرة (١) . ويعلل الدكتور الدوري ذلك بأنه فيما يظهر كان يمثل مرحلة انتقال
بين دراسة الحديث ودراسة المغازي (٢) .

٢ — عروة بن الزبير بن القوام : ينسب إلى بيت من أشرف بيت

(١) سيدة كاشف ، مصادر التاريخ الإسلامي ، ص ٢٦ .

(٢) ضحى الإسلام ، ج ٢ ص ٣٢١ .

(٣) الدوري ، ص ٢١ .

العرب (١)، ويدخل في عداد الطبقة الأولى من مؤرخي السيرة، وكان ثقة فيما يرويه من الحديث، فقد مكنته لسه من أن يروي الكثير من الأخبار والاجاديد عن النبي صلى الله عليه وسلم، فروى منها عن أبيه الزبير، وعن أمه أسماء، وعن خالته عائشة (٢)، وعن أبي ذر. نشأ عروة في المدينة، وأخذ الحديث عن كثير من الصحابة أمثال: أبوه الزبير، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمرو، وابن عباس (٣). ثم رحل إلى مصر وأقام بها ما يقرب من سبع سنوات، وتزوج فيها، وزار دمشق عدة مرات.

✽ وعن عروة أخذ ابنه هشام بن عروة، وابن شهاب الزهري. وكان لعروة ابن الزبير فضل كبير على كتاب السيرة كابن هشام وابن سعد، إذ يدين كلاهما بجزء كبير من كتابتهما لما رواه عروة، وكذلك رجع إليه الطبري في صفحات عديدة من كتابه تاريخ الأمم والملوك، كما وردت فقرات من مغازيه في مصنفات الواقدي وابن كثير، فتناول جوانب متعددة من حياة الرسول (٤)، ولم تقتصر كتابات عروة على المغازي، فقد تجاوزتها إلى فترة الخلفاء الراشدين، ويتضح هذا في بعض المقتبسات التي وصلت إلينا في تاريخ الأمم والملوك للطبري، إذ تعرض في ذكر غزوة أسامة بن زيد، وخبر ردة القبائل، وخبر أجنادين، وخبر وقعة اليرموك، وخبر وقعة الجمل، ولكن رواياته في هذا الشأن قصيرة موجزة.

(١) أبوه الزبير بن العوام، وأمه أسماء بنت أبي بكر، وأخوه عبد الله بن الزبير وجدته خديجة بنت خويلد زوج الرسول، وخالته عائشة أم المؤمنين.

(٢) نضحي الاسلام، ج ٢ ص ٣٢٢.

(٣) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، طبعة ليدن تحقيق الدكتور سترمن ١٣٢٢هـ.

(٤) (١٩٠٥) ج ٥ ص ١٣٣.

(٤) الدوري، ص ٢١.

٣ - شرح حليل بن سعد : كان مولى من موالى الانصار ، ويعتبر في الطبقة الأولى من مؤرخى السيرة ، روى كثيراً عن زيد بن ثابت وأبى سعيد الخدرى وأبى هريرة (١) ، وقد أسهم شرح حليل في كتابات السيرة بقوائم أثبت فيها أسماء الصحابة البدرين الذين اشتركوا في غزوة بدر ، وأسماء الصحابة الذين اشتركوا في غزوة أحد ، كما أورد أسماء المهاجرين إلى الحبشة ، وأسماء من هاجر من مكة إلى المدينة ، ولكنه مع ذلك لم يبلغ ما بلغه أبان بن عثمان بن عفان أو عمرو بن الزبير من مكانة في هذا المجال ، فلم يرو عنه ابن اسحق والواقدي شيئاً (٢) ،

ويضاف إلى هذه الطبقة من مؤرخى السيرة ، مؤرخ أشرنا إليه فيما سبق هو وهب بن منبه الذى كتب فى المغازى كتاباً ، وصلت إلينا منه قطعة مازالت محفوظة فى مكتبة هيد ليرج ذكر فيها وهب القبة الكبرى ، واجتماع قريش فى دار الندوة ، والمجرة النبوية ، ولكننا لم ندخله فى عداد المدينين من كتاب السيرة باعتباره مبنياً .

الطبقة الثانية :

١ - عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصارى : كان مديناً من أهل المدينة ، وكان جده الأعلى عمرو بن حزم الانصارى أحد كبار الصحابة ، وولد النبي صلى الله عليه وسلم نجران باليمن ، وكتب له حين بعث إلى اليمن كتاباً أمره فيه بتقوى الله فى أمره كله ، وأخذ خمس المغانم وعشر ماسق بالسواقي

(١) نعى الاسلام ، ج ٢ ص ٣٢٢

(٢) نعى الرجوع ، ص ٣٢٣

والذوالقبع من الصدقات ، ونصف العشر بما سقى بالذلول (١) . أما جده محمد بن عمرو فقد توفي يوم الحرة ، وأما أبوه أبو بكر فقد ولي قضاء المدينة في ولاية عمر بن عبد العزيز ، ثم ولي أمر المدينة في خلافة سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ، وعرف أبو بكر بمقدرته في رواية الحديث ، ولذلك عهد إليه عمر ابن عبد العزيز بجمع الحديث . وروى ابنه عبد الله بن أبي بكر هذه المواهب ، فاختص برواية الحديث المتصل بالمغازي ، فكان حجة في ذلك ، وعنه روى ابن اسحق والواقدي وابن سعد ، الظهري روايات تتعلق بأخبار الرسول في المدينة .

٢ — عاصم بن عمر بن قتادة الظهري : كان أنصاريًا من أهل المدينة ، شهد جده قتادة موقعة بدر واشترك فيها مع المسلمين ، وكان عاصم بن عمر راوية للعلم ، له معرفة بالمغازي والسير ، وكذلك عهد إليه الخليفة عمر بن عبد العزيز بالجلوس في جامع دمشق ليحدث الناس عن المغازي وعن مناقب الصحابة ، وقد اعتد عليه كل من ابن اسحق والواقدي (٢) .

٣ — ابن شهاب الزهري : هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب من بني زهرة ، ويعتبر من أعظم مؤرخي المغازي والسيرة إذ يرجع إليه الفضل في تأسيس مدرسة التاريخ في المدينة ، وإلى يرجع كذلك الفضل في توضيح خطوط السيرة أخذ الزهري على كبار المحدثين في المدينة وهم سعيد بن المسيب ، وأبان ابن عثمان بن عفان ، وعروة بن الزبير ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وأبو

(١) البلاذري ، فتوح البلدان . تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٥٦

ج ١ ص ٨٤

(٢) ضعي الاسلام ، ج ٢ ص ٣٢٥

سلفه بن عبد الرحمن ، وقد كان يترى بتلقيه العلم عليهم ، فكان يقول . « أدركت أربعة بحور : عبيد الله بن عبد الله أحدهم ، وقال أيضا : سمعت من العلم شيئا كثيرا فلما لقيت عبيد الله بن عبد الله كآني كنت في شعب من الشعاب ، فوفقت في الرادى ، وقال مرة صرت كآني لم أسمع من العلم شيئا » (١) .

استقى ابن شهاب الزهرى معظم مادته في السيرة من الحديث ، فهو تكاد تخلو من قصص الأنبياء ، كما أنه لم يستخدم الشعر في كتابته إلا في أحوال نادرة . وقد عرف الزهرى بقوة أسانيده . ولكنه يمتاز عن غيره في ذلك بنوع جديد من الإسناد ، هو الإسناد الجمعى ، حيث يدمج عدة روايات في خبر متصل ، وقد سار بذلك خطوة هامة نحو الكتابة التاريخية المتصلة (٢) .

واعتمد الزهرى في المنازى على عروة بن الزبير اعتمادا كبيرا ، ولذلك فإن روايات عروة تعتبر المصدر الأول الزهرى فيما وصل إلينا من منازيه (٣) . كذلك اعتمد في الرواية على سعيد بن المسيب وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة (٤) ، اللذين كان يترى كل الاعزاز بتلقيه العلم عليهما .

ولم يقتصر الزهرى على الكتابة في السيرة والمنازى ، بل شملت كتاباته الأنساب وتاريخ صدر الإسلام ، فصنف كتابا في نسب قريش اتخذ المصعب

(١) أبو الفرج الأصفهاني ، كتاب الألفاظ ، ج ٨ ص ١٧٨ .

(٢) عبد العزيز الدوري ، ص ٢٤ ، ٩٤ .

(٣) نفسه ، ص ٧٩ .

(٤) الواقدي ، مغازى رسول الله ، القاهرة ١٩٤٨ ص ٧٦ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١١٩ ،

١٣٩ ، ١٦٤ .

البلاذرى ، أنساب الأشراف ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله ، ج ١ ، القاهرة ١٩٥٩ ص ٩٨ ، ١٠٥ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١٩٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ لآخره .

الزيرى مصدراً لكتابه المعروف وسبق قرش^(١)، كما تناول فترة الخلفاء الراشدين حتى انتقال الخلافة إلى الأمويين ، فذكر الأحداث الكبرى التي كان لها أثر كبير في كيان الدولة العربية الإسلامية في زمن الخلافة الراشدة من فتن ومعارك . ويستدل بما أورده الطبري نقلاً عنه أنه تعرض في كتاباته لمشكلة اختيار أبي بكر خليفة للمسلمين موضعاً الأثر الذي تركه اختياره ، ورد فعل علي بن أبي طالب^(٢) ، ويندو أن الزهرى لم يكتب في تاريخ الأمويين وإنما كتب - استجابة لرغبة الوليد بن عبد الملك - عن سني حكمهم .

ويعلق الدكتور عبد العزيز الدوري على أهمية ما كتبه الزهرى في نشأة الكتابة التاريخية فيقول : « إن هذا القسم من دراسات الزهرى يدل أن الاهتمام بتجارب الأمة كان عاملاً آخر له أهميته في نشأة الكتابة التاريخية . فبدأ الاجماع وظهور الأحزاب السياسية ، والجدل بينها حول الأحداث الماضية ، وخاصة « الفتنة » ، ومسألة الخلافة ، وهل هي بالانتخاب أم بالوراثة ، ومشكلة تنظيم الضرائب ، والديوان - كل هذه المسائل كانت تتطلب الإيضاح بواسطة الدراسة التاريخية .. »^(٣). وفي موضع آخر يقول الدكتور الدوري ، « وإذا كان عروة بن الزبير رائد علم التاريخ ، فإن الزهرى أسس المدرسة التاريخية في المدينة »^(٤) .

الطبعة الثالثة :

١ - مرسى بن عقبة : كان مولد لآل الزبير ، واشتهر بالمغازي متبعاً لطريقة

(١) المصنف بن عبادة الزيرى ، نسب قرش ، تحقيق ليني بروفسنال ، القاهرة ١٩٥٣

(٢) الطبري ، ج ١ قسم ٤ طبعة لندن ، س ١٨٢٠ - ١٨٢٤ ، ١٨٢٥ ، وما يليها .

(٣) الدوري ، ص ٩٨

(٤) قسم المرجع ، ١٠١

مدرسة المدنيين إذ تلبذ على الزهرى ، واستفاد بآثاره ، بالإضافة إلى كتابات غيره من كتاب المغازى ، وكتب كتاباً فى السيرة ذكروا أنه جاء مختصراً ، وصلت إلينا بعض مقتطفات منه فيما كتبه ابن سعد والواقدي والطبري (١) .

٢ — محمد بن اسحق : هو أشهر تلاميذ الزهرى ، من أصل فارسى ، إذ كان مولى لعبدالله بن قيس بن غزوة بن عبد المطلب ، وأليه تنسب أقدم كتب السيرة التى وصلت إلينا ، وكتابه المغازى وصل إلينا مختصراً فى سيرة ابن هشام (٢) . وتنقسم سيرة ابن اسحق إلى ثلاثة أقسام :

- ١ — المبتدأ ، ويبحث فى هذا القسم فى تاريخ الجاهلية مبتدأ به منذ الخليقة .
- ٢ — المبعث ، وأفرده لتاريخ حياة النبي صلى الله عليه وسلم حتى السنة الأولى للهجرة .

٣ — المغازى ، وتناول فى هذا القسم حياة الرسول فى المدينة وغزواته حتى وفاته صلى الله عليه وسلم (٣) وفى مغازى ابن اسحق يقول الشافعى : « من أراد التبحر فى المغازى فهو عيال على محمد بن اسحق » (٤) ، وقد روى المبتدأ والمغازى عن ابن اسحق سلمة بن الفضل الرازى ، والمغازى كل من جرير بن حازم (المثوف سنة ١٧٠ هـ) ، ويحيى بن محمد بن عباد بن هاشم ، فى حين اعتد ابن هشام فى

(١) أحمد أمين ، منحنى الاسلام ، ج ٢ ص ٢٢٧ — الدورى ، ص ٢٧ .

(٢) السخاوى ، الاعلان بالتبليغ ، ص ٥٢٦ .

(٣) أحمد أمين ، ج ٧ ص ٣٣٠ — جب ، علم التاريخ ، بدائرة المعارف الاسلامية ، ص ٤٨٧ —

الدورى ص ٢٧ — سيد كاشف ، مصادر التاريخ الاسلامى ، ص ٣٠ .

(٤) الحطيب البغدادى ، تاريخ بغداد ، القاهرة ١٩٣١ ، ج ١ ص ٢١٩ — الدهخاوى ،

سيره عليه (١).

وكان ابن اسحق مكروها من هشام بن عروة بن الزبير ومالك بن أنس، أما كراهية هشام بن عروة له فيرجع سببا إلى أن ابن اسحق روى بعض أخباره عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر، وفاطمة كانت زوجة هشام بن عروة، فلما بلغ هشام ذلك أنكره وقال: «العدو الله الكذاب يروى عن امرأتى؟ من أين رأها؟» (٢). وأما عداء مالك بن أنس له فيرجع سببه إلى أن ابن اسحق طعن في نسب مالك بن أنس كما طعن في غيره، فكان يقول: «اتنوني بعض كتبه حتى أبين عيوبه، أنا يطار كتبه» (٣). فكرهه مالك لذلك السبب وعاداه واثمه بالكذب والدجل، فكان يقول فيه: «لأنه دجال من الدجاجلة»، وقال فيه أيضا: «محمد بن اسحق كذاب». كذلك اتهم ابن اسحق بالشييع على مذهب القدرية.

ولما هذا العداء رحل إلى العراق بعد قيام الدولة العباسية فنزل الكوفة والجزيرة والري وبغداد، واتصل بالمنصور، وألف له كتابا في التاريخ منذ خلق الله آدم إلى يومه، واختصره في كتابه المغازي (٤). وقد نقد ابن اسحق لاعتقاده على أهل الكتاب في الرواية، فقد نقل عن بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأول وعن أهل التوراة، وأخذ عن وهب بن منبه وأخذ عن الجهم،

(١) السخاوي، المرجع السابق، ص ٢٦٥.

(٢) الخطيب البغدادي، ج ١، ص ٢٢٢.

(٣) نفس المصدر، ص ٢٢٤ — ياقوت الرومي، كتاب إرشاد الأريب إلى معرفة

الأريب (معجم الأديب) طبعة مرجيوت، ج ٦ القاهرة ١٩١٣، ص ٤٠٠.

(٤) الخطيب البغدادي، ج ١ ص ٥٢١ — Margoliouth, Lectures on

Arabic Historians, p. 84.

ولاه أورد كثيرا من الشعر المنحول ، ولاته وقع في أخطاء في الانساب التي أوردتها في كتابه (١) .

ومع ذلك فقد كان لابن اسحق الفضل في الجمع بين أساليب المحدثين والقصاص في كتاباته ، ويعلق جيب على كتابات ابن اسحق فيقول : وكتابه في السيرة كان ثمرة تمكيد أبعد أفقا وأوسع نطاقا من تفكير سابقه ومعاصره ، لانه يزع فيه لا إلى تدوين تاريخ النبي فحسب ، بل إلى تاريخ النبوة بذاتها (٢) وينسب إليه كتاب في تاريخ الخلفاء يبدو أنه جاء مختصرا ، عالج فيه تاريخ الخلفاء الراشدين والامويين ، بدليل أن الطبري ذكر ابن اسحق بين رواة في تاريخ الخلفاء الراشدين .

٢ - الواقدي : هو محمد بن عمر بن واقد الواقدي ، كان مولد لبني هاشم ، وقيل لبني سهم بن أسلم ، وكان معاصرا لابن اسحق ، أخذ العلم عن شيوخ عصره في المدينة ، فأخذ عن مالك بن أنس في الحديث وعن أبي معشر السدي في التاريخ ، ولذلك يعتبر الواقدي الثاني بعد ابن اسحق في اتساع علمه بالمغازي والسير والتاريخ ، بل يز ابن اسحق في دقته في المادة وفي الأسلوب مع زيادة في العناية بالتاريخ ، وفي تحقيق تواريخ الأحداث وتوضيح الإطال الجغرافي المتصل بالمواقع (٣) .

وقد اهتم الواقدي بالمغازي والسير والتاريخ الاسلامي الذي أصبح مختصفا

(١) ياقوت ، معجم الأدباء ، تحقيق مرجليوث ج ٦ ص ٤٠١ - Margoliouth

P. 85 - الدوري ص ٢٩ - جيب ، علم التاريخ ، ص ٤٨٧ .

(٢) جيب ، علم التاريخ ، ص ٤٨٧ .

(٣) الدوري ، ص ٣٠ ، ٣١ .

فيه ، فقد ذكر الخطيب البغدادي نقلا عن ابراهيم الحربي ، أن الواقدي كان أجمل الناس بأمر الاسلام ، فأما الجاهلية فلم يعمل فيها شيئا (١) .

وقد ألف الواقدي عددا كبيرا من الكتب في المغازي والتاريخ ، من بينها كتاب مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي وصل اليها (٢) ، وكتاب الطبقات الكبير ، رتب على حسب السنين ، وكتاب الطبقات ، رتب على حسب طبقات الصحابة والتابعين ، وكتاب السيرة ، وكتاب التاريخ والمغازي والمبعث ، وكتاب أزواج النبي ، وكتاب وفاة النبي ، وكتاب السيفة ويعة أبي بكر ، وكتاب سيرة أبي بكر ووفاته ، وكتاب مناعى قرش والأنصار في القعائع ووضع عمر الدواوين وتصنيف القبائل ومراتبها وألسابها ، وكتاب الجمل ، وكتاب صفين ، وكتاب مقتل الحسن ، وكتاب الردة ، وكتاب فتوح الشام ، وكتاب فتوح العراق ، وكتاب أخبار مكة ، وكتاب ضرب الدناير والدرهم ، وكتاب حرب الأوس والخزرج ، (٣) . وأعظم

== وكان الواقدي عفتا الدواعي ، لا يفتد على مجرد النقل ، وإنما كان يعضى إلى مواضع المأثور والواقع ليدرسها على الطيعة ، وقد عبر عن ذلك بقوله : « ما أدركت رجلا من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ولا مولى لهم إلا وسأته ، هل سمعت أحدا من أهلك يخبرك من معبد ، وأين نزل ؟ فإذا أملتني ، مضيت إلى الموضع فأمايت ، ولقد مضيت إلى المريسيع فظفرت إليها ، وما علت غزاة إلا مضيت إلى الموضع حتى أمأيت » (الخطيب البغدادي ، ج ٣ ص ٦)

(١) الخطيب البغدادي ، ج ٣ ص ٥٥ .

(٢) نهر المشرق النسوي فون كرمي جزءا منه في سنة ١٨٥٥/١٨٥٦م .

وأعيد نشره في مصر سنة ١٩٤٨ .

(٣) واجمع الكتب التي أوردها ابن النديم في الفهرست ، يبلغ ١٠٠٠ من كتاب علم

التاريخ عند المسلمين ، ص ٢٧٣ — ٣١٦ .

ها كتبه الواقدي كتابه المعروف بكتاب « التاريخ الكبير » ، لم يقتصر فيه على غزوات الرسول ، بل أرخ لكثير من أحداث الاسلام في العهود التالية حتى عهد خلافة هارون الرشيد ، اقتبس منه الطبري في كتابه « تاريخ الرسل والملوك » ، حتى سنة ١٧٩ هـ . وقد وصل الينا كتابه « فتوح الشام ومصر » ، وهو مخطوط محفوظ بالمتحف البريطاني ، نشر في لندن تحت عنوان « كتاب فتوح مصر والاسكندرية المنسوب إلى المؤلف الشيخ أبي عبدالله محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني » (١) . كما وصلنا كتابه « فتح البهنة وفيوم من ارض مصر » ، وهو مخطوط محفوظ بمدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بلندن وملحق بمخطوط لتاريخ أبي الفداء ، وقد طبع هذا الكتاب بالقاهرة في سنة ١٢٨٠ هـ تحت عنوان « فتوح البهنة وما فيها من المعجائب والفرائب وما وقع فيها للصحابه » ، كذلك وصلنا كتابه « فتوح مدينة إفريقية » ، المحفوظ في المتحف البريطاني ، وفي مكتبات لندن وباريس وكامبريدج والجزائر وفاس ، ونشر في سنة ١٢١٥ هـ بمعرفة عبد الرحمن الصنادل (٢) ، ولكن معظم ما جاء في كتبه عن فتوح مصر في هذه الكتب يقيم بصفة أسطورية تبعدها عما عرف من روايات الواقدي ، ويعتقد الأستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد أن روايات الواقدي بدأت في اتخاذ شكل الأسطوري في وقت متأخر نسبيا بعد القرن السابع الهجري ، والدليل على ذلك تلك

(١) طبع هذا الكتاب بمصر في سنة ١٣٦٨ بعنوان فتوح الشام ، في جزأين يتضمنان

فتح الشام ومصر والعراق .

(٢) سعد زغلول عبد الحميد ، فتح العرب للعرب بين الحقيقة التاريخية والأسطورة الشعبية ،

دراسة وتقدم لمخطوط « فتوح مدينة إفريقية » من مخطوطات الواقدي بالمتحف البريطاني ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، المجلد ١٦ ، ١٩٦٢ ، الاسكندرية ١٩٦٣

الشخصيات التي يذكرها مخطوط فتح البصرة مثل سيدي أبو مدين، الذي توفي في أواخر القرن السادس الهجري، و سيدي أبي الحجاج الأفسري، المتوفى في منتصف القرن السابع... ولما جانب الأثر الصوفي الشعبي المتأخر، تأثرت الرواية التاريخية هنا بأحداث تاريخية متأخرة كانت لها آثارها العميقة في خيال الناس... (١).

ولم يبق لنا مما يصح من كتبه إلا كتاب المغازي (٢). الذي أشرنا إليه فيما سبق.

ب - مدرسة التاريخ في البصرة :

تميز الدراسات التاريخية عند العرب في بداية نشأتها بوجود الاتجاهين متبذين : أحدهما ديني قوامه دراسة الحديث ومركزه المدينة، والثاني قبل كان استمراراً لبعض الأيام وروايات الأنساب في الأسلوب والنظرة، إذ تناول من الموضوعات المعارك والفتوح الإسلامية، وكان مركز هذا الاتجاه في البصرة والكوفة.

وهكذا تميزت البصرة والكوفة بتأدية خاصة من نواحي الدراسات التاريخية، وهي دراسة الأحداث الإسلامية والأنساب، نتيجة طبيعية للصراع الحزبي وللانتماء والقبلية (٣). إلا أنه قام في العراق مع هذا الاتجاه القبلي اتجاه آخر في دراسة الحديث والسيرة، وهو الاتجاه الذي اقتصت به المدينة، فوجد كتاب السيرة والمغازي برز منهم : معمر بن راشد اليماني البصري (ت. ١٥٠ هـ)،

(١) سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص ٣٧، ٣٨.

(٢) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج ٢ ص ٣٣٥.

(٣) عبد العزيز الدوري، ص ١٢٣.

وزياد البكائي (ت ١٨٣) ، وعبد بن سعد (ت ٥٧٣) . ويستحدث قولاً
يلى عن الأول والثالث منهم .

١- كتاب المغازي :

معمر بن راشد البصري : هو أحد تلامذة الزهري ، وكان مثل العدد الأعظم
من كتاب المغازي من الموالى ، فذكروا أنه كان مولى للأزد ، وولد بالبصرة
وتنابها ، ثم انتقل إلى اليمن ، وكان معمر هذا عالماً بالحديث والسير ، وقد صنف
كتاباً في المغازي ، وصل إلينا مخطوطاً ، ما يزال محفوظاً في استنبول (١) .

محمد بن سعد : هو تلميذ الواقدي وكتابه ، وقد عرف لذلك بكتاب الواقدي ،
وكان مولى لبني عبد الله بن عبيد الله بن العباس ، ولد في البصرة وعاش فيها الفترة
الأولى من حياته ، ثم رحل إلى المدينة ثم إلى بغداد ، حيث اتصل بالواقدي .
وقد حفظ لنا من كتبه كتاب الطبقات الكبرى ، ويتألف من ثمانية أجزاء ، أفرد
الجزآن الأولان لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومغازيه ، وخمسة الأجزاء الستة
الأخرى لأخبار الصحابة والتابعين وروايتهم وفقاً للأصناف الإسلامية . وسيرة ابن سعد
في الطبقات أوفى بكثير من تقدمه من كتاب السيرة ، إذ تتضمن كثيراً من الأخبار
عن رسائل النبي وسفاراته ، وتغني بيايين جديدين هما علامات النبوة ،
وصفة أخلاق رسول الله ، ولذلك كان كتابه أساساً لما جاء في المصنفات
المتأخرة (٢) .

٢- كتاب التاريخ (المغازي) :

أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي (ت ١٥٧) : كان أخبارياً من

(١) سيرة كاشف ، مصادر التاريخ الإسلامي ، ص ٢٩

(٢) فتح المربع ، ٢٢٠

أهل الكوفة ، وكان جده الأول مختلف صحابيا من أصحاب علي بن أبي طالب ،
فورث أبو مختلف لوط من جده هذا الميل للعولين ، وعنى أبو مختلف بكتابة الأحداث
الأحداث التاريخية الهامة في الاسلام بجانب اهتمامه بالأنساب ، فكتب عن الردة ،
وعن فتوح الشام ، وفتوح العراق ، وعن موقعة الجمل وعن موقعة صفين ، وعن
مقتل حجر بن عدى ، وعن مقتل الحسين ، وعن وفاة معاوية ، وعن مجدة الحرورى ،
وعن الأزارقة الخوارج . ونستدل بما كتبه عن اهتمامه بالسياسة الخيرية . فقد
عنى بالعولين والخوارج . وقد اعتمد أبو مختلف في كتاباته على الروايات العائلية
والروايات القبلية أى الخاصة بقبيلته ، كما أفاد من الروايات الكوفية الأخرى
والروايات المدنية (١) ، ولم يبق من كتبه الصحيحة إلا ما نقله الطبري عنه (٢) .

سيف بن عمر الكوفي الأسدي التميمي (ت ١٨٠ هـ) : كان مثلي معاصره
أبي مختلف أخباريا كوفيا أخذ عن شيوخ الكوفة ، كما أفاد من الروايات المدنية
في أخباره ، واعتمد في مادته على روايات قبيلته تميم (٣) . ولذلك اتسمت أخباره
في الفتوحات ، وخاصة ما كان منها متعلقا بالعراق ، بميل واضحة المعالم لقبيلته
وتعصب ظاهر لها (٤) .

وكتب سيف بن عمر في الفتوح وفي الردة ، وتعرض في كتاباته عن الفتوح
للفتة التي قامت بين الإمام علي ومعاوية ، وخاصة موقعة الجمل ، وذكر له ابن التميمي
في الفهرست كتابا عن الجمل ومسير عائشة وعلي ، وكتابا بعنوان : و كتاب

(١) الدورى ، ص ٣٥ ، ٣٦ ، ١٢٣

(٢) نضى الاسلام ، ج ٢ ، ص ٣٤٢

(٣) الدورى ٣٧

(٤) أحمد أمين ، نضى الاسلام ، ج ٢ ، ص ٣٤٣ — الدورى ، ص ٣٧

الفتوح الكبير والردة (١) .

عوانة بن الحكم (ت ١٤٧ هـ) : كان أخبارياً كوثياً أيضاً ، على دراية كبيرة بالأخبار والفتوح مع علم بالشعر والانساب ، (٧) ، ونستج من رواياته والتي أوردتها الطبري والبلاذري أنه التزم موقفاً حيادياً من الصراع بين الأمويين والعلميين ، فلم ينحسب لفرق على فرق ، وقد تقلد على عوانة هذا الميثم بن عدي والمدائني . وصف عوانة كتاباً بعنوان : « سيرة معاوية وبني أمية » ، ويمتد فرائز روزثال أنه نهج فيه منهج كتب التاريخ المرتبة على الدول (٢) .

نهر بن مزاحم (ت ٢١٢ هـ) : كان أخبارياً من أهل الكوفة ، ويتميز عن سبقه من الأخباريين بأنه كان شيعياً ، وتلعب معظم كتاباته حول موضوعات لها علاقة بالشيعة مثل : « الجمل » ، « صفين » ، « مقتل الحسين » ، « مقتل حجر بن عدي » ، « أخبار المختار » ، « تنعكس في هذه الرسائل ميوله العراقية والشيعة » ، إذ يظهر فيها تحيزه العلويين ضد معاوية وأنصاره ، وتتخلل كتابته في « صفين » أشعار معظمها موضوعية ، وأسلوبه في هذا الكتاب متأثر بأسلوب كتاب قصص أيام العرب (٤) .

على بن محمد المدائني (ت ٣٢٥ هـ) : كان أخبارياً من البصرة ، ثم استوطن

(١) ابن النديم ، المكتب التي أوردتها في فهرست « ملحق ١ من كتاب : علم التأريخ

عند المسلمين » ص ٢٨٠ ، ٢٨٣

(٢) ياقوت ، معجم الأديباء ، ج ٦ ص ٩٤

(٣) روزثال ، علم التأريخ عند المسلمين ، ص ١٢٨

(٤) الدوري ، ص ٣٨

المداين فنسب إليها ، وكان من تلاميذ عوانة بن الحكم ، وقد أفاد في كتاباته من روايات البصرة ومن روايات المدينة ، واعتمد في رواياته على الأسناد ، كما أنه اتبع في كتاباته أسلوب المحدثين في نقد الروايات ، ولهذا السبب حظى المدائني بثقة العلماء المعاصرين له والذين جاءوا من بعده ، وذكره الخطيب البغدادي ، فقال : « كان عالماً بأيام الناس ، وأخبار العرب وأسابيهم ، عالماً بالفتوح والمغازي وروايه الشعر ، صدوقاً في ذلك » (١) . وكثرت تواليفه في التاريخ الاسلامي والفتوحات ، فشملت صفحات ست من معجم الأدباء لياقوت ، وللأسف ضاعت كل هذه المصنفات ، ولم يبق منها الا تنف رواها الطبري والمسعودي وأبو الفرج ، والمبرد ، والبلاذري . ومن بين كتبه التي ذكرها ابن التميمي في المغازي كتاب « المغازي » ، وكتاب « صفه النبي » ، وكتاب « أزواج النبي » ، وكتاب « الوفود » ، وكتاب « أمهات النبي » ، وكتاب « أخبار المنافقين » ، وكتاب « المنافقين ومن نزل القرآن فيه منهم ومن غيرهم » ، وكتاب « رسائل النبي » ، وكتاب « صلح النبي » ، وكتاب « خطب النبي » ، وكتاب « عهود النبي » ، وكتاب « سرايا النبي » ، ومنها ما ذكره في الخلفاء مثل كتاب « أخبار الخلفاء » ، و« تاريخ الخلفاء » ، و« تسمية الخلفاء » و« كنههم وأعمالهم » ، وكتاب « مقتل عثمان » ، وكتاب « الجمل » ، وكتاب « النهروان » ، وكتاب « الخوارج » ، وكتاب « خطب علي وكتبه إلى عماله » ، و« كتاب مرج راهط » ، وكتاب « الردة » ، وكتاب « أخبار السفاح » ، ومنها ما ذكره في الفتوح : مثل كتاب « الردة » ، و« أمر البحرين » ، و« أمر عمان » ، وكتاب « فتوح الشام » ، وكتاب « فتح مصر » ، و« كتاب » « موادعة النوبة » ، و« كتب أخرى في فتح برقة ، وفتح الجزيرة ، وأرمينية ، العراق ، والسواد ، والبصرة ، والأبلة »

والأهواز ، وفارس ، وسجستان ، وكرمان ، ومكران ، وبابل ، والري ، وجبال
طبرستان ، وهرمان ، وخراسان .

٣- كتاب موشية

كان للدراسات التي قام بها بعض النسايب في الانساب أثر كبير في علم التاريخ ،
فلقد عنى العرب بأنسابهم في الجاهلية ، وتجددت عنايتهم بالانساب عقب الفترحات
الاولى ، عندما أنشأ عمر بن الخطاب الديوان ، وبدأ بالعباس عم النبي ، ثم بنو هاشم ،
ثم بمن بعدهم طبقة بعد طبقة ، مراعيًا في ذلك الاعتبار الديني والقبلي في آت
واحد (١) . وزاد اهتمام الأمويين بالانساب ، ووضعت لهذا الغرض سجلات
بها ، واشتدت العناية بالانساب أيضا منذ أواخر العصر الأموي عندما
قامت الخصومات القبلية ، ونشأت الشعوبية ، وأخذ الشعوبيون يفتشون عن
مثالب العرب في الوقت الذي كانت القبائل تبحث عن مفاخرها (٢) .

ومن أشهر نسابة العراق ، محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦ هـ) ، وكان من
علماء الكوفة ، اختص بدراسة الانساب ، وورث ابنه هشام (ت ٢٠٤) منه هذا
العلم ، وقد سبق أن أشرنا اليه . وظهر أيضا من كتاب الانساب الزبير بن بكار
أحد تلاميذ المدائني ، وكان ابن بكار مدني النشأة ولكنه عاش في العراق فترة
طويلة حتى اعتبر من أهله (٣) ، ومنهم أبو اليقظان النسابي (ت ١٩٠ هـ) الذي
صنف كتابا كثيرة في الانساب .

(١) ضحى الاسلام ، ج ٩ ، ص ٣٤٩

(٢) الروي ، ص ٤٠

(٣) ضحى الاسلام ، ج ٢ ، ص ٢٤٥

الفصل الثالث

تطور الكتابة التاريخية في العصر الاسلامى

(١) منهج الكتابة التاريخية عند المسلمين

أ - التأريخ الجولى او حسب السنين

ب - التأريخ حسب الموضوعات

(٢) تنوع صور المادة التاريخية

أ - التأريخ العالمى

ب - التأريخ المحلى

ج - التأريخ المعاصر والمذكرات

الفصل الثالث

تطور الكتابة التاريخية في العصر الإسلامي

(١)

منهج الكتابة التاريخية عند المسلمين

رأينا كيف أن المؤرخ المسلم بدأ كتابته التاريخية معتمداً على الرواية المسندة التي تنسب بثلاثة مظاهر :

- ١ — انفصال الأخبار فيما بينها واستقلالها .
- ٢ — الطابع القصصي الذي لا يخلو من الحوار .
- ٣ — الاستشهاد بالشعر .

ثم انقضى أكثر من نصف قرن على وفاة الرسول قبل أن يشرع المسلمون في التدوين ، وأصبح المؤرخ المسلم بعد انتشار التدوين في القرن الثاني للهجرة ، يعتمد في كتابته التاريخية ، إلى جانب الذاكرة والحفظ ، على الكتب التاريخية التي سبقه في كتابتها المؤرخون الأولون ، ولم يلبث المؤرخ المسلم أن تحرر تدريجياً من طريقة الإسناد التي كانت تلزم المؤرخ بأن يكون مجرد أخباري ، أي ناقل الخبر ، إلى الكتابة المرسلة التي تعني بالخبر في ذاته ومناقشته ، وبينما كان الطبري ومن سبقه من الأخباريين يهتمون اهتماماً خاصاً بالإسناد ، وتسلسل الرواة ، فقد ظهر فريق من المؤرخين المسلمين ابتعدوا في كتابتهم عن طريقة الإسناد ، واكتفوا بإيراد الأخبار غير مسندة إلى أصحابها (١) ، ومن هؤلاء : يعقوب (ت ٢٨٤) ،

(١) محمد عبد الفتى حسن ، علم التأريخ عند العرب ، القاهرة ١٩٦١ ص ١٦٧

والمسعودي (ت ٨٣٤٦) ، وكان هؤلاء المؤرخين يكتبون بذكر مصادر مادتهم التاريخية في مقدمات كتبهم ، مع دراستها في بعض الأحيان دراسة نقدية كما فعل المسعودي في مقدمة كتابه مروج الذهب ، فهو يثنى على كتابة الطبري والصولي وقدامه بن جعفر ، ويحمل على سنان بن ثابت بن قرة الحراني حملة عنيفة ، فيقول في مدح الطبري : «وأما تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، الزاهي على المؤلفات ، والزائد على الكتب المصنفات ، فقد جمع أنواع الأخبار ، وحوى فنون الآثار ، واشتمل على صنوف العلم ، وهو كتاب تمكثرفائده ، وتنفع مائده ، وكيف لا يكون ذلك ومؤلفه فقيه عصره ، وناسك دهره ، إليه انتهت علوم فقهاء الأمصار ، وحلة السنن والآثار» (١) . ومدح أصالة الصولي في كتابه التاريخية فقال : «وكذلك سلك محمد بن يحيى الصولي في كتابه المترجم بكتاب الاوراق في أخبار الخلفاء من بني العباس وبني أمية ، وشعرائهم ، ووزرائهم ، فإنه ذكر غرائب لم تقع لغيره ، وأشياء تفرد بها لأنه شاهدها بنفسه ، وكان محظوظا من العلم ، عدودا من المعرفة ، مرزوقا من التصنيف ، وحسن التأليف» (٢) . ويمدح كتابة أبي الفرج قدامة بن جعفر وأسلوبه ، فيقول : «فإنه حسن التأليف ، بارع التصنيف ، موجزا للألفاظ ، مقربا للعاني ...» (٣) . ثم ينتقد كتابة سنان بن ثابت بن قرة الحراني ، فيقول : «ورأيت سنان بن ثابت بن قرة الحراني - حين انتحل مالميس من صناعته ، واستنهج ما ليس من طريقته - قد ألف كتابا جملة رسالة إلى بعض إخوانه من الكتاب ...» (٤) .

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ١ ص ١٥

(٢) نفس المصدر ، ج ١ ص ١٥

(٣) نفس المصدر ، ص ٦١

(٤) نفس المصدر ، ص ١٦ ، ١٧

وكما تطورت الكتابة التاريخية من حيث الطريقة ، تطورت من حيث الأسلوب ، فبعد أن كان التاريخ يجمع في معظمه في صورة جل قصيرة جافة لا ترتبط فيما بينها بصلة ، أصبح الأسلوب التاريخي مرسلا بسيطاً وواضحاً في آن واحد ، يكاد يخلو في معظمه من الشعر ، وكثيراً ما استخدم السجع في الكتابة التاريخية ، على الرغم من أن التاريخ لم يكن قط فرعاً من الآداب التي تشجع على استخدامه ، ومن المؤرخين الذين اشتهروا بالسجع في كتابتهم التاريخية : العماد الأصفهاني والكاظم الأنديلي الفتح بن خاقان . فن قول العماد الأصفهاني في الفتح القدسي ، يذكر خروج صلاح الدين بن أيوب من دمشق في سنة ٥٨٣ هـ لملاقاة الصليبيين في حطين : وبرز من دمشق يوم السبت مستهل المحرم قبل استجداد الجنود ، واستحشاد الحشود ، واصحار الأسود ، وإحضار البيض والسود ، مضى العز ماضى العزم ، صائب السهم ، ثائب الفهم ، ثابت السعود ، كابت الحشود ، وخيم على قصر سلامة من بصرى ، وكفت يد رعبة الطول من الفرنج اليد القصرى ، وأقام على ارتقاب اقتراب الحجاج ، وقد رتب الفرنج من الأرصاد أفواجا على تلك الفجاج ، لاسما ابرنس الكرك ، فإنه كان حريصاً على البرك ، ناصباً شر الشرك ، نصب الشرك ... (١) . ومن قول الفتح بن خاقان في كتابه مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مدح جعفر المصطفى الحاجب : و تجرد العليا ، وتبرد في طلب الدنيا ، حتى بلغ المتى ، وتسوغ ذلك الجنى ، فما دون سابقة ، وارتقى إلى رتبة لم تكن لينته بمطابقة ، فالتاح في آفια الخلافة ، وارتاح إليها ببطنه كشوان السلافة ، واستوزره المستنصر ، وعنه قد كان يسمع وبه يبصر ، فأدرك بذلك ما أدرك ،

(١) العماد الأصفهاني ، الفتح القدسي في الفتح القدسي ، تحقيق الأستاذ محمد محمود صبيح

ونصب لآمانيه الجبائل والشرك ... (١).

وهناك مؤرخون جمعوا بين الكتابة المرسلة والمبارات المسجوعة أمثال المؤرخ الأندلسي أبو مروان حيان بن خلف المعروف بابن حيان المتوفى في ٤٦٠ هـ ، الذي يستخدم العبارات المسجوعة في بعض الأحيان ، كما يفعل عندما أشار إلى ابن باشة الذي تولى هدم قصور بني أمية ، فيقول : « والكدر بائر وفاته ابن باشة هدام القصور ، ومبور المعمور ، وكان من التبعج في الثوم ، والالتحاف للثوم ، مع دماء الأصل والفرع وتنكب السداد ، وتقبل الفساد ، على ثبح عظيم ، بيده بادت قصور بني أمية الرفيعة ، ودرست آثارهم البديعة ، وحطت أعلامهم المنيرة ... » (٢).

ووجد من مؤرخي المسلمين من استخدم في كتاباته أسلوبا بسيطا سهلا ، تجنب فيه الزخرفة اللفظية والألفاظ الدارجة ، من أمثال هؤلاء المؤرخين ابن حيان ، وابن الأثير وابن طباطبغا ، وقد اهتم هؤلاء بإبراز المادة التاريخية في عبارات قصيرة توضح المعنى المقصود في براعة يستيفها القارئ . فابن حيان استخدم للتعبير عن الأحداث أسلوبا سهلا واضحا خال من التعقيد ، ويتجلى ذلك فيما وصل إلينا من كتابه المقتبس في تاريخ رجال الأندلس ، وهو كتاب يجمع بين الكتابة حسب المنهج الحولى والكتابة حسب العمود ، فعندما يفتتح الحديث عن أحداث سنة ٣٦٣ هـ (زمن الحكم المستنصر) ، يقول : « في يوم الاربعاء لثمان

(١) القتيبي بن خاتان ، كتاب مطلع الأقرس ونسج الناس في ملح أهل الأندلس ،

قسنطينة ، ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م) ص ٤

(٢) ابن بسام القتيبي ، النخبة في عيان أهل الجزيرة ، القسم الأول ، المجلد الثاني

القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ١١١ — ١١٢

خلون من الحرم فاتحها ، قدم قنـد ، فقي الوزير الصائد . غالب بن عبد القادر ،
بكتاب مولاه غالب ، يذكر ماضيه الله لأمير المؤمنين من افتتاح مدينة المدورة
التي كان انتزى فيها محمد بن حنون المخذول ، وأنه كان سار منها في غيبته
لبعض ما عن له من شؤونه ، وخلف بها خاله محمد بن عبد السلام الذي كان ظهيرا
له ، ومديرا لشأته ، لا يقدم امرا ولا يؤخره إلا عن رأيه ومشاورته ، وكان
مشنوا إلى أهل البلد ، فدبروا عليه عند إبعاد ابن حنون عنهم وقتلوه ، فتك
به ثعبان بن أحد البربري البطل واحتر رأسه ، وذلك في يوم الجمعة ثلاث خلون
من الحرم منها . . . (١) .

كما أما ابن الأثير ، فينفرد عن غيره من المؤرخين بأسلوب بسيط واضح لا يجاريه
فيه أحد من كتب قبله أو بعده ، وكثيرا ما يدخل في كتاباته عبارات أقرب إلى
الأمثال (٢) . مثل قوله عندما حاصر الصليبيون دمياط في سنة ٥٦٠هـ . وأخفقوا في حملتهم
عليها ، فيسخر منهم ابن الأثير بقوله : « هذا موضع المثل ، ذمبت النعامة تطلب
قرنين ، فعادت بلا أذنين » (٣) .

(١) ابن حيان ، القتبس في أخبار بلد الاندلس ، تحقيق الاستاذ عبد الرحمن علي الحجي ،

بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ١٤١ ، ١٤٢

(٢) عبد القادر طليبات ، المؤرخ ابن الأثير ، (رسائله المقدمة لنيل درجة الدكتوراه) ،

ص ٢٢١ .

(٣) ابن الأثير ، التاريخ الباهر والقوة الاتباكية ، تحقيق عبد القادر طليبات ، القاهرة ،

١٩٦٣ ص ١٤٤

أما ابن طباطبا ، فقد ألزم أسلوبا خاصا به لم يتقيد فيه بروايات المؤرخين أو الأخباريين السابقين عليه ، فهو يعرض مادته الخبرية في وضوح وبساطة وإيجاز ، ويتجلى ذلك في قوله عندما تعرض لترجمة يزيد بن معاوية : « كان موافق الرغبة في الله والقنع والخير والنساء والشعر . وكان قصيحا كريما شاعرا مقلعا ، قالوا بديء الشعر بملك وختم بملك إشارة إلى امرئ القيس وإليه ، ثم يذكر أهم الأحداث في عصر يزيد ، وهما حادثان : مقتل الحسين وهوقة الحرة ، وفي مقتل الحسين يقول : « هذه قضية لا أحب بسط القول فيها استعظاما لها واستفظاها ، فإنها قضية لم يجر في الإسلام أعظم فحشا منها ، ولعمري إن قتل أمير المؤمنين عليه السلام هو الطامة الكبرى . ولكن هذه القضية جرى فيها من القتل الشنيع والسبي أو التمثيل ما تقشعر له الجلود . واكتفيت أيضا عن بسط القول فيها بشهرتها فإنها أشهر الطامات . فلئن الله كل من باشرها وأمر بها ورضي بشئ منها... وجملة ما جرى في ذلك أن يزيد ، لعنه الله ، لما بوعلم يكن له هم إلا تحصيل بيعة الحسين رضي الله عنه ، والنفر الذي حذر به أبوه منهم ، فأرسل إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وهو يومئذ أمير المدينة ، يأمره بأخذ البيعة عليهم . فاستدعاهم ، لحضر الحسين ، عليه السلام ، عنده ، فأخبره بموت معاوية ، رضي الله عنه ، ودعاه إلى البيعة ، فقال له الحسين عليه السلام : مثل لا يبايع سراً ولكن إذا اجتمع الناس نظرنا ونظرت . ثم خرج الحسين ، عليه السلام ، من عنده ، وجمع أصحابه وخرج من المدينة قاصدا مكة ، متأيا من بيعة يزيد ، آنفا من الانخراط في زمرة رعيته .

فلما استقر بمكة حصل بأهل الكوفة تأييد من بيعة يزيد ، وكانوا يكرهون بنى أمية ، خصوصا يزيد لقب سيرته ، وبجهرته بالمعاصي ، واشتغاره بالقيامح

فراسلوا الحسين عليه السلام ، وكتبوا اليه الكتب يدعونه إلى قدوم الكوفة ،
ويبدلون له النصرة على بنى أمية ... (١) .

نعم غزت الكتابة التاريخية في العصور المتأخرة الفاظ أعجمية وعامية ،
فشاعت في كتابات المؤرخين المتأخرين في القرنين التاسع والعاشر الهجريين أساليب
عامية ، ومن هؤلاء المؤرخين ابن إياس في كتابه « بدائع الزهور في وقائع الدهور » ،
وأبو المحاسن بن تغري بردي في كتابه « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » ،
وابن الفرات في كتابه « تاريخ الدول والملوك » ، وابن إياس (ج ١ ، ص ١٣٠)
يكثر من الألفاظ الدارجة مثل : « وكان في تلك الأيام ديوان المفرد وذويوان
الدولة وديوان الخاص في غاية الاشحات » (٢) ، ومثل « وكان السلطان غصنكا
في جسده » (٣) (أي عيلا) ، ومثل « وقيل إن جاني بك لما رأى أن الأمير
طومان باي اليوادر عطلا عليه سأل السلطان وبأس دجمله بأن ينفه من
التحدث » (٤) ، وقوله : « وكان السلطان من حين بلغه أن الفرنج ترأيد عيهم في
البحر الملح وطفتت به مراكب الفرنج » (٥) ، ويوجد « وتكذ السلطان » (٦)

(١) محمد بن علي بن طيحا ، كتاب تغري في الآداب السلطانية ، بيروت ١٩٦٠

ص ١١٣ ، ١١٤ .

(٢) ابن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى ، ج ٤

القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٣٥٩

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٧٢

(٤) نفس المصدر ، ص ٣٨٠

(٥) نفس المصدر ، ص ٤٥٨

(٦) نفس المصدر ، ص ٦٦٣

ومثل قوله : « وغالب الرعية بحلب وغيرها من ظلم الثواب وجورهم يميلوا إلى ابن هيثان » (١).

كذلك أكثر ابن الفرات (ت ٩٠٧) من استخدام الألفاظ البازجة ، مثل ذلك قوله : « ففزع السامى عن قومه ومسك كم العبادى وقال له أنا وإمت إلى عند الشرع الشريف عند من مختاره من القضاء ، فقال العبادى أنا ما أروخ إلا عند السلطان .. فقال له السلطان ايش هذا الذى جرى لك يا بليغا كفر وك .. » (٢) ، ومثل قوله : « ودخل بهما إلى عند السلطان فتحدث السلطان معهم كلام كثير وبأس الأمير علاء الدين » (٣) .

* * *

ولهذا سلك المؤرخون العرب في كتاباتهم التاريخية منهجين ، الأول التاريخ الحولى أو التاريخ حسب السنين ، والثانى : التاريخ حسب الموضوعات :

١- التاريخ الحولى أو حسب السنين :

وجد من المؤرخين المسلمين من أرخ للأحداث سنة بعد سنة ، فكانت مختلف الحوادث تجمع في كل سنة ، وترتبط فيما بينها بكلمة ، وفيها ، فإذا انتهت حوادث السنة الواحدة ، انتقل المؤرخ إلى حوادث السنة التالية ، فيستخدم الجملة الآتية : « ثم دخلت سنة كذا ، أو : ثم جاء في سنة كذا » .

(١) قس المصدر ، ص ٣٦٤

(٢) تاج الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، تحقيق الدكتور

فلسطين زريق ، مجلد ٩ ج ٢ ، بيروت ١٩٣٨ ص ٤٠٨

(٣) قس المصدر ، ص ٤٣٦

وعيب هذا المنهج التاريخي أنه يمزق سياق الحادثة التاريخية الطويلة ، التي تتواصل وتمتد إلى عدد من السنين ، فلا يذكر المؤرخ الذي يتبع المنهج الحزلي منها إلا ما يخص حوادث السنة التي يجمع كل أحداثها ، فإذا كان لهذه الحادثة بقية في سنة ثانية وثالثة ، ذكرها متفرقة ممزقة ، في جملة أحداث كل سنة . ولقد انتقد المؤرخ الكبير علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري والملقب بعم الدين (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ) هذا المنهج ، فيقول : « ورأيتهم (١) أيضاً يذكرون الحادثة الواحدة في سنتين ، ويذكرون منها في كل شهر أشياء ، فتأتي الحادثة مقطعة ، لا يحصل منها على غرض ، ولا تفهم إلا بعد إيمان نظر ، فجمعت أنا الحادثة في موضع واحد ، وذكرت كل شيء منها في أي شهر أو سنة كانت ، فأنت متأسفة متتابعة ، قد أخذ بعضها برقاب بعض ، وذكرت في كل سنة ، لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها . فأما الحوادث الصغيرة التي لا يحتمل منها كل شيء ترجمة ، فأنت أفردت لجميها ترجمة واحدة في آخر كل سنة فأقول : ذكر عدة حوادث . وإذا ذكرت بعض من تسع وملك في قطر من البلاد ولم تحلل أيامه ، فأنت أذكر جميع حاله من أوله إلى آخره عند ابتداء أمره لأنه إذا تفرق خبره لم يعرف للجهل به ، وذكرت في آخر كل سنة من توفي فيها من مشهورى العلماء والأعيان والفضلاء ، وضبطت الأسماء المشبهة المتشعبة في الخط ، المختلفة في النطق ، الواردة فيه بالحروف ضبطاً يزيل الأشكال ، وينقى عن الألفاظ والأشكال » (٣) .

(١) يقصد من كتب على المنهج الحزلي ، أمثال الطبري وابن الكلبي .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١ ص ١٠٠

وقد حاول ابن الأثير بقدر ما استطاع من جهده أن يتجنب الوقوع في العيب الذي أوضحه في الكتابة على المنهج الحولي ، فجميع عناصر الحادثة ، التي تصل إلى عدد من المئين ، يربطها بين أجزاءها في سيرة معينة وفي موضع واحد حتى تبرز القيمة الحصرية للحادثة وتتابع عناصرها بانتظام وترايط يستفيد منه القارئ فيستوعب الموضوع في سهولة ويسر ، ولكنه مع ذلك لم يستطع في جميع الأحوال أن يطبق هذه الطريقة دائما ، مثل ثورة الإلخانيات التي خاضها أجيالها بما يرب بين ١٤ سنة ، فقد وردت أخبارها في الكامل موزعة على السنين ، على النحو الذي عرّفنا القارئ في كتابه تاريخ الرسل والملوكة (١).

وقد يترتب ابن الأثير أيضا مهمة القارئ ، إذ موضوع للأحداث تناولت عن معنوتها ، في حين وضع كل مجموعة من المجموعات العنصرية التي وقعت في السنة الواحدة تحت عنوان أو ذكر عدة حوادث ، يختصها بترجمة أشهر الوفيات في السنة المذكورة .

كذلك انتقد الكاتب الكبير شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٥٧٢ هـ) في مقدمة القسم الخامس من كتابه « نهاية الأرب في فنون الأدب » هذه الطريقة الحولية ، الميوب نفسها ، وآثر الكتابة حسب الموضوعات ، فكتب في تاريخ الدول دولة دولة ، فلا يتصل من الحديث عن تاريخ دولة إلا إذا انتهى من عرض تاريخ الدولة السابقة ، متبعا في نفس الوقت المنهج الحولي في ذكر أحداثها . وفي ذلك يقول : « ولما رأيت غالب من أرخ في الملة الإسلامية وضع التاريخ على حكم السنين ومسايقها ، لا الدول واتساقها ، علمت أن ذلك زبما قطع على المطالع

(١) عبد القادر طليبات ، المؤرخ ابن الأثير ، ص ٥٣ .

لذة واقعة استجلها ، وقضية استجلها ، فانقضت أخبار السنة ولا استوعب
تكلة فصولها ، ولا انتهى إلى جملتها وتفصيلها ، وانتقل المؤرخ بدخول السنة التي
تليها من تلك الوقائع وأخبارها ، والممالك وآثارها ، والدولة وسيرها ، والحالة
وغيرها ، فنتقل من الشرق إلى الغرب ، وعدل عن السلم إلى الحرب ، وعطف من
الجنوب إلى الشمال ، وتحول من البكر إلى الآصال ، وقد تحول به خيل الاستطراد
فيبعد ، وتحول بينه وبين مقصده الشجون ، فيثور تارة وتارة وينجد ، فلا يجمع
المطالع إلى ما كان قد آمله إلا بعد فشة ، وقد يعدل عنه إذا طالت المسافة
وبعدت عليه الشقة . فاخترت أن أقيم التاريخ دولا ، ولا أبقي عن دولة
إذا شرعت فيها حولا ، حتى أسردها من أوائلها إلى آخرها ، وأذكر بجملا
من وقائعها وما أثرها ، وسياقة أخبار ملوكها ، ونظم عقود سلوكها ونفرد مالوكها
وتشعب مسالكها ، فإذا مضت مدتها وانقضت سلسلتها ، وانتقلت من العين إلى
الأخر ، ومن العيان إلى الخبر ، رجعت إلى غيرها ، فقفوت أثرها ، وشرخت
خيرها . (١) . وتستدل من مقدمه كتابه على أنه قسم التاريخ الاسلامي إلى
دول ، فحدثت عن السيرة النبوية ، وأخبار الخلفاء ، وأخبار الدولة الأموية ،
والعباسية ، والعتوية ، ودول ملوك الاسلام المستقلة بالملك في عصر الدولة
العباسية (الدول المنقطعة) (٢) .

والطبري ، عمدة مؤرخي العرب ، هو أول مؤرخ وصلنا إنتاجه التاريخي ترتيبا
على السنين ، منذ بداية التاريخ الهجري حتى سنة ٢٠٢ هـ . والطبري ينسب إلى
طبرستان ، إذ ولد ببلدة آمل من طبرستان الواقعة عند الساحل الجنوبي من بحر

(١) محمد عبد الفتى خشن ، علم التاريخ عند العرب ، (من التورثي) ص ١٧١

(٢) راجع مقدمة التورثي ، نهاية الأرب في فنون الأدب في السفر الأول (مجموعة

طبرستان (قزوین) ، في سنة ٥٢٢ هـ . ورحل من صغره لتلقى العلم من مسقط رأسه إلى الري ، فأخذ على شيوخ هذه المدينة ، ودرس فقه العراق ، ثم مضى إلى بغداد ، وسمع عن علمائها ، وانتقل منها بعد ذلك إلى البصرة . وأخذ ينتقل بين مراكز العلم في المشرق الاسلامي سعياً وراء تحصيله ، فراحل إلى الشام ، وأطال المقام في بيروت ، ثم رحل إلى مصر ، ولقي بها أبا الحسن السراج المصري ، وأخذ الفقه الشافعي عن الربيع والمزني وأبناء عبد الحكيم (١) . كما أخذ عن يونس ابن عبد الأعلى الصيرفي قراءة حمزة وورش . وعاد إلى بغداد وعاش فيها بقية عمره حتى توفي في سنة ٥٣١ هـ . وقد ذاعت شهرته الطبري بتفسيره للقرآن الكريم المعروف بتفسير الطبري ، وبكتابه التاريخ العظيم وتاريخ الرسل والملوك المعروف أيضاً بتاريخ الأمم والملوك ، وهو أقدم مصدر كامل لتاريخ العرب ، بدأه بالخلق وانهى فيه إلى سنة ٥٣٠ هـ ، ورتب جرائده وفقاً للمنهج الحولي . وقد اتبع الطبري في روايته للأخبار والحوادث طريقة الإسناد ، أى إسناد الرواية إلى سلسلة من الرواة توثيقاً للأخبار التي يرويها ، فلقد كانت لفظة الطبري إلى التاريخ متأثرة إلى حد كبير بدراسته الأولى وثقافته كمحدث وكفقيه (٢) ، ولذلك كانت قيمة الروايات تعتمد في نظره على قوة أسانيدنا ، وكلما كان الإسناد في أوله قريباً من الحادثة كان ذلك مدعاة لصحتها ، غير أن الطبري لم يكن يفضل رواية على رواية ، وإنما كان يكتفى بعرض الروايات ، فيقف بذلك موقفاً حيادياً (٣) . ولمصل اعتبار الطبري على

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، مقدمة الأستاذ عبد أبو الفضل إبراهيم ، مجموعة ذخائر العرب ، القاهرة ١٩٦٠ ، ج ١ ص ٥ — ١٠ — أحمد محمد الحولي ، الطبري ، سلسلة أعلام العرب ، القاهرة ١٩٦٣ ص ٣٦ — ٤٩

(٢) الدوري ، نشأة علم التاريخ عند المسلمين ، ص ٥٥

(٣) الدوري ، ص ٥٦ ، يشبه الطبري في هذا من سبقه من المؤرخين أمثال عبد الرحمن بن عبد الحكم (ت ٥٢٥ هـ) الذي كان يتخذ في رواياته التاريخية على الأسانيد

الإستاد كان سنيا في وفرة مصادره ، وكان لذلك أعظم الأثر في اعتياده من جاء بعده من المؤرخين عليه ، أمثال : مسكويه ، وابن الأثير ، والنهجي .

ويشك روزنثال في أن الطبرى هو أول من طبق للصورة الحولية على الكتابة التاريخية ، وذلك لكبر حجم كتابه من جهة ، ثم لأنه يستند في ذلك على أنه وصلتنا أخبار تشير إلى استعمال المؤرخين الأول لصورة الحوليات قبل الطبرى (١) ، من ذلك أبو عيسى بن المنجم (ت ٢٧٩ هـ) الذي كتب قبل الطبرى كتابا في تاريخ سنى العالم ، لعل حوادثه كما هو واضح من عنوانه كانت مرتبة حسب السنين ، ومنهم محمد بن يزداد الذى صنف ، حسبما يذكر ابن النديم ، كتابا أكمله ابنه عبد الله إلى سنة ٣٠٠ هـ ، مما يدل على أن كتاب محمد بن يزداد كان يقع منهج التاريخ الحولى . كذلك يستند الأستاذ روزنثال فدايه على أن تاريخ حرقه الاصفهانى وتاريخ لإلباس النصيبى يتضمنان مقتطفات مقتبسة من تاريخ محمد بن موسى الخوارزمى الذى عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجرى ، تدل على أن كتاب الخوارزمى كان مرتبا على حسب السنين (٢) .

ومما يدل على أن الطبرى لم يكن أول من كتب الحوليات ، أن الميثم بن عدى (ت ٢٠٦ هـ) ألف كتابا في التاريخ على المنهج الحولى بعنوان « كتاب التاريخ على

الكاملة » حرصا على بيان زواتها ، وأمانة النقل ، دون أن ينس بتدبعا ، وكذلك يشبه الطبرى مؤرخا آخر سبقه في الكتابة التاريخية هو أحمد بن جابر البلاذرى (ت ٢٧٩ هـ) الذى تأثر بدوره بما هو فيه الواقضى والمدائنى وغيرهما في الفتح (راجع السيد عبدالعزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج ٢ ، الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٩٣ — ٩٦) .

(١) روزنثال ، ص ١٠٢ وما يليها

(٢) نفس المرجع ، ص ١٠٤

السنين (١٦) ، وهو أمر يشير إلى أن الكتابة التاريخية على المنهج الحولاني كانت معروفة في العراق في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة (٢) . كذلك ورد في الفهرست لابن النديم أن جعفر بن محمد بن الأزهر (ت ٢٧٧) ألف كتابا في التاريخ مرتبا على السنين .

وقد اتبع طريقة المنهج الحولاني بعد الطبري عدد كبير من مؤرخي المسلمين ، ينحصر بالذكر منهم مسكويه وابن الجوزي وابن الأثير وأبو الفداء والذهبي .

وفكرة الكتابة التاريخية على المنهج الحولاني أو وفقا للسنين ليست في رأى روزنتال ابتكارا لمؤرخي الغرب ، فقد كانت الكتابة التاريخية على طريقة الجوليات - في رأيه - معروفة في الكتب الإغريقية . وكانت الجوليات الإغريقية وقد ظهرت للإسلام بمثابة كثير أجمع الجوليات الإسلامية المتأخرة . ويرى الأستاذ روزنتال أن الجوليات الإغريقية تمثل فيما كتبه إريوس ملاسا ، كما يمثل المنهج الحولاني في الأدب العربي فيما كتبه يعقوب الزهاوي (من القرن الأول الهجري) ، وفكرة الكتابة التاريخية على المنهج الحولاني انتقلت على هذا النحو إلى مؤرخي العرب الأولين عن طريق اتصالهم بأول العلم من السريان المسيحيين أولا ، ثم عن طريق رجعهم إلى المصادر الإغريقية الأصلية مباشرة (٢) . يصرى روزنتال أنه ليس من الضروري أن يكون هناك كتابا معينا أو حتى بفكرة المنهج الحولاني إلى المؤرخين العرب ، لأن هذه الفكرة من الأسس التي تتألفها بمجرد اطلاع

(١) روزنتال ، نفس ١ من ٢٤٤ من النور ٤ ص ٤٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٤٢ .

(٣) أولري ، سالك الثقافة الإغريقية إلى الغرب ، ترجمة دكتور شام حسان ، القاهرة

سطحي على تاريخ مكتوب على السنين ، او مزيج مناقشة عرضية بين مؤرخ نصراني ومؤرخ مسلم ، ولقد كان احتكاك العرب المسلمين بالنصارى في المجال الثقافي قوياً بوجه خاص في سوريه ، إذ كانوا يعيشون معا مرتبطين فيما بينهم بروابط اجتماعية وثيقة .

وخلاصة القول أن مؤرخي العرب — في اعتقاد روزنتال — قد استلهموا طريقة التأريخ الحولى من مؤرخى الإغريق والسراني ، على الرغم من أن الكتابة السريانية أو الإغريقية لم يكن لها تأثير على مؤرخى العرب ، وأن ما اقتبسه العرب منهم يقتصر على علوم الفلسفة والرياضيات والفلك والجغرافيا والكيمياء والطب والجغرافيا والمقايير (١) ، ثم أبدع العرب في هذه الطريقة ، وطوروها ، وتقديمها بما تقدمها أيعدما عن مصدرها الاصلى ، وساعد على سهولة عرض المادة التاريخية استمرار اليهود الإسلامية وتواصلها (٢) ، وتفاعل العرب الناليين مع الشعوب المغلوبة ، ومع ذلك فالاستاذ روزنتال يشك في الاعتقاد بوجود ميلات متينة بين علم التاريخ الإغريق — السرياني ، وعلم التاريخ العربى الإسلامى ، ويشك في أن التاريخ العربى القائم على المنهج الحولى يعرف العرب عن طريق مباشر من كتب التاريخ الإغريقية مثل كتاب يوزيبيوس (٢٦٥-٣٢٤) لأن كتاب يوزيبيوس الذى عرفه بعض مؤرخى العرب عن طريق النسرين والوسطاء المسيحيين لا علاقة له بالنظام الحولى في التاريخ الاصلاحى (٣) .

ولا يشك الاستاذ عبد الحميد العبدى في أن توفيت الاحداث بالسنين

(١) نفس المرجع .

(٢) روزنتال ، ص ١١٠ .

(٣) نفس المرجع ، ص ١١٢ .

والشهور والأيام ضابط انفرد به مؤرخو المسلمين عن نظرائهم من اليونان والرومان وأوربا في العصور الوسطى (١). وتؤكد الدكتور سيدة كاشف أن الكتابة التاريخية السريانية لم يكن لها قط تأثير على المؤرخين المسلمين على الرغم من قيام مدارسهم في الرها ونصيبين وجنديسابور بممارسة نشاطها العلمي في الترجمة عن الإغريق ، وتذكر الأستاذة الدكتور أن التأثير الأجنبي الذي نلسه عند بعض المؤرخين والمسلمين القدماء إنما كان في كتب التاريخ الفارسية فيما يختص بالتاريخ الإيراني القديم (٢).

* * *

ثم طرأ تطور على كتابة التاريخ الحولي في العصور الإسلامية المتأخرة ، وذلك عندما أحسن المؤرخون في هذه العصور بحاجتهم إلى ترتيب إضافي للمادة التاريخية ، التي كانت تزيد يوماً بعد يوم ، في وحدات زمنية أوسع ، فأدخل مؤرخ الإسلام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (٦٧٣ — ٥٧٤٨) في كتابه الكبير « تاريخ الإسلام » الذي يتألف من ٣١ مجلداً ضخماً ، والذي بدأ به التاريخ الإسلامي حتى بداية القرن الثامن الهجري ، تقسيماً فرعياً للحوادث متبعاً نظام العقود ، أي من السنة الأولى إلى السنة العاشرة هـ ، وهكذا وطبق هذا التقسيم إلى عقود على كل أجزاء كتابه . غير أن التقسيم إل عقود في تاريخ الذهبي إنما استمد أصوله من تاريخ السيرة ، والذي في ذلك يربط بين تاريخه وبين آداب الطبقات والرجال (٣) .

(١) مرتقبو ، علم التاريخ ، ص ٦٧ .

(٢) سيدة كاشف ، مصادر التاريخ الإسلامي ، ص ٥٠ .

(٣) روزتال ، ص ١٢١ .

كذلك ترجع أصول التظيم حسب القرون إلى كتب الخليل بن أحمد
 ككتاب « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة » الفوطي ، وكتاب
 « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » لابن حجر العسقلاني ، وكتاب « الضوء
 اللامع في رجال القرن التاسع » للسخاوي ، وكتاب « النور السافر في أخبار
 القرن العاشر » لابن العيديدوس ، و« السكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة »
 للفزى ، وكتاب « نخبة الزمن في أعيان القرن الحادى عشر » للبحي ، وكتاب
 « نزهة الحادى بأخبار ملوك القرن الحادى » لمحمد الصغير (وهو كتاب على عن
 المغرب) .

وهذه الكتب إما مرتبة حسب السنين كالتجارب النافعة للفوطى ، أو مرتبة
 حسب حروف الهجاء كالدرر الكامنة لابن حجر .

ب - التأريخ حسب الموضوعات :

وهى التزام المؤرخ طريقة التأريخ إما للدول أو لعهود الخلفاء والحكام ،
 وإما للسين أو الطبقات ، فالكتابة حسب هذا المنهج قولها الاشخاص ، وأغنى
 بهم اشخاص الخلفاء أو الحكام ، بخلاف المنهج السابق القائم على ترتيب السنين .

١ - التأريخ للدول : وجد فريق من مؤرخى العرب كان يؤثر الكتابة
 التاريخية على حسب الامرات الحاكمة أو الدول أو العهود ، فنجد بعضهم يكتب
 في تأريخ الدول والامرات الحاكمة مثل ابو حنيفة الدينورى في « الاخبار الطوال » ،
 وابو شامة في « الروضتين في أخبار الدولتين » ، وابن واصل في « مفرج الكروب في
 في أخبار بنى ايوب » ، وأبو بكر الصدفى في « الأنوار الجلية في أخبار الدولة
 المرابطية » ، ولسان الدين بن الخطيب في « البححة البدرية في الدولة النصرية » ، وأبو

الوليد إسماعيل بن الأحمر في دروطة النسرين في دولة بني مرزبان ، وابن خلدون في كتابه الكبير ، والعبر زديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السطان الأكبر .

كذلك نجد بعضهم يكتب في تاريخ الخلفاء والملوك والسلاطين مثل : البلى في سيرته لأحمد بن طولون ، وابن الداية في سيرة أحمد بن طولون ، وابن زويلاق في سيرة الإخشيد ، والصولى في أخبار الراضى والمتقى بالله ، وابن شداد في سيرة صلاح الدين ، والبيدق في أخبار المهدي بن تومرت ، ومحي الدين بن عبد الظاهر في تشریف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور ، وبدل الدين العيني في الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر (ططر) ، والسيف المهند في سيرة الملك المؤيد ، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ، والمقرئ في انماط الخلفاء بذكر الأئمة الخلفاء .

ويتميز هذا النظام في الكتابة التاريخية بالاهتمام الخاص بالمسائل الاخلاقية والإدارية ، الذى كان مظهرأ من مظاهر أثر التاريخ القومى الفارسى في مؤرخى العرب القدامى ، فلقد كان التاريخ الفارسى يطبق طريقة تقسيم المادة التاريخية حسب عهود الحكام ، وكان مؤرخو الفرس يرون أن أخلاق الحكام والإدارة السياسية في هذه أهم عناصر التاريخ ، ولذلك يمكننا إرجاع منهج الكتابة التاريخية على حسب تاريخ الدول إلى أصول فارسية (١) .

ومن أقدم المؤرخين المسلمين الذين كتبوا في الدول وفي اليهود : أحمد بن أبى يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبى (٢٨٤ هـ) ، وكان معاصرا للطبرى ، وكان

اليعقوبي مؤرخاً ورجالة (١) في آن واحد ، وكتابه في التاريخ يأتى بمراتب
الأول : في التاريخ القديم ، صرح فيه عن فكرة التاريخ العالمى ، فى السبع
 السابق على الإسلام وفى التاريخ الإسلامى حتى سنة ٢٥٩ هـ ، متبعاً فى كتابه
 التسلسل التاريخى للإحداث ، ويبدأ فى هذا الجزء بالخلق وتاريخ الأنبياء وتاريخ
 الفرس القدم ، وتاريخ العرب فى الجاهلية ، وتاريخ البابليين والآشوريين
 والهنود واليونان والروم وتاريخ المصريين والعبرانيين والإغريق والفرس والهنود
 والصينيين (٢) ، والآخر الجغرافى واضح فى كتابته عن هذه الشعوب بحكم كونه
 رجالة ومؤرخاً فى آن واحد .

والثاني : أفراد التاريخ الإسلامى ، رتبته حسب الخلفاء مع مراعاة تسلسل
 الأحداث على السنين فبدأ به ولد الرسول وقبائله حتى وفاته ، ثم تتبع تاريخ الخلفاء
 حتى المتعمد العباسى .

وبعد تأثر المسعودى (٣٤٦ هـ) فى كتابه بكتابة اليعقوبى ، فقد جمع الحوادث
 التاريخية تحت رؤوس موضوعات تتعلق بالشعوب أو الأسرات والدول
 والحكام ، وكتابه مروج الذهب شأه فى ذلك شأن تاريخ اليعقوبى يجمع بين
 التاريخ حسب الموضوعات المختلفة كتاريخ الهنود والفرس والروم واليهود
 والصينيين والعرب والآراك فى العصور القديمة ، وبين التاريخ حسب الدول
 والحكام .

وكان معظم مؤرخى العرب الذين اتبعوا هذا المنهج فى الكتابة التاريخية أمثال

(١) يتجلى ذلك كتابه « البلدان » الذى اعتبره دى غوييه مع كتاب « الأعلام » النفيسة

لابن رسته ، فى الجزء السابع من المكتبة الجغرافية العربية ، ليدن ١٨٩٢ .

(٢) الدورى ، نشأة علم التاريخ عند العرب ، ص ٥١

ابن عذارى المراكشي في «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب»، وابن قتيبة الدينوري في «كتاب المعارف»، واليعقوبي في تاريخه المرسوم باسمه، يضيفون قبل المضي في دراستهم لشخصية الحاكم أو الخليفة موضوع الدراسة، الصفات الخلقية والمعنوية له، ويذكرون أيضاً صفاته الجسمانية، وأحياناً يوردون قوائم بأسماء أولاده ونسائه وهو ظفيع، وبعضهم يضيف إلى ذلك قوائم بأسماء القضاة والوزراء والكتاب والعلماء والشعراء المعاصرين لهذا الحاكم. فابن عذارى عندما يكتب عن قيام دولة بني أمية في الأندلس وإمارة عبد الرحمن بن معاوية محدثنا عن نسبه وكنيته، ويذكر اسم أمه، وتاريخ مولده والبلدة التي ولد فيها، وتاريخ وفاته وتاريخ مبايعته بالأمانة، ويذكر أسماء وزرائه وعددهم وأسماء حجابيه وقضائه، ويصفه ثم يذكر عدد أولاده (١). وابن قتيبة عندما يترجم للصحابه، يتم بذكر أنسابهم وصفاتهم ويحصى عدد أولادهم ويذكر أسماءهم كما يذكر أسماء موالدهم (٢) ومن أوائل المؤرخين المسلمين الذين كتبوا عن الدول والعهود، ابن قتيبة الدينوري، (ت ٢٧٠ هـ)، وكتابه المعارف مثل من أمثلة الكتابة التاريخية العالمية، يبدأ فيه ببده الخليفة وينتهي بأيام المعتصم، أما كتابه «الأخبار الطوال» فهو مثل آخر من أمثلة التاريخ العام العالمي، وقد عالج في القسم السابق على الإسلام تاريخ الفرس والروم والعرب.

(١) ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار المغرب، ج ٢، أخبار الأندلس، بيروت ١٩٥٠، ص ٧١.

(٢) ابن قتيبة، المعارف، القاهرة ١٣٠٠ هـ: راجع ترجمة الزبير بن العوام، ص ٧٤ وما يليها و ترجمة طلحة بن عبيد الله، ص ٧٧، و ترجمة عبد الرحمن بن عوف، ص ٨٠، و ترجمة سعد بن أبي وقاص، ص ٨٢، و ترجمة سعيد بن زيد، ص ٨٣... إلى آخره.

٢ - التأريخ حسب الطبقات : التأريخ حسب الطبقات إسلامي أصيل ، لم تكن له علاقة في الأصل بطريقه التأريخ حسب السنين ، لأن تقسيم الطبقات جاء نتيجة طبيعية لفكرة وحماية رسول الله ، ولذلك ارتبط التأريخ حسب الطبقات بعلم الحديث ارتباطاً وثيقاً ، كما ارتبط بالعلوم الدينية . فطبقات ابن سعد ، لا تعدو أن تكون تراجم لشخصيات محدثة هامة . وطبقات الشافعية لتاج الدين السبكي ، وطبقات الصوفية للسلمي ، وطبقات الحنابلة لابن يعلى ، والطبقات الكبرى للشعراني ، تراجم لشخصيات عظيمة .

ثم استخدمت الكتابة في الطبقات في ميادين غير دينية مثل : طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ، وطبقات النحويين الزبيرى ، وغير ذلك من الطبقات التي سنورد ما عند دراستنا لكتب الطبقات في المصادر .

٣ - التأريخ حسب الأنساب : أصبح لقرشيين والمعاوية ولأبناء الصحابة الأولين مكانة كبيرة في الإسلام ، فظهروا في صورة استقرائية عربية في الإسلام ، وساعد ذلك على الاهتمام بدراسة الأنساب ، وخاصة بنسب قرش ، فظهر من النسابين فريق اهتم بأحساء فضائل قرش ، وذكر مزاياهم ومآثرهم ، وأقسامهم مصعب الزبيرى (ت ٢٢٣) الذي صنف كتابين : أحدهما بعنوان « النسب الكبير » ، والثاني بعنوان « نسب قرش » . وصلنا منهما الكتاب الثاني (١) ، وبليه في طبقات النسابة لقرش الزبير بن بكار (ت ٢٥٩) وهو من نسل عبدالله ابن الزبير ، وقد صنف في الألقاب كتاباً بعنوان « نسب القرشيين » في مجلدين ،

(١) المصعب بن عبدالله الزبيرى ، نسب قرش ، تحقيق لبقى برونسال ، القاهرة ١٩٥٣

سم البلاذرى (ت ٢٧٩) الذى ألف كتاباً بعنوان « أنساب الأشراف » وهو كتاب عنى فيه بدراسة نبلاء العرب أى الخلفاء منهم ومن كان يفرض له فى بيت المال ألف درهم أو ألفان وخمسمائة (١) ، خص فيه نسب قريش باهتمام بالغ فلا ينهى من نسب قريش إلا فى المجلد العاشر من مجموع مجلداته وعددها ١٢ مجلداً .

ولقد وجدت الكتاب فى الأنساب فى المغرب الاسلامي والاندلس ارضاً خصه : وكان علم الأنساب يشغل فى بلاد الاندلس مكانة عظيمة ربما فاقت مكانة بقية العلوم الاسلامية ، فألف فيه عدد من المؤرخين يخص بالذكر منهم : عبد الملك بن حبيب ، وأحمد الرازى ، ومحمد بن حزم القرطبي وابن عبد البر ، ويرجع السبب فى العناية بالأنساب فى المغرب والاندلس إلى قلة عدد العرب العربى النسب فى الاندلس ، بعد أن تعقد المجتمع الاندلسي ، وأصبح يتكون من خلط بشرية غير منتظمة ، مما ترتب عليه قيام طوائف جنسية مختلفة تقوم على العنصرية الجنسية او العصبية ، كالعرب والبربر والمولدين ، وقد اوجد ذلك مادة خصبة لعلم الأنساب (٢) .

(١) البلاذرى ، أنساب الأشراف ، تحقيق الدكتور محمد جواد الله ، القاهرة ، ١٩٥٩ ،

ج ١ ص ٢٢ من المقدمة .

(٢) ابن حزم ، جبهة أنساب العرب ، تحقيق ليفى بروكسال ، القاهرة ، ١٩٤٨ ،

ص ٩ من المقدمة

(٢)

تنوع صور المادة التاريخية

١ - التأريخ العالمي :

أشرفنا فيما سبق إلى أنه ظهرت منذ أواخر القرن الثالث الهجري ثلاثة أنواع من كتب التأريخ العالمي، سبقها كتاب الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري، الذي يبدأ من آدم عليه السلام، ويستمر في تاريخ عرب الجاهلية والفرس، ثم تاريخ صدر الإسلام، دون التعرض لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وينتهي بنهاية ملك يزيد جرد. ونلاحظ في هذا الكتاب اهتماما خاصا بتاريخ الفرس.

أما النوع الأول: فيتمثل في تاريخ اليعقوبي، وقد سبق أن تحدثنا عنه، والجزء الأول من كتابه يتضمن موضوعات متعددة ابتدأ فيها بقصة التوراة. ثم وصف الأنبياء الأربعة واستعرض التاريخ الجاهلي، ولكنه اضطر إلى التعرض لموضوعات ثقافية عامة عندما لم يجد مادة في التاريخ السياسي، فأخذ يحدثنا عن الإغريق والهنود والعرب وعن بعض الموضوعات العامة، مثل كتب أرسطو وأبقراط والشعراء الجاهليين.

والنوع الثاني: من كتب التاريخ العالمي في القرن الرابع الهجري يمثل كتاب «تاريخ الرسل والملوك» لابن جرير الطبري، وهو أهم بكثير من تاريخ اليعقوبي، إذ جمع فيه الطبري بين تفصيل المتكلمين، وتدقيق الفقهاء، وبصر الساسة في الأمور، الأمر الذي رفع من قيمة الكتاب، وجعله من أهم المصادر في التأريخ العام أو العالمي، وأ نموذجاً للصورة التي ينبغي أن يكتب بها التاريخ. ويقتصر القسم السابق

على العصر الإسلامي من تاريخه على مجموعة من الأخبار عن الأسرانيات ، وتاريخ العرب ، وتاريخ الفرس . أما حديثه عن سيرة النبي فقد أجمع فيه نهج كتاب السيرة والمغازي مع تتبع الأحداث التي مرت بها الدولة العربية الإسلامية منذ الهجرة النبوية ، وفقا لترتيبها الزمني ، والاهتمام في آن واحد بذكر سلسلة الإسناد في الروايات المختلفة . وقد طبق الطبري نهج الكتابة الحولية ، واهتم في الوقت ذاته ، بإيراد تراجم الخلفاء في سني وفاتهم (١) .

والنوع الثالث : يمثل كتاباه مروج الذهب ومعادن الجوهر ، وه التنبية والإشراف ، للمسعودي (ت ٨٣٤٦هـ) . والكتاب الأول موسوعة تجمع في مادتها بين الدراسة التاريخية والجغرافية ، ولم يقتصر المسعودي في هذا الكتاب على دراسة الموضوعات المألوفة عند المؤرخين الذين سبقوه أو عاصروه ، وإنما وإنما انتقل إلى ذكر قصة خلق العالم ، ووصف طبيعة الأرض ، ودراسة الشعوب الأعجمية التي عرفها المسلمون (٢) ، وبحث في تاريخ العرب في الجاهلية ، مؤكدا على العناصر الحضارية في تاريخهم ، ثم كتب بإيجاز في السيرة النبوية ، واهتم بالأحداث التي كان لها اتصال مباشر بعلي بن أبي طالب اهتماما خاصا ، ثم بحث في تاريخ الخلفاء متتبعا لترتيب الزمن . أما الكتاب الثاني فقد ضمنه آراءه في فلسفة التاريخ والكون (٣) ، واهتم بوجه خاص بوصف البلدان المختلفة كما يجعلنا نعتبر المسعودي أدق من يعقوبي في تأكيد المعنى العالمي للتاريخ (٤) .

وقد اكتفى كل من يعقوبي والمسعودي بذكر قائمة بأسماء الأخباريين الذين

(١) روزتال ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٢) خمس المراجع ، ١٨٨ .

(٣) سيرة كشف ، ص ٣٦ .

(٤) روزتال ، ص ١٨٧ .

أفاداً منهم في كتابتهما ، ولذلك حذفنا الأسانيد من رواياتهما بخلاف الطبري ،
الذي كانت يبدل كل ما استطاع من جهد في العناية بتسلسل السند في الروايات
المختلفة .

هؤلاء المؤرخون الثلاثة يثلون مؤرخي العرب في كتابة التاريخ العالمي في
القرنين الثالث والرابع الهجري . ولكن كتب هؤلاء المؤرخين ليست الكتب
الوحيدة في هذا المجال ، فهناك كتب أخرى لمؤرخين مسلمين ونصارى وقليل منهم
يهود ، حدث هذا الخدو ، ولكنهم لم تبلغ في تطبيق الصورة العالمية مبلغها ، ونستعرض
أمثلة من هذه الكتب فيما يلي وفقاً للترتيب الزمني :

١ — حمزة بن الحسن الأصفهاني (ت قبل سنة ٣٦٠ هـ) : كتاب « تاريخ سني
ملوك الأرض والأنبياء » ، ويتضمن عشرة أبواب ، قام فيها بدراسة تاريخ الفرس
وطبقات ملوكهم ، وتاريخ ملوك الروم ، وتاريخ اليونان ، وتاريخ القبط ، وتاريخ
ملوك الحيرة ، وتاريخ ملوك غسان ، وتاريخ ملوك كندة ، ثم تاريخ قريش .
وأهم المؤرخ بتاريخ خراسان وطبرستان ، فأفرد لولاء خراسان الفصل التاسع
من الباب العاشر ، وأفرد لولاء طبرستان الفصل العاشر من الباب نفسه (١) .

٢ — أغايوس (الملقب بمحبوب بن قسطنطين الرومي المنيجي) : « كتاب
العنوان » (٢) ، بحث فيه جغرافية العالم وتاريخ بني إسرائيل واليونان والروم ، كما
تعرض لتاريخ العرب ، وقد أفاد أغايوس كثيراً من الأخبار الواردة في
الحوليات البيزنطية .

(٣) حمزة الأصفهاني ، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، برلين ١٣٤٠ هـ .

(٤) تحقيق فازيليف ، جركن ، باريس ١٩٠٩ .

٤ - سعيد بن بطريق (المعروف بيوترخوس ت ٥٢٢٨) : كتاب التاريخ
الجموح على التحقيق والتصديق، (١)، وهو تاريخ طويل مكتوب بالعربية ، بدأ
فيه المؤلف من عهد آدم حتى سنى الهجرة متبعا طريقة التاريخ الحولى . والكتاب
يتضمن عرضا رائعا لتواريخ ما قبل الإسلام من وجهة نظر المؤلف المسيحية ،
مثل بنى اسرائيل ، والإغريق ، والرومان ، والنصارى ، والروم ، والفرس .
ويعكس اهتمامه بالمسائل الدينية فى مناقشته للبانوية والنساطرة ، وإشاراته إلى
الأحداث الهامة فى تاريخ الكنيسة .

وقد أكل يحيى بن سعيد الأنطاكي (ت ٤٥٨ هـ) هذا الكتاب بعد أن مضى
ما يقرب من قرن على تأليفه ، ووضع له العنوان التالى : «صلة كتاب
سعيد بن بطريق» (٢) ، واتبع فيه منهجه التاريخى ، وإن كان يبدو من كتابته
أكثر وعيا من سعيد بن بطريق فى تفهم التاريخ العام العالمى .

٥ - الأب جريجوريوس (أبو الفرج بن هرون الملقب) المعروف
بأبن العبرى (ت ٦٨٥ هـ) : «تاريخ مختصر الدول» (٣) ، وهو كتاب مصنف
بالعربية ، تعرض فيه ابن العبرى لأحداث الدولة العربية ، وتحدث عن السيرة
النبيهة ، وعن الخلفاء الراشدين ، مستخدما طريقة الحوليات عند تعرضه لبعض
الأحداث ، وقد استقى ابن العبرى مادته من مصادر سريانية وعربية ، وروى حوادث
عصره ، خاصة الغزو المغولى ، كما شاهدها وعانها . واهتم ابن العبرى بالترجمة
لكبار النصارى من العلماء والاطباء .

(١) طبعة بيروت ، فى جزأين ١٩٠٥ - ١٩٠٩

(٢) لغيره الأب لويس شيخو ، بيروت ١٩٠٩

(٣) طبعة بيروت ، تحقيق الأب أنطون صالحى اليسوعى ، بيروت ١٩٩٠

٥ - مقتطفات من تاريخ سعديا الجاعوني اليهودي (القرن الرابع الهجري)
واردة في مجهول أ كسفورد ، المؤلف في القرن السادس الهجري . يهتم المؤلف
بمجهول الاسم بالأحداث التي لها أهمية في اعتباره بالنسبة لقضايا اليهودية ، ومعظم
صفحات الكتاب خصصها لتاريخ الفترة الواقعة ما بين بدء الخليقة ونهاية الحياة
السياسية اليهودية . أما الأخبار الخاصة باليونان والرومان والفرس والعرب
فمقتضية (١) .

٦ - مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد ، ت ٤٢١ هـ) : كتاب تجارب الأمم ، (٢)
كان مسكويه أميناً لمكتبة ركن الدولة الفضل بن العميد ، ثم دخل في خدمة عند
الدولة بن بويه ، كما كان متمكناً من اللغة الفارسية (٣) ، ولذلك اتسمت كتابته
بتقلب النزعة الفارسية . وكتاب تجارب الأمم يعتبر من أكثر المصادر ثقة ، إذ
اتخذ فيه مسكويه من أحداث التاريخ وتجارب الأمم أمثلة ومواعظ ، ويعبر في
كتابته عن خبرة بشؤون السياسة ، وإدراك كامل وفهم شامل للتاريخ ، وهو
لذلك يقتصر على السياسات التي يمكن لأهل زمانه أن يفيدوا من تجاربها ، فيتجنب
الغوص في تاريخ الأنبياء ، ولا يتعرض لتاريخ الدين لدولة الرسول في المدينة ،
ولأنما يكتفي بمعرض موجز سريع الجانب السياسي ، ولا يهتم إلا بما كان تدبيراً بشرياً
لا يقترب بالاعجاز ، ويبدأ مسكويه كتابه بدراسة لتاريخ ملوك فارس ، ثم يتطرق
في معرض حديثه عنهم إلى ذكر ملاحظات عرضية عن البابليين والإغريق والنصارى

(١) روزنثال ، ص ١٩٢ .

(٢) مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد) تحقيق آسنووز ، القاهرة ١٩١٤ - ١٩١٥

(٣) سيدة كاشف ، ص ٢٦

والروم والعرب قبل الإسلام ، ولا يتبع مسكويه في القسم الاسلامي من كتابه المنهج الحولى في السنين الاولى من الإسلام ، ولكنه يتبع هذا المنهج بعد ذلك ، ويعتمد مسكويه على الطبرى اعتمادا كلياً في الحوادث التي لم يذكرها ، وذلك بعد بعد أن حذف من تاريخ الطبرى سلسلة الاسناد ، واختصر الرواية (١) .

٧ — الثعالبي ، (ت ٢٩٤ هـ) كتاب الفرر في سير الملوك وأخبارهم (٢) .
لم يبق من الفرر إلا أجزاء متفرقة تكفى في حد ذاتها الحكم بأنه لم يبلغ في الاحساس والتبصر التاريخي مبلغ مسكويه . ولقد اعتمد الثعالبي في القسم الاسلامي (حتى عصر الدولة العباسية) اعتمادا خاصا على الطبرى ، واتبع في هذا القسم منهج التاريخ حسب عهد الخلفاء (٣) .

٨ — ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن بن على ، ت ٥٩٨ هـ) : كتاب شذور القنود ، وقد لحص فيه ابن الجوزى كتابه المنتظم . واهتم في القسم السابق على الإسلام بتصوير جغرافية العالم ، وتعرض في هذا القسم لتاريخ بني اسرائيل حتى زمن المسيح ، ثم لتاريخ ملوك الفرس وغيرهم من الشعوب الاعجمية . ويستعرض ابن الجوزى حوادث التاريخ الاسلامي بإيجاز متبعا منهج التاريخ الحولى ، إلى أن يتطرق إلى الحديث عن الاسماعيليه والقرامطة . ويهتم المؤلف بأخبار الرفيات من كبار الشخصيات ، ويذكر بعض الحوادث

(١) روزتال ، ص ١٩٦ — سيدة كاشف ، ص ٣٦

(٢) الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل) غرر أخبار ملوك الفرس ، وسيرهم ، نضرة مع الترجمة الفارسية لزووتبرج Zotenberg ، باريس ١٨٠٠

(٣) روزتال ، ص ١٩٦

الثافية التي يتوهم أنها خطيرة ، كالولادات الشاذة ، والزلازل ، والأوبئة ، والمجاعات ،
والجرائق ، وموجات البرد الشديد ، وظاهرة تزوج امرأة رجلين ، وغير ذلك
من الحوادث الشاذة .

٩ — سبط ابن الجوزي (أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزوغلي ، ت ٥٦٥٤هـ) : كتاب
مرآة الزمان (١) ، هو تاريخ عام ، قدم المؤلف في القسم الخاص بمصر ما قبل الإسلام
من المعلومات والأخبار التاريخية ما يفوق في الكثرة ما قدمه ابن الجوزي المجدد
ويتجلى في كتابته غزارة العلم والدقة والتحري .

١٠ — ابن الأثير (ت ٦٢٠هـ) ، الكامل في التاريخ .

هو أحسن ما صنف من كتب التاريخ العالمي الإسلامي على نسق الحواريات ،
ولقد حرص ابن الأثير في كتابته على حفظ التوازن بين أجزاء تاريخه
المختلفة كما بذل جهدا كبيرا في مراعاة التوازن بين الأحداث في مختلف
أنحاء العالم الإسلامي ، وعندما يقرب من عصره يحاول تفصيل الأحداث
التاريخية دون أن يخل بنسبة المادة التي يوردها . ومن حيث المنهج ، نلاحظ أنه
طبق منهج الكتابة على حسب السنين مع عدم الإخلال برواية الحادثة الواحدة التي
جاءت مقطعة في سنة واحدة ، كما أنه وضع الأخبار الثانوية تحت عنوان ذكر
عدة حوادث ، . ويمتاز كتابه الكامل بميزات منها : التمهيد للخبر بمقدمة مختصرة
تذكر القارئ بما كان قد رواه منه قبل ذلك ، فيتيح للقارئ بذلك أن يربط بين
أجزاء الخبر ، ومنها تليخيص الخبر أولا ، ثم روايته مفصلا بعد ذلك ، بالإضافة
إلى قيامه بتثنية القارئ إذا كان للخبر بقية أو بانقضاء حادث هام كسقوط دولة ،

ومن ميزات كتابه الكامل أنه يخلو من الاسانيد التي تعرقل متابعة القارىء للباحث
التاريخية (١) .

* * *

ثم ظهرت منذ القرن السابع الهجرى مجموعة من الكتب العامة سيطر في كتابتها
الاهتمام الدينى ، فاهتم المؤلفون فيها بالسيرة النبوية اهتماما كبيرا ، وبدعوا
تواريخهم بالسنة الأولى من الهجرة . ويعبر عن هذا الاتجاه : عماد الدين أبو الفداء
اسماعيل المعروف بابن كثير الدمشقى (ت ٧٧٤ هـ) في « البداية والنهاية » (٢) ،
والفقيه ابن أبي الدم (أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم) في تاريخ
الإسلام ، يبدأ بحياة الرسول ، والكتبى (ت ٧٦٨ هـ) في « عيون الأخبار » .

ثم فقد التاريخ العام العالمى قدرته على تصوير العالم تصويراً شاملاً ، بعد أن أثر
المؤرخون في القرن الثامن الهجرى التراجع ، ويمثل هؤلاء المؤرخين : الذهبى في
كتابه « تاريخ الإسلام » ، والسخاوى في « التبر المسبوك » .

٣ - التاريخ المحلى :

هذا النوع من الكتابة هو وليد الشعور بالقومية ، وتعبير صادق عن ارتباط
المؤرخ بإقليمه ، واعتزازه بوطنه ، وإن كان عند كثير من كتب التاريخ الإسلامى
المحلى صنف من أجل اعتبارات دينية . وقد عبر كل من السلاوى وابن الرميح
القيروانى عن ضرورة اهتمام المؤرخ بالكتابة عن إقليمه وأرضه قبل أى اعتبار

(١) عبد القادر أحمد طليبات ، المؤرخ ابن الأثير ، ص ٥٣ — ٦٤ .

(٢) طبعة مصر ١٣٥٨ هـ .

آخر ، فيذكر المؤرخ أبو علي الحسين السلمي (ت ٣٧٤ هـ) في كتابه « أخبار ولاية خراسان » أن « الواجب على صاحب المعرفة من أهلها أن يعلم جل أبنائها ، ويحفظ أيام أمرائها ، لا شيء أزرى عليه من أن يحجل أخبار أرضه ، ولعله يتطلب أخبار غيرها ، ويكون كمن ترك الواجب وتبع التوافل » (١) كذلك يعيب أبو علي الحسن بن محمد بن الربيع (٢) التميمي القيرواني على مؤرخي الاندلس تقصيرهم في الكتابة عن بلدهم ، وذلك في رسالة وجهها إلى ابن حزم القرطبي قال فيها : « ثم هم مع ذلك في غاية التقصير ونهاية التفريط من أجل أن علماء الأمصار ، دونوا فضائل أمصارهم ، وخطوا في الكتب مآثر بلدانهم ، وأخبار الملوك والأمراء ، والكتاب والوزراء . والقضاء والعلماء ، فأبقوا لهم ذكرا في الغابرين ، يتجدد على مر الليالي والأيام . ولسان صدق في الآخرين يتأكد مع تصرف الأعوام . وعلاق كم مع استظهارهم على العلوم ، كل امرئ منهم قائم في ظله لا يبرح ، وراتب على كعبه لا يتزحزح ، يخاف إن صف أن يعنف ، وإن ألف أن يخالف ولا يؤالف ، أو تحطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سجين ، لم يتعب أحد منهم نفسا في جمع فضائل أهل بلده ، ولم يستعمل خاطره في مفاخر ملوكه ، ولا بل قلبا بمناقب كتابه ووزرائه ، ولا سود قرطاسا بمحاسن قضائه وعلمائه » (٣) . فرد عليه الوزير الحافظ أبو محمد علي بن حزم مدافعا عن

(١) السخاوي ، الاعلان بالتوبيخ ، نس واردة في كتاب علم التاريخ عند المسلمين

لروزنثال ، ص ٤٤٣

(٢) ورد الاسم في القرى مختلفا ، فقد ذكر القرى أنه أبو علي الحسن بن محمد بن أحمد

بن الربيع التميمي القيرواني

(٣) القرى ، فتح الطيب من غصن اندلس الرطيب ، تحقيق محمد يحيى ادين عبد الحميد

القاهرة ١٩٤٩ ، الجزء الرابع ص ١٥٢ ، ١٥٣

مؤرخي الأندلس ، مشيدا بذكر أبحاثهم ومصنفاتهم . فقال : ... فإذا فيه خطاب لبعض الكتاب من مصافيتنا في الدار أهل أفرنجية ، ثم من ضمنه حاضرة قيروانهم ، إلى رجل أندلسي لم يعينه باسمه ، ولا ذكره بنفسه ، يذكر له فيها أن علماء بلدنا الأندلس — وإن كانوا على الذروة العليا من التمكن بأفان العلوم ، وفي الغاية القصوى من التحكم على وجوه المعارف — فإن فهمهم قد قصرت عن تخليد مآثر بلدهم ، ومكارم ملوكهم ، ومحاسن قضايتهم ، ومنافب قضائهم ، ومفاخر كتابهم ، وقضايل علمائهم ، ثم تعدى ذلك إلى أن أخلى أرباب العلوم منا من أن يكون لهم تأليف يحيى ذكرهم ، ويثني عليهم ... فأما مآثر بلدنا فقد ألف في ذلك أحمد بن محمد الرازي التاريخي كتابا جمة : منها كتاب ضخم ذكر فيه مسالك الأندلس ومراسيا ، وأميات مدنها وأجنادها الستة ، وخواص كل بلد منها ، وما فيه مما ليس في غيره ، وهو كتاب مريح مليح ، وأنا أقول : لو لم يكن لأندلسنا إلا ما رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر به ووصف أسلافنا المجاهدين فيه صفات الملوك على الأسرة . في الحديث الذي روينا من طريق أبي حمزة أنس بن مالك أن خاله أم حرام بنت ملحان ، زوج أبي الوليد عبادة بن الصامت رضي الله عنه وعنهم أجمعين ، حدثته عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخبرها بذلك ، لكنني شرفا بذلك يسر عاجله ، ويضبط آجله ... (١) .

ويمكننا أن نميز في الكتابة في التاريخ المحلي تيارين واضحين المعالم ولكل منهما متصليين ، أحدهما تيار ديني ، والثاني ديني .

(٢) قس المصدر ، ص ١٥٤ — ١٥٦

وفد تجاوز كل من روزتال والدكتور صالح أحد الطل الصواب في نسبة أقوال ابن الربيع القيرواني إلى ابن حزم ، مع أن ابن حزم هو الذي دافع عن مؤرخي الأندلس ، وذكر أمته متعددة مؤلفاتهم عن الأندلس .

١- التاريخ المحلي الديني :

وترجع أقدم أمثلة كتب التاريخ المحلي الديني الإسلامية الى العراق ، مما يبعدها عن الأمثلة المسيحية الموجودة في سوريا (١) . وأقدم ما ألف في تاريخ العراق كتابان أحدهما عن تاريخ بغداد لأحمد بن أبي طاهر طيفور (ت ٢٨٨ هـ) ابنه عبدالله ، والثاني عن تاريخ الموصل لأبي زكريا يزيد بن محمد بن لباس الأزدي (ت ٣٢٤ هـ) ، وقد بقيت من هذين الكتابين في القرنين الثالث والرابع الهجري أقسام كبيرة . وكتاب « أخبار بغداد » لابن أبي طاهر كان يشتمل على فصل خاص بخط بغداد (٢) .

وقد أشار إلى ذلك الوزير أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، عندما تعرض لذكر شيوخ مؤرخي الأندلس وعلى رأسهم أحمد بن محمد بن موسى الرازي الذي ألف كتابا « في صفه قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها » ، على نحو ما بدأ به ابن أبي طاهر في أخبار بغداد وذكر منازل صحابة أبي جعفر المنصور بها (٣) . أما أبو زكريا الأزدي ، فع اهتمامه بالترجمة لمحدثي الموصل ، فإن القطعة الباقية من هذا الكتاب ، تتضمن دراسة تاريخية على المنهج الحديث ، عن فيها المؤلف بالموصل فيما بين سنتي ١٠١ ، ١٢٤ هـ .

وذكر ابن حزم أربع كتب عن خطط البصرة وقطائعها وذكر أسواقها

(١) كان التاريخ المحلي معروفا في سورية قبل الفتوحات العربية ، ولكن هذه الكتب لم تكن في رأى روزنثال من الأقدم بحيث تؤثر في التاريخ المحلي الاسلامي (راجع روزنثال ص ٢٠٩)

(٢) تحقيق منسكركر ، باسل ، ١٩٠٨

(٣) القرطبي ، ج ٤ ص ١٦٦

ومعالمها وشوارعها ، أحدها من تأليف عمر بن شبة (ت ٥٢٦٣) ، والثاني من تأليف رجل من ولد الربيع بن زياد المنسوب إلى أبي سفيان ، والثالث والرابع لرجلين من أهل البصرة (١) ، وتوجد في كتاب معجم البلدان لياقوت مقتطفات من كتاب عمر بن شبة ، اقتبسها ياقوت (٢) . كذلك ذكر ابن حزم كتابا عن الكوفة لعمر بن شبة (٣) .

أما عن الموصل فينسب إلى سعيد ومحمد بن هاشم الخالدين كتاب كان يشبه في موضوعاته وترتيب أبوابه تاريخ أبي زكريا ، اقتبس منه ابن العديم الحلبي كثيرا من مادته في «بقية الطلب في تاريخ حلب» ، كما ينسب إلى ابن الأثير المؤرخ كتاب غير كامل عن تاريخ الموصل ، عنوانه : «التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية» (٤) .

أما فيما يختص بكتب التاريخ عن مصر ، فإن أقدم ما وصلنا عنها يعبر في مادته عن شعور التفاخر بماضيها وبتراتها القديم بخلاف الأسر فيما يختص بكتب التاريخ عن العراق ، فتاريخ مصر وفضائلها لأبي محمد الحسن بن زولان (ت ٣٨٧ هـ) ، الذي يهتم فيه بذكر أخبار مصر القديمة ، وكتاب محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبحي (ت ٤٢٠ هـ) الذي ذيل له محمد بن علي بن يوسف بن ميسر (ت ٥٦٧ هـ) في كتاب عن تاريخ مصر ، أمثلة من كتب التاريخ المحلي عن مصر بوجه عام . واختصت الاسكندرية ، بوجه خاص ، بعناية بعض المؤرخين المصريين الذين اهتموا بإحصاء فضائلها وما تمتاز به دون غيرها من مدن مصر ، ومن بين المصنفات عن الاسكندرية كتاب بعنوان : «رسالة في فضائل الاسكندرية» ، لمؤلف مجهول اشتملت على فتح الاسكندرية وفضل المراقبة فيها وأسوارها ومناجدها ، وكتاب بعنوان «الندرة

(١) نفس المرجع ، ج ٤ ص ١٦٠

(٢) السخاوي ، الإعلان بالتويخ ، من كتاب روزتال ، ص ٦٦١

(٣) المقرئ ، ج ٤ ص ١٥٩ ، ١٦٠

(٤) تحقيق الأستاذ عبد القادر طليحات ، القاهرة ، ١٩٦٣

السنية في تاريخ الاسكندرية ، لمصور بن سليم السكندري (ت ١٠٧٤هـ) ، انوار
بنوان ، فضائل الاسكندرية ، لابن علي الحسين بن عمر بن الحسن الصباغ (١) :
وكتاب بنوان ، الإلغام بالاعلام فيما جرت به الأحكام والأمر المقتضية في
واقعة الاسكندرية ، (٢) ، لمحمد بن قاسم بن محمد النويري السكندري ، وقد ضمن
المؤلف دراسته عن وقعة القبارصة في سنة ٧٦٧هـ دراسة تمهيدية عن الاسكندرية
منذ إنشائها

ثم تطورت الكتابات المحلية عن مصر منذ القرن التاسع الهجري ، فظهرت
كتب هامة وردت فيها أخبار تتعلق بالتخطيط والعمران والآثار ، أعظمها على
الاطلاق كتاب ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، للشيخ تقي الدين
أحمد بن علي المقرئ ، قدم له المؤلف بدراسة جغرافية تاريخية مسبة تناول فيها
المدن المصرية والآثار العرونية والاسلامية ، مبتدئا بالاسكندرية مع الاهتمام
بمخطط الفسطاط والقاهرة (٣) . ومن هذه الكتب أيضا كتاب ، الدر المنظوم
فيما ورد في مصر من موجود ومعدوم ، لعل بن داود الجوهري (ت ١٠٩٠هـ) ،
وكتاب ، حسن المحاضرة بأخبار مصر والقاهرة ، لجلال الدين عبد الرحمن بن

(١) حسن عبد الوهاب ، الاسكندرية في العصر الاسلامي ، مجلة الكتاب ، يناير

١٩٤٧هـ ، ص ٣٧٩

(٢) مخطوطة رقم ١٤٤٩ ومخطوطة رقم ٤١٩٣ بدار الكتب المصرية (راجع كتابي
تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي ، الاسكندرية ، ١٩٦١ ملحق رقم ٥ ،
ص ١١٦ ، وملحق رقم ٢ ، ص ١٩٨ ومايليها — وكتابي طرابلس الشام في التاريخ
الاسلامي ، الاسكندرية ١٩٦٧ ، ملحق رقم ١ ص ٤٥٩ — ٤٧١)

(٣) محمد مصطفى زبادة ، المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي ، القاهرة ،

١٩٥٤ ، ص ١٢

محمد السيوطى (ت ٩١١) وهو كتاب لتاريخ البلاد المصرية والقاهرة بوجه خاص، مع بعض فصول إضافية فى النظم المملوكية وأساليبها وطبقات العلماء والصوفية فى مصر (١) .

وفى الشام ظهرت أقدم أمثلة الكتابة فى التاريخ المحلى منذ القرن السادس الهجرى ، فابن الفلاس (أبو يعلى حمزة ، ت ٥٥٥ هـ) خصص تاريخه الحولى لمدينة دمشق وما يدور حولها من أخبار (٢) ، ثم ألقت فى تاريخ مدن الشام ، وخاصة فى تاريخ مدينة حلب مصنفات هامة للعظيمى ولابن المنلا ، ولكن أعظم ما كتب عن حلب ، ينسب إلى المؤرخ عمر بن أحمد بن العديم الحلبي (ت ٨٦٠ هـ) ، الذى خصص كتابه « زبدة الحلب من تاريخ حلب » (٣) ، لدراسة التاريخ السياسى لهذه المدينة . ونلاحظ أن الحركة الصليبية أسهمت فى تنشيط الدراسات التاريخية الاقليمية فى الشام ، ويتجلى هذا فيما كتبه ابن شداد الحلبي صاحب كتاب « الأعلام الخاطرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة » (٤) .

وهناك نوع من التاريخ المحلى السورى يجمع بين تاريخ الاسر الحاكمة ، وتاريخ المدن التى كانت تحكمها : مثل كتاب « تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحريين من بنى القرب » لصالح بن يحيى (٥) .

(١) خمس المجلد ، ص ٦٤

(٢) ابن الفلاس ، ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨

(٣) كمال الدين أبو القاسم عمر بن العديم ، كتاب زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق

الدكتور سامى الدحان ، دمشق ١٩٥١ .

(٤) نهره الدكتور سامى الدحان ، العهد الفرنسى بدمشق ، ١٩٦٢ (واجه روزنتال

ص ٢١٥)

(٥) نشره الأب لويس شينغو اليسوعى ، بيروت ١٨٩٨

أما فيما يختص باليمن ، فقد صنفنا تاريخها كتب عملية هامة منذ «القرن الرابع الهجري» ، امتزج فيها التاريخ بالدراسة العمرانية ، بالانساب . ربي كتب عن اليمن :

الهمداني (ت ٥٣٢٤هـ) في كنايه الاكليل ، وصفة جزيرة العرب .

عمارة اليمنى (عمارة بن الحسن الحكيم ت ٥٦٩ هـ) في كتابه «المفيد في أخبار زيد» ، الذي أكله ابن الديبع (ت ٩٤٤) بكتاب عنوانه «كتاب بنية المستفيد في أخبار مدينة زيد» . وفي زيد أيضا كتب جياش بن نجاح كتابا بعنوان «تاريخ زيد» ، وهو تاريخ محلي ليمن قريب الشبه بكتاب الاكليل للهمداني (١) . ولابن الديبع كتاب آخر في التاريخ السياسي لليمن ، جمع فيه تاريخ اليمن كله موضعا فضل اليمن وإسلامها وولاتها في العصرين الأموي والعباسي ، وتعرض لذكر القرامطة في اليمن ، واهتم بذكر دول صنعاء وعدن وزيد (٢) .

وتتمثل الكتابة في التاريخ المحلي ذي الطابع الديني في الأندلس والمغرب في كتب متعددة نخس بالذكر منها كتاب ألفه أحمد بن محمد بن موسى الرازي الملقب بالتاريخي (ت ٢٢٤) أحد ثلاثة يحملون اسم الرازي اشتغلوا جميعا بالكتابة التاريخية . في صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها ، على نحو ما كتبه ابن أبي طاهر في أخبار بغداد (٣) ، كما ألف كتابا في أخبار ملوك الأندلس ،

(١) روزثال ، ص ٢٨١

(٢) قهـ

(٣) القرى ، ج ٤ ص ١٦٦ — أنخل جيثاك بالنيابا ، تاريخ الفكر الأندلسي ،

ترجمة الدكتور جيهن مؤسلي ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ١٩٦

بقيت منه ترجمة إسبانية مقدمة هذا الكتاب عنوانها: « Cronica del Moro Rasis » ، نقلت عن ترجمة برتغالية وضعها القص خيل بيريس بأمر ملك البرتغال دون ديونيس (١٢٧٩ — ١٣٢٥ م) ، فأتمها بمساعدة نفر من المغاربة يسمى أحدم ، المعلم محمد Maese Mohamed ، وقد كانت كتب الرازي ذات أثر كبير في التاريخ الاسباني الذي كتبه بدرو دل كرال (Pedro del Corral) (١) . وقد عثر في سنة ١٩٥٢ على الاصل الاسباني لمقدمة الرازي ، ف نشر الاستاذ ليفي بروفنسال ترجمته إلى اللغة الفرنسية مع محاولة لاعادة جمع النص العربي (٢) من المقتطفات الواردة في نس فرحة الانفس لابن غالب (٣) ، والروض المعطار للحميري ، والمقتبس ، وغيرها من كتب التاريخ والجغرافية الاندلسية .

ومن كتب في تاريخ الاندلس أيضا من أسرة الرازي عيسى بن أحمد بن محمد بن موسى الرازي ، فقد ألف كتابا منها : « تاريخ الاندلس » ، « وحجاب خلفاء الاندلس » (٤) . ويبدو أن هذا الكتاب الاخير كان تكملة لكتاب أحمد الرازي السابق الذكر .

(١) آنخل جنتالك بالنثيا ، ص ١٩٨

(٢) Lévi-Provençal, La Description de l'Espagne d'Ahmad al Razi : Essai de reconstitution de l'original arabe et traduction Française, au Andalus, vol XVIII , Fasc. 1 , Madrid 1953, pp. 51-108 .

(٣) ابن غالب الاندلسي (محمد بن أيوب) : قطعة من كتاب فرحة الانفس في تاريخ الاندلس ، تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع ، مجلة المخطوطات المريّة ، القاهرة ١٩٥٦ — لطفي عبد البديع ، الاسلام في اسبانيا ، ص ٦٩

(٤) آنخل جنتالك بالنثيا ، ص ١٩٨

والى جانب كتب آل الرازي المؤرخين ، وجدت كتب أخرى متأخرة في تاريخ
الاندلس وفي أخبارها نخص بالذكر منها : كتاب « تاريخ افتتاح الاندلس ،
لابن بكر محمد بن عمر المعروف بابن القوطية القرطبي ، وكتاب « المقتبس في تاريخ
رجال الاندلس ، لأعظم مؤرخي الاندلس أبي مروان حيان بن خلف بن حيان
(ت ٤٦٩ هـ)^(١) . ومن الكتب التاريخية المحلية عن الاندلس كتاب : « تاريخ
المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين » لعبد الملك
ابن محمد بن أحمد بن محمد الباجي المعروف بابن صاحب الصلاة (ت في أواخر
المائة السادسة) ، نشره الأستاذ عبد الهادي التازي (٢) . ومنها كتاب « الحلة
السيرة » لابن عبد الله محمد بن عبد الله القضاي المعروف بابن الأبار (ت ٦٥٨ هـ)
نشرها الدكتور حسين مؤنس في جزأين (٣) ، وكتاب « البيان المغرب في ذكر
أخبار الاندلس والمغرب » لابن عذارى المراكشي (٤) ، وكتاب « أعمال
الاعلام ، فيمن بوع قبل الاحتلال ، من ملوك الاسلام ، الوزير الكاتب لسان
الدين بن الخطيب (٧٧٦ هـ) . وقد تولى المستشرق الأستاذ ليفي بروفسال نشر
وتحقيق القسم الخاص بالاندلس (٥) ، وقام الأستاذان الدكتور أحمد مختار العبادي

(١) نشرت قطع من هذا الكتاب أولها حلة من عهد الأمير عبد الله الأموي نشرها
الأب مفلور أطولوني ، باريس ١٩٢٢ ، ثم قطعة من هذا الكتاب موضوعها تاريخ الحسين
الحجة من ٣٦٠ — ٣٦٤ من عهد الخليفة الأموي الحكم المستنصر ، نشرها الأستاذ عبد
الرحمن علي الحجي ، بيروت ١٩٦٥ . وأخيرا يقوم الزميل الدكتور محمود علي مكي بنشر قطعة
ناثية من المقتبس تتناول عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط والأمير محمد .

(٢) بيروت ، ١٩٦٤ .

(٣) القاهرة ١٩٦٣ .

(٤) تحقيق ليفي بروفسال ، وطبعة بيروت ١٩٥٠ .

(٥) طبعة بيروت ١٩٥٦ .

ومحمد ابراهيم الكنتاني (١) بنشر وتحقيق القسم الخاص ببلاد المغرب من هذا الكتاب ، ولابن الخطيب كتب تاريخية أخرى عن الأندلس والمغرب ، عكف الزميل الأستاذ الدكتور أحمد مختار العبادي على تحقيق بعضها ونشره (٢) .
وعن كتب في تاريخ المغرب في عصر الموحدين عبي الدين عبد الواحد بن علي المراكشي (ت . في النصف الثاني من القرن السابع) (٣) ، وابن أبي زرع الفاسي (ت في منتصف القرن الثامن الهجري) (٤) .

ونلاحظ أنه تغلب على كتب المغرب والأندلس الناحية الدينية والتراجم ، فاعظم ما كتب عنها يتناول تاريخ قضاء وعلماء وفقهاء أهل المغرب والأندلس . أما في فارس ، فقد تفوق التاريخ المحلي الديني ، باعتباره مظهرًا من مظاهر القومية الفارسية التي تعرف بالشعوية ، وقد كان للحركة الشعبية أثرها في الدراسات التاريخية ، إذ سعى أصحابها إلى تشويه تاريخ العرب والاسلام عليهم ، فاهتموا بالتوسع في الثقافة الفارسية والتراث الفارسي ، فترجموا كتبًا ذات طابع قومي مثل كتاب « خدائنامة » الذي ترجمه عبد الله بن المقفع (ت ١٤٤ هـ) عن البيهقي تحت عنوان « سير الملوك » (٥) . ومن الكتب التي ألفت في التاريخ

(١) طبع بالدار البيضاء ١٩٦٤ .

(٢) راجع : أحمد مختار العبادي ، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ، مجموعة رسائله ، الإسكندرية ١٩٥٨ — ولتس الحق ، مؤلفات لسان الدين بن الخطيب والمغرب ، مقال في مجلة جيسير ، ١٩٥٩ ، عدد ٣ ، ٤ .

(٣) انجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق الأستاذان محمد سعيد الريان ومحمد العربي الدلي ، القاهرة ١٩٤٩ .

(٤) كتاب الأئمة المطرب يروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينته فاس ، تحقيق موريج ، أبانة ١٨٤٣ (في جزأين) .

(٥) عبد العزيز الدوري ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

المجلد الديني عن فارس كتاب « تاريخ أصفهان » لمؤلفه الأصفهاني (١) . وفي هذه الكتب قسم ، للمحسن بن محمد القمي ، « ومحاسن أصفهان » للباقرخي . وفي هذه الكتب مزج واضح بين المادة التاريخية والدراسة الطبوغرافية ، والطواهر الاقتصادية والثقافية (٢) . ومن الكتب الفارسية المتأخرة ، « تاريخ طبرستان » لابن إسفنديار ، في القرن السابع الهجري ، وكتاب « تاريخ طبرستان ومازندران » لظهير الدين المرعشي في القرن التاسع الهجري .

وهناك بعض الكتب التاريخية التي يمكن أن تندرج في التاريخ المحلي الديني ، وهي الكتب الخاصة بالفتوحات الإسلامية ، وإن كان أثر موضوعاتها محدودا . وتتناول هذه الكتب المعارك التي خاضها العرب المسلمون في الشام والعراق وفارس ومصر والمغرب والأندلس وأرمينية والجزيرة . ومن أقدم كتب الفتح محمد بن عمر الواقدي الذي تنسب إليه كتب في فتوح الشام ومصر والقيوم وإفريقية (٣) . ومنهم أيضا علي بن محمد المدائني الذي كتب في فتوح الشام وفتوح مصر والنوبة وبرقة والجزيرة وأرمينية والعراق والأبلة والأهواز وفارس وسجستان وكرمان ومكران وبابل والقلاع والاكرد والري وجبال طبرستان وجرجان وخراسان (٤) .

وأول من كتب في الفتوحات الإسلامية كتابا شاملا هو أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩) الذي ينسب إليه كتاب فتوح البلدان ، وقد استقى

(١) راجع قائمة الكتب التي أوردها ابن النديم في فهرسته ، من رقم ١ في كتاب

علم التاريخ عند المسلمين ، ص ٢٩٠

(٢) روثقال ، ص ٢٢٠

(٣) راجع ما سبق ص ٦٤ ، ٦٥

(٤) روثقال ، ص ٢٨٣ — ٢٨٥

مادة هذا الكتاب من المصادر الخاصة بفتح مصر ، عن الراقدي والمدايني (١) ، وعن المواد التي استطاع جمعها خلال زيارته للأمصا (٢) . وعلى الرغم من اعتماده على الإسناد في رواياته ، إلا أن أخباره تتميز بملاحظات الشخصية التي يرجح فيها رواية على رواية ، وهذا يفسر السبب في أن كتابه يعرض صورة متنوعة متسقة للأحداث ، تجنب فيه إيراد روايات متعددة ومتضاربة حول الحادث .

ثم ظهر كتب الفتوح المحلية أمثال كتاب فتوح مصر والمغرب والأندلس ، لعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشي المصري (ت ٢٥٧) (٣) ، وكتاب الرايات ، الذي ألفه محمد بن موسى الرازي (ت ٢٧٣ هـ) عن حملة موسى بن نصير إلى الأندلس (٤) ، وكتاب تاريخ افتتاح الأندلس ، لأبي بكر محمد بن عمر المعروف بابن القوطية القرطبي (٥) (ت ٣٦٧ هـ) (٦) .

ومن الجدير بالذكر أن مصر لعبت دورا هاما في الكتابة التاريخية التي تتميز فيها الحرافة بالتاريخ ، وقد ظهر فيها هذا النوع من الكتابة القصصية في زمن مبكر جدا . ولم تقف عناية المصريين في كتابة التاريخ عليها وحدها ، بل تجاوزتها إلى بلاد المغرب والأندلس ، وكانت مصر مركزا لما كان يكتب عن جميع القسم الغربي من الدولة الإسلامية ، ويرجع الفضل في ذلك إلى طبقة التابعين الذين أخذوا عن الصحابي عبد الله بن عمرو بن العاص ، وشاركوا في فتوح المغرب والأندلس ، واستقر معظمهم في مصر بعد الفتح ، وأخذوا يروون قصة الفتح على

(١) السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج ٢ ص ٩٧

(٢) عبد العزيز الدوري ، ص ٤٩

(٣) تحقيق الاستاذ عبد المدم عامر ، القاهرة ١٩٦١

(٤) الكتاب مفقود .

(٥) تحقيق دون خيلان وبيرا ، مدريد ، ١٩٢٦ .

(٦) Pons Boigues, Historiadores y Geografos, P. 85

مسمع تلاميذهم من المصريين، ولذلك فهم أول من وضع أسس تاريخ الأندلس، ومن بين هؤلاء التابعين موسى بن نصير، وعلى بن رباح، وحشش الصنعاني، وأبو عبد الرحمن الحبل، وجبان بن أبي جبلة القرشي، ويكر بن سودة الجذامي. وقد حظيت رواياتهم وروايات من بقي بهر من أبنائهم أمثال موسى بن علي ابن رباح، ومعارك بن مروان بن عبد الملك بن موسى بن نصير الذي عاش في القرن الثالث وكتب في أخبار موسى بن نصير بعد عودته إلى المشرق، حظيت روايات هؤلاء باحترام كبير في مصر والمغرب والأندلس، وزاد هذا من مكانة العلماء المصريين في عيون تلاميذهم من أهل الأندلس حتى أصبحت مصر المصدر الأول لأخبار المغرب الإسلامي كله. ولعل السبب في اهتمام الفقهاء ومؤسسي المدارس الفقهية في مصر بقصة الفتح يرجع إلى اشتغال الحداث والفقهاء المصريين منذ عصر مبكر بأخبار الفتح.

ويرأس هذه الطبقة الثانية من أصحاب الروايات عن الفتح الأندلسي موسى بن علي بن رباح (ت ١٦٣) الذي تولى عليه علماء ثلاث هم: الليث بن سعد (ت ١٧٥هـ)، والرافدي (ت ٢٠٧)، وعبد الله بن طهية، المحدث المصري المعروف (ت ١٧٤هـ). وكان الليث بن سعد مهتما، إلى جانب اشتغاله بالغة، بالتاريخ المغربي الأندلسي، الذي تلقى رواياته على موسى بن علي بن رباح. ومن تلاميذ الليث عبد الملك بن مسلبة، ويعني بن عبد الله بن بكير (ت ٢٣١)، وعبد الله بن وهب (١٩٧)، وعبد الله بن عبد الحكم (ت ٢١٤)، وابنة عبد الرحمن (ت ٢٥٧)، وسعيد بن عفير (ت ٢٢٦)، وتلميذه أبو سعيد بن يونس الصديقي (ت ٢٣٦) الذي يعتبر آخر مؤرخ مصري شارك مشاركة فعالة في كتابة التاريخ الأندلسي.

وعلى هذه المدرسة اعتمد أبو مروان عبد الملك بن حبيب الالبيري (ت ٢٣٨)

في مادة كتابه التاريخي عن فتح الأندلس (١) الذي ما يزال مخطوطا في مكتبة
بورليانا بأكسفورد وعنوانه الطويل كما يلي : « كتاب في ابتداء خلق الدنيا
وذكر ما خلق الله فيها من ابتداء خلق السموات وخلق البحار والجنة والنار
وخلق آدم وحواء ، وما كان من شأنهما مع إبليس ، وعدة الأنبياء نبيا نبيا إلى
محمد صلى الله عليه وسلم أجمعين ، وعدة الكتب الميزة وعدة الخلفاء إلى حين
افتتاح الأندلس ، وما وجد فيها من الذهب والفضة والجواهر والياقوت
والزمرد والأمتعة ، وما أخرج منها ، وعدة ملوكها ، ومن وليها ، ومن يليها ، وذكر
شيء من الحدثنان وما ... في بعض البلدان ، وكم عمر الدنيا وما مضى منها وما بقي
إلى أن تقوم الساعة ، تأليف الفقيه عبد الملك بن حبيب » (٢) . وفي صفحات
هذا الكتاب تتكرر العبارات الدالة على اعتياده على تاريخ مصر ، مثل قوله :
« أحدثنا عبد الله بن وهب عن الليث بن سعد » . وقوله « وحدثنا بعض مشايخ
أهل مصر » ، بالإضافة إلى اعتياده على ما تناقله الأندلسيون لعبد في شأن
افتتاح الأندلس (٣) .

وإلى جانب هذه الكتب الخاصة بالفتوحات، هناك كتب أخرى تتعلق بالنظام

(١) Mahmud Makki, Egipto y los orígenes de la historiografía árabe española ، مقال في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمطريد ، المجلد الخامس ، العدد ١ - ٢ ، مطريد ١٩٥٧ ص ١٥٧ - ٢٤٩ من القسم الأوربي .

(٢) Pons Boigues, Ensayo Bio-Bibliográfico sobre los Historiadores y Geógrafos árabe españoles, p. 32, 33.

وقد نشر الدكتور محمود علي مكي القسم الخامس بفتح الأندلس ذيلا لقائه السابق ،

ص ٢٢١ - ٢٤٣

(٣) لفظ عبد البديع ، الإسلام في إسبانيا ، ص ٦٧

الإدارى والقضائى فى الأنظار الاسلاميه ، يمكن أن ندخلها فى عداد كتب التاريخ المحلى النيون ، مثل كتاب « رفع الإصر عن قضاة مصر » لابن حجر العسقلانى ، وتاريخ بخارى للفرشى ، وتاريخ مكة للفيا كهى . وتاريخ ولاية خراسان للسلاوى ، وفى هذه الكتب فصول خاصة عن القضاة والولاة بالإضافة إلى اهتمام بعضها بالشؤون الإدارية .

ب - التاريخ المحلى الدينى :

وهناك كتب فى التاريخ الإسلامى المحلى لم تهتم بمرص الموضوعات المتعلقة بتاريخ المدن الإسلامية موضوع الدراسة ، أو بتراجم رجالها ، وإنما استهدفت تمكين القراء من الاطلاع على التاريخ المقدس لهذه المدن ، ولذلك اعتبرناها من كتب التاريخ المحلى ذى الطابع الدينى . ومن أمثلة هذه الكتب : كتاب « أخبار مكة ، لأبى الوليد محمد بن عبد الله الأزرقى (ت بعد سنة ٥٢٤ هـ)^(١) ، وكتاب « البدة النعمية فى تاريخ المدينة » لمحمد بن محمود بن النجار^(٢) ، (ت ٦٤٧ هـ) ، وكتاب « أخبار مكة لمحمد بن اسحق الفيا كهى (ت فى أواخر القرن الثالث) ، وكتاب « شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لأبى الطيب قتي الدين لمحمد بن أحمد العباسى (٢) (٧٧٥ - ٨٣٢ هـ) ، وكتاب « وفاة الوفا بأخبار دار المصطفى » لجمال الدين أبو المحاسن عبد الله السمودى^(٣) .

(١) نشره وحيدى الصالح ملهى ، مكة ١٣٥٢ هـ (جزآن)

(٢) نشر كنعن ثان بالجزء الثانى من كتاب « شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام »

لباسى ، القاهرة ١٩٥٦ .

(٣) نشر بالقاهرة فى جزأين ، ١٩٥٦

(٤) طبعة مصر ١٣٢٦ هـ (جزآن)

ويلاحظ أن هذه التواريخ المحلية الدينية تتميز بأنها لا تهتم بالتراجم ، فالأزرق أفرد ما يقرب من ثلاثة أرباع كتابه لذكر قصص تواترت على ألسنة القوم منذ الجاهلية حول حرم مكة . ووصف الشعائر المتصلة بها . أما الريح الأخير فقد خصه لذكر الأماكن المقدسة الأخرى من مدينة مكة وخططها وأطرافها . وتاريخ الفاسكى عن مكة يقتصر على أخبار خططها ، وذكر تاريخها المقدس ، أما ابن النجار فقد اقتصر في كتابه الدرّة الثمينة على ذكر خطط المدينة (يثرب) مع عرض لتاريخها المقدس ، بقصد ترغيب الناس في زيارة الحرمين الشريفين . وسار الفاسكى على منهج الأزرقى والفاسكى وابن النجار ، فوصف سور مكة وأبوابها في زمنه ، ثم خصص فصلاً إضافياً للتراجم وأخبار عن أهل مكة وولاتها والحجاج .

وقد اتبع التاريخ المحلى الدينى ، عامة بصرف النظر عن تواريخ الأراضى المقدسة ، شكلاً واحداً مئزّه عن التاريخ المحلى الدينى ، فقد كان الكتاب يتألف من مقدمة تدور حول تخطيط المدينة وعمارتها وخططها ، وكانت هذه المقدمة فى القرون الثلاثة الأولى من الهجرة مطولة ، ولكنها أخذت تميل بعد ذلك إلى الإيجاز . أما مادة الكتاب فقوامها دراسة الشخصيات التى كان لها شأن بالبلدة أو القطر موضوع البحث ، وكانت هذه الشخصيات فى بادىء الأمر وقفا على رجال الدين ، ثم تطورت بعد ذلك . فشملت كل الشخصيات البارزة فى المجتمع من أدباء وعلماء ورجال وأعيان . ولقد نشأ هذا النوع من التاريخ المحلى بسبب الحاجة إلى زيادة الحيلة من اختلاق الأحاديث المكذوبة ، وذلك بدراسة مواطن الرواة ورجال الحديث ورواياته فيها . وأقدم ما وصلنا من هذا النوع من التاريخ كتاب تاريخ واسط (١) ، لأبى الحسن أسلم بن سهل بن حبيب الرزاز المعروف بأبى

بمجلد الواصل (ت فيا يقرب من ٢٨٨ هـ) الذي يحشى تاريخ واسطه راجعاً إلى
وفى علماء الدين فيها عن تربطهم بمجلد سلسلة متصلة من الرواة ، وصنف الرواة
تبعا لعصرهم ، ومنها كتابه تاريخ قضاة قرطبة ، محمد بن حوث الحنفي (١) .
(ت ٢٦١ هـ) .

وفى القرن الرابع الهجرى أصبحت التراجم ، مرتبة على حروف الهجاء ،
الأساس الذى تعتمد عليه كتب التاريخ المحلى الدين . ولقد ضاعت معظم الكتب
التي صنفت فى هذا القرن ، وأقدم تاريخ على دينى باقى ، رتب تراجمه على نظام
المعاجم أى وفقا للترتيب الأجددى حتى يسهل الوقوف بواسطة هذا الترتيب على
ترجمة كل شخص منها ، هو تاريخ علماء الأندلس (٢) لآبى الوليد عبد الله بن
الفرضى الأندلسى (ت ٤٠٣ هـ) . كذلك اتبع الخطيب البغدادى الذى عاش
فى القرن الخامس الهجرى فى كتابه « تاريخ بغداد » (٣) طريقة المعاجم فى ترتيب
أسماء التراجم وأسماء آبائهم . وراعى الخطيب فى هذه الكتاب أن تكون التراجم
شاملة ، وإن كان قد أبدى اهتماما خاصا بتراجم علماء الدين . ومحتويات التراجم
تعبير عن اهتمام المؤلف بالحديث وتأكيده على الناحية الدينية دون غيرها من
من النواحي الأخرى . وقدم المصنف صحابة الرسول على غيرهم فى الترتيب
باعتبارهم أول من قدم إلى أطراف الموضوع الذى أسست عليه بغداد قبل أن
تؤسس ، ولقد قدم الخطيب كتابه بفصل طويل أورد فيه أخبارا كثيرة عن
تاريخ بغداد وعن تخطيطها ، وعن أهم معالمها العمرانية .

(٢) تحقيق دون خليان ريبيرا Julian Ribera ، مدريد ١٩١٤

(٣) تحقيق دون فرنسيسكو كوديرا Francisco Codera ، مدريد ١٨٩١

(جـ زك)

(٤) طبعة مصر ، القاهرة ١٩٣١ (١٢ جزءا)

واتبع معظم مؤرخي مدينة بغداد وغيرهم من كتاب التاريخ المحلي الديني في العصور التالية نظام الخطيب في تاريخه المحلي. فالحافظ أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) افتتح كتابه «تاريخ دمشق» بذكر أخبارها وذكر السيرة النبوية، ثم انتقل بعد ذلك إلى التراجم، وافتتحها بالأحدين، وذيل تاريخه لوالده القاسم بن علي (ت ٦٠٠ هـ) (١)، ولم يهتم ابن عساكر في هذا التقديم بوصف دمشق أو بذكر معالمها الطبوغرافية على النحو الذي طالعه في تاريخ بغداد للخطيب.

وهناك مؤرخ شام آخر هو كمال الدين أبو القاسم عمر المعروف بابن العديم الحلبي (ت ٦٦٠ هـ) ألف كتاب تراجم على مثال تاريخ بغداد، بعنوان «بغية الطلب في تاريخ حلب» (٢)، هذا بالإضافة إلى كتاب تاريخي قيم عن مدينة حلب لم ينح له أن يستكملة (٣)، ومادة هذا الكتاب التاريخي تقف إلى حوادث سنة ٦٤١ هـ، وعنوانه «زبدة الحلب من تاريخ حلب» لم يحفظ منه سوى ثلثه (٤). وقد قدم ابن العديم لكتابه «بغية الطلب» فصل كبير استعرض فيه جغرافية بلاد الشام الشمالية، وأورد في هذا الكتاب دراسة وافيه لمصادره. ومنهم السمعاني وابن الديلمي وابن التجار وابن أبي جراد ورياضوت والقوصي والمنذري والسلفي

(١) السخاوي، الامعان بالتوبيخ، من كتاب روزتال: علم التاريخ عند المسلمين،

ص ٦٣١

(٢) نشرت أجزاء منه في Recueil des Historiens des Croisades،

Historiens Orientaux, pp. 695—732, Paris 1884.

(٣) Claude Cahen, La Syrie du Nord, p. 62, 63

(٤) نشره الدكتور سامي العماد، دمشق ١٩٥١

والأماطى وعبد السلام بن يوسف وعبد القاهر بن المهنا وابن أبي طر (١) ، وقد
أكل هذا الكتاب وذيل عليه العلامة بن خطيب الناصرية بعنوان : « الدر المختص »
في تكملة تاريخ حلب ، ، لحص فيه مقدمة ابن العديم وعالج في تلخيصه لها أسماء
حلب ، وبناءها ، وموقعها ، واتساع خططها ، وفضائلها . ثم انتقل بعد ذلك إلى
دواية فتح العرب لحلب ، ثم وصف مياهها وآثارها التاريخية (٢) .

وعلى مدى بنية الطلب لابن العديم ، أخذت التوليف والمصنفات عن حلب
تتوالى واحداً بعد الآخر حتى القرن التاسع الهجرى ، ويمكننا أن نذكر من بينها
كتاباً ألفه أحمد بن إبراهيم المعروف بسبط ابن العجمي (ت ٨٨٤ هـ) استكمالاً
لكتاب ابن خطيب الناصرية بعنوان « كنوز الذهب في تاريخ حلب » ، ويعتبر
وصفه لمساجد حلب من الناحية الفنية أوفى وأكمل ما يمكن أن نتوقعه من مؤرخ
في العصور الوسطى (٣) . ومنها كتاب « الدر المختص » في تاريخ ملكة حلب ،
لأبي الوليد محمد الدين محمد بن محمد بن الشحنة الحلبي (٤) ، وقد أخذ فيه مادته عن
عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي الحلبي المعروف بابن شداد . كما أخذ عن ابن
العديم وغيرهما من مؤرخي حلب ، بل يعتبره الأستاذ كلود كاهن في الواقع
مختصراً لكتاب ابن شداد (٥) . ولم يهتم ابن الشحنة بالتراجم ، وإنما اهتم بالمنشآت
الدينية في حلب من مساجد ومدارس وتواريفها . ومن مظاهر الكتابة في التاريخ

C. Cahen p. 37 Note 3, (١)

(٢) روزنتال ، ص ٢٢٤

(٣) نفس المرجع .

(٤) نشره الأستاذ يوسف سركيس ، بيروت ١٩٠٦

Claude Cahen, op. cit p. 89 (٥)

المحل الديني ، الكتب المخصصة في فضائل البلدان أو خواصها ، وكان هذا النوع من الكتب يتضمن حتى القرن الخامس الهجري دراسة مقارنة بين المدينة موضع المفاخرة وبين مدينة أخرى ، ثم تطورت الكتابة في فضائل المدن إلى دراسة تتضمن مجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث والمصادر المعتمدة التي تتمتع موضعاً معيناً مثل : كتاب « فضائل مصر وأخبارها » لأبي الحسن إبراهيم بن زولاق ، و « فضائل الاسكندرية » لأبي علي الحسن بن عمر بن الحسن الصباغ (ت في منتصف القرن الخامس) ، وكتاب « فضائل دمشق » للربيعي أبي الحسن علي بن محمد بن شعاع (ب ٤٣٥ هـ) ، وكتاب « فضائل الشام » لإبراهيم بن عبد الرحمن الفزاري .

ج - التاريخ المعاصر والمذكرات :

لاشك أن معاصرة المؤرخ العربي لأحداث زمانه تطبع روايته التاريخية بطابع الصدق والدفء ، فالمؤرخ الذي يعيش في زمن قريب من الزمن الذي دارت فيه الأحداث التي يقوم بتأريخها أقدر من غيره من المؤرخين اللاحقين على تصويرها بألوانها الحقيقية ، ذلك لأن الكتابة التاريخية المعاصرة لزمن الأحداث تعتمد كثيراً على المعاينة والمشاهدة والسماع من مصادر متنوعة ، والمعاينة والتحقق يجنبان المؤرخ من الوقوع في الأخطاء التي وقع فيها من لم يحذوه ، واعتد على النقل . وقد نجح ابن الأثير في تصوير الفزوة المغولية على ديار الاسلام ، وأبدع في وصفه (١) للنول وما اتصفوا به من وحشية تفوق خيال البشر ، لأنه

(١) يبر ابن الأثير عن وحشية النول التي شاهده بنفسه أمثلة كثيرة منها بقوله : « لقد بقيت عدة سنين مرضاً من ذكر هذه الحادثة استظماماً لها ، كما راها قد كرها ، فأنا أقدم »

كان معاصراً للأحداث. والمقرىزى نجح أيضاً في إمالة الثام عن أسباب المجاعة والطاعون الذى نفى في مصر في زمنه (٢)، فعالج هذه الأسباب فى أغنية مختلفة عن معالجته لأسباب الطواعين والمجاعات السابقة على عصره.

وكما أن المعاصرة فضل في الكشف عن الحقيقة التاريخية فإنها تكون في بعض الأحيان حجاً بائناً المؤرخ عن تصوير الحقيقة، إما بسبب الرهبة من الحاكم، أو رغبة في التزلف إليه وبجاملته، فكثيراً ما يعمد المؤرخ إلى إخفاء بعض عيوب السلطان الحاكم خوفاً من عتابه أو دراءاً لنضبه عليه إذا هو — أى المؤرخ — صرح بهذه العيوب، وقد يعمد إلى الإسراف في ذكر محاسنه وامتداحه مصانة له وتزلفاً إليه بنية الظفر بنصب، أو بمجائزة سنية. ومن أمثلة هذا النوع من المؤرخين المسعودى حين يورخ للخليفة العباسى القاهر، فلقد تملقه، وتغاضى عن ذكر جرائمه، ومنهم سبط ابن الجوزى، الذى برر أخطاء الأمير مظفر الدين صاحب إربل، والتمس له الأعذار.

== رجلا وأخر أخرى، فن الذى يسهل علينا أن يكتب عن الاسلام والمسلمين، ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك، فبالتأمل لم تلتقى، وبالتفتى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً... فلو قال هائل إن العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يتلوا بمثلهما لكان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقرنها ولا ما ينافيها... ابن الأثير، الكامل، أحدان سنة ٦١٧

(٢) حدثت هذه المجاعة فيما بين عامي ٧٩٦، ٨٠٨ هـ، وتوفيت ابنته الوحيدة سنة ٨٠٦ هـ في الطاعون الذى أعقب إحدى فترات تلك المجاعة، وقد رأى المقرىزى بين الحرب البصرة أن لهذه المجاعات والطواعين أسباب عميقة الجذور بمصرها يسير بتدريج الحكام وظلمهم عن النظر في مصالح الرعية، وفساد المناصب الدينية، وولاية الخطايا الجاهلية بالحرمة بالإشارة إلى غلام الإلبان ودواج القلوس (راجع المقرىزى، وفاة الأمة بكشف الغمة، القاهرة ١٩٤٧)

وإذا كان المؤرخ المعاصر للأحداث يشغل منصبا إداريا رسميا فإن كتابه يكتب بصفة المذكرات ، فهناك الدين ابن شداد (ت ٦٢٢ هـ) في النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية يسجل مذكراته عن صلاح الدين منذ أول عمادى الأولى سنة ٥٨٤ هـ ، أى منذ أن قام بخدمة ، ويخصص لها ثلاثة أرباع الكتاب ، ويعتمد في تسجيلها على المشاهدة والمعاينة أو على من يثق به من أهل الثقة ، والعماد الأصفهاني (ت ٥٩٧ هـ) في الفتح القسوى في الفتح القدسى ، وهو كتاب يعتبر سجلا لما قام به صلاح الدين من حروب من سنة ٥٨٣ حتى وفاته سنة ٥٨٩ هـ .

ومن الكتب التاريخية التي تعتبر مذكرات : كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ (١) ، وكتاب التكت المصرية في أخبار الوزارة المصرية لعبارة اليمى (٢) (ت ٥٦٩) . ولكن كتاب الاعتبار يمتاز بغلبة عنصر الفلسفة الشعبية ، بينما يمتاز كتاب عمارة بظلب عنصر الأدب على العنصر التاريخى (٣) ، ومن المذكرات أيضا كتاب البيان والتبيين ، أو مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة (٤) ، إذ يصور فيه الأحداث الأخيرة التي سبقت عزله من إمارته ، ونفيه إلى المغرب على أيدي المرابطين . ومنها كتاب أخبار المهدي بن تومرت

(١) مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن مرشد الكنانى ، كتاب الاعتبار ، تحقيق الدكتور فليبي حتى ، برستون ١٩٣٠

(٢) أبو الحسن نجم الدين المعروف بعبارة البصرة ، كتاب التكت المصرية و أخبار الوزارة المصرية ، طبعة دار لوج ، باريس ١٨٩٧

(٣) روزنتال ، ص ٢٢٨

(٤) ابن بلقين (الأمير عبد الله الزيرى) : مذكرات الأمير عبد الله الزيرى المجلد : كتاب التبيين ، تحقيق الأستاذ ليني بروفسال ، القاهرة ١٩٥٥

لابي بكر الصنهاجي المعروف باليذق (١) ، وكان رفيقا لابن تومرت ، وافقه في رحلاته ، ووصف مشاهداته معه ، ومعاركه الاولى مع المراجطين . ومنها مجموعة رسائل ابن الخطيب في بلاد المغرب ، سجل فيها مشاهداته في هذه البلاد (٢) .

ومن كتاب المذكرات اليومية القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني (ت ٥٩٦هـ) كاتب صلاح الدين ، وهي يوميات لها اعتبارها بالنسبة للدراسة التاريخية .

(١) اليذق ، كتاب أخبار المهدي بن تومرت ، تحقيق الأستاذ ليفي برونسفال ،

باريس ١٩٢٨

(٢) ابن الخطيب ، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس ،

مجموعة من رسائله ، نشرها وحققها الدكتور أحمد مختار النباهي ، الاسكندرية ١٩٥٨

الباب الثاني

مصادر التاريخ الاسلامي

الفصل الرابع : المصادر الأثرية .

الفصل الخامس : المصادر المكتوبة .

الفصل الرابع

المصادر الأثرية

- ١ - الوثائق الرسمية المكتوبة والأوراق البريدية والوقفيات .
- ٢ - الكتابات الأثرية أو النقوش
- ٣ - العملات .
- ٤ - الآثار المعمارية .

الفصل الرابع المصادر الأثرية

(١)

الوثائق الرسمية والدوائر البردية والوقفيات

الوثائق الرسمية : تعني بالوثائق الرسمية المكتوبة المستندات المعاصرة للتاريخ الذى تكتب فيه ، كرسائل الصادرة من ديوان الانشاء فى الحاضرة إلى الولايات ، أو إلى الأقاليم التابعة للحكومة المركزية ، والمنشورات ، والسجلات ، والأحكام ، والفتاوى ، ونصوص المعاهدات ، والمخالفات وعقود البيع والشراء وغير ذلك ، وهى إما تصدر عن الدواوين أو فروع الإدارة الإسلامية كديوان الإنشاء والرسائل الذى كان يتولى تنفيذ الأوامر الصادرة من الخلفاء والسلاطين ، كرسائل السلطانية والأحكام والمعاهدات والمخالفات ، وإما تكون مجرد اتفاقات فردية كالعقود الشخصية .

أما المستندات الأولى فهى أهم أنواع الوثائق الرسمية ، باعتبارها أوثق مصادر التاريخ السياسى الاقتصادى على الإطلاق ، وكانت تحفظ فى ديوان الإنشاء الذى كانت تصدر منه معظم أوراق الدولة الرسمية ، ويحفظ ما يرد منها فى أصابير عليها بطائق ، وتودع فى مخزن خاص (١) .

وكانت هذه الوثائق تكتب فى عصر الخلفاء الراشدين بلغات الشعوب التى تغلب عليها العرب ، إذ أن العرب تركوا النظم الإدارية والمالية فى البلاد المفتوحة

(١) عبد النعم ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، القاهرة .

على مثل ما كانت عليه قبل الفتوحات العربية الإسلامية دون تعديل أو تغيير (١) ،
وأقر عمر نظام الديوان الفارسي ، ويذكر الصولي أن عمر بن الخطاب اتبع في ذلك مشورة
الفيرزان (٢) . وكان ديوانا البصرة والكوفة : ديوان الجند والأعطية بالعربية ،
وديوان المال بالفارسية ، وكان ديوانا الشام بالعربية والرومية (٣) ، وكان ديوان
مصر بالقبطية (٤) ، فتحول ديوان العراق إلى العربية في خلافة الوليد بن
عبد الملك على يد أبي الوليد صالح بن عبد الرحمن البصري مولى بني مرة بن عبيد ،
وكان من سبي سجستان . وكان صالح هذا كاتباً لآذان فروخ على الدواوين
أيام الحجاج ، فولاه الحجاج على الديوان ، فعره (٥) . وتحول ديوان الشام الذي
كان يتولاه سرجون بن منصور الرومي النصراني إلى العربية في خلافة عبد الملك
على يد أبي ثابت سليمان بن سعد وإلى الأردن الذي حل في الديوان محل سرجون
الرومي (٦) . أما ديوان مصر فتحول في خلافة الوليد على يد عبد الله بن عبد الملك ،
وإلى مصر سنة ٨٧ هـ ، ووليه ابن يربوع الفزاري من أهل حمص (٧) .

-
- (١) برنارد لويس ، العرب في التاريخ ، تحرير الدكتور نبيه أمين فارس ، والدكتور
محمد يوسف زايد ، بيروت ، ١٩٥٤ م - ٧٧ - عبد المتعم ماجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية ،
القاهرة ١٩٦٧ ، ج ١ ص ٣٧ .
 - (٢) الجبغباري ، الوزراء والكتاب ، تحقيق الأستاذة مصطفى السقا وإبراهيم ،
الأياري ، القاهرة ١٩٢٨ م - ٣٨ - الصولي ، أدب الكتاب ، ص ١٩٠ وما يليها .
 - ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٢ ص ٦١٤ .
 - (٣) نفسه ، ص ١٩٢ .
 - (٤) السكندري ، كتاب الولاة وكتبا القضاء ، بيروت ١٩٠٨ م ص ٥٩ .
 - (٥) الصولي ، ص ١٩٢ .
 - (٦) نفس المصدر .
 - (٧) السكندري ، ص ٥٩ - المقرئ ، الخطوط ، ج ١ ص ١٧٥ (طبعة بيروت) .

ونتج عن حركة التعريب انتشار اللغة العربية والخط العربي ، ونشاط حركة الترجمة من اليونانية والمارسية والهندية ، وأصبحت اللغة العربية على حد قول ابن خلدون ، لسانا حضريا في جميع أمصار الاسلام .

وللاسف لم تصلنا معظم هذه الوثائق الديوانية الهامة عربية أو غير عربية ، مع كثرتها ، ومع تفوق الحضارة الإسلامية على الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى . وترجع ندرة هذه الوثائق إلى عدة عوامل ، منها : —

١ — أن الشريعة الإسلامية التي تمثل النظام الدستوري ، والتي يعول عليها في الأحكام القانونية كانت تعتمد أساسا على القرآن الكريم والحديث ، ولذلك لم يكن من الضروري أن يحتفظ صاحب الحق بالوثائق التي تثبت ماله من حق ، إذ أن هذه الوثائق تفقد قيمتها إذا لم يقردها السند الشرعي .

٢ — أن المجتمع الاسلامي كان مجتمعاً يقوم على المساواة أمام الشريعة الإسلامية التي لم تفرق بين مختلف طبقاته في الحقوق ، فلم يكن فيه هيئات كنسية ولا نظام الطوائف والتفادات والاقطاع الذي كان سائدا في أوروبا في العصور الوسطى . وكلها هيئات كانت تحتفظ بالوثائق التي تلب ما تكتسبه من حقوق (١) .

٣ — أدى قيام الدول المستقلة عن الخلافة العباسية وسقوطها وقيام دول أخرى على أنقاضها إلى ضياع الكثير من الوثائق الرسمية للحكومات البائدة ، أو

(١) . زكي محمد حسن ، دراسات في مناهج البحث في التاريخ الاسلامي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ١٢ ، ج ١ ، مايو ١٩٥٠ ، ص ١٥٧ وما يليها — سيدة كاشف ، ص ٨٤ ، ٨٥ .

ملفها بسبب الخصومات السياسية أو المذهبية القائمة بين الدولة الجديدة والدولة السابقة عليها .

٤ - تعرضت الدواوين التي كانت تحفظ فيها الوثائق الرسمية في عصر الدولة الأموية للحرق ، مثل ديوان الكوفة الذي احترق إما كان يضمه من وثائق في سنة ٨٢ هـ ، وديوان الفسطاط الذي تعرض للحريق في عصر الدولة الأموية .

ومع ذلك فقد وصلت إلينا بعض المستندات والوثائق العربية ، وهي بالإضافة إلى قلتها ، يقتصر معظمها على وثائق تتعلق بالإدارة ، بينما يتعلق أقلها ، وهي الوثائق البريدية ، ببعض النظم الاجتماعية والاقتصادية كالجزية ، والخراج ، والتميين في مناصب الدولة ، والإدارة ، وطرق التجارة ، وأعمال البناء والتمير ، وإنشاء الأساطيل ، وعقود الزواج والبيع والشراء والتنازل .

البرديات : تنصح لنا الأهمية الكبرى للوثائق البريدية باعتبارها مصدراً صادقاً لدراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الإسلام (١) ، إذ تعرض لموضوعات تتناول جميع مناحي هاتين الحياتين . ولقد تطلمت أنظار الباحثين إلى أهمية هذه البرديات منذ أن نشر المستشرق سلفستردى ساسى مقالا عن ورقتين من البريد مكتوبتين باللغة العربية في صحيفة العلماء المصادرة في باريس في سنة ١٩٢٥ . ومنذ

(١) لدراسة الأورال البريدية العربية راجع : زكي محمد حسن ، دراسات في مناهج البحث ، ص ١٥٨ - ١٦١ ، سيدة كاشف ، عصر في عصر الولاية ، ص ٢٥ ، ٣٣ ، ٤٣ ، ٥٠ - مصادر التاريخ الإسلامي ، ص ٨٥ - ٨٧ ، الوليد بن عبد الملك ، سلسلة أعلام العرب ، ص ٤ - ٩

ذلك الحين ازداد العثور على أوراق بردية بالعربية واليونانية واللاتينية في
القيوم بوجه خاص ، وفي أخميم وسقارة والأشمونين وبيت وهيتة وإدفو . ولا
أشقاو بمحافظة أسيوط . وتتضمن هذه الوثائق البردية أخبارا عامة عن حالة الخراج
المصرى الاسلامى والادارة في عصر الولاة ، وخاصة في عصر قره بن شريك
(٩٠-٩٦هـ) .

ولقد اهتم المستشرقون اهتماما بالغاً بدراسة هذه الوثائق باعتبارها مستندات
معاصرة للأحداث التى تسجلها ومحايدة في نفس الوقت ، بالإضافة الى قيمتها
العظمى في تصوير النظم الادارية والمالية والاجتماعية للمصر الذى كتبت فيه ،
هذا الى أنها تحتفظ بقيمة تاريخية أثرية لا تقل عن قيمة التحف الأثرية التى يسفر
عنها البحث الأثرى ، ونذكر من بين المشتغلين من المستشرقين بأوراق البردى
العربية: أدولف جروهمان (١) ، ومرجليوث (٢) ، وأمارى (٣) ، ودى ساسى (٤) ،

(١) A. Grohmann, Corpus Papyrorum Raineri Archiducis
Austriacae, Wien, 1924, Grohmann, Arabische Papyri im Oriental
Institute zu Prag (Arch. Orient.) t. x, 1928.

(٢) Margoliouth, Catalogue of arabic Papyri in the John
Rylands library, Manchester, 1933.

(٣) Amari, I diplomati arabi del R. Archivio Fiorentino, (٣)
Florence, 1863.

(٤) De Sacy, Pièces diplomatiques tirées des Archives
de Gènes (dans Notices et Extraits des Manuscrits de la Bib.
liothèque Nationale, t. XI).

وآبل (١)، وهو فاير (٢)، ويكر (٣)، وييل (٤)، وما سيرو (٥)، وآبوت (٦). ولكن المستشرق جروهمان — دونهم جميعاً — كرس جهوده لدراسة هذا النوع من الوثائق، بحيث أصبح بحق المتخصص الوحيد للبرديات العربية، وقد أسهم ببعض بحوث كثيرة عن أوراق البردي تذكر منها ما يلي :

١. A. Grohmann, Aperçu de papyrologie arabe, Etudes, — de papyrologie, (Société Royale égyptienne de papyrologie), t. 1. Cairo, 1932

٢ — وأصدرت دار الكتب المصرية أربع محاضرات له ألقاها بقاعة الجمعية الجغرافية المصرية بالقاهرة في أبريل سنة ١٩٣٠، ترجمها إلى العربية الأستاذ توفيق أسكاروس، القاهرة ١٩٣٠.

Abel, Agyptische Urkunden aus den kgl. Museen (١) zu Berlin. Arabische Urkunden, Berlin, 1895-1904.

Hofmeier, Beiträge zur arabischen Papyrusforschung (٢) (in der Islam), t. IV, 1913.

Becker, Arabische Papyri des Aphrodito fundes (in (٣) Zeitschrift für Assyriologie und verwandte Gebiete, t XX, 1907).

Bell, translations of the greek Aphrodito Papyri in (٤) the British Museum, in (Der Islam) t. II, 1911.

Maspero, Etudes Sur les papyrus d' Aphrodito (٥) (dans Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale, t. VI-VII.

Abbott, The Kurrak-Papyri from Ahrodito in the (٦). Oriental Institute, Chicago, 1933.

٣ — Arabic Papyri in Egyptian Library, 3 vols —

Cairo, 1936, 1938.

وقد تولى الأستاذ جروهمان بنفسه ترجمة هذا الكتاب إلى العربية بالاشتراك مع الدكتور حسن إبراهيم حسن ، بعنوان « أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية » ، السفر الأول ، القاهرة ، ١٩٣٤ .

٤ — وأصدر الأستاذ جروهمان المجلد الرابع من مجموعة دراسته لأوراق البردي بدار الكتب المصرية في سنة ١٩٥٢ ، وقام بترجمته إلى العربية الأستاذ الدكتور حسن إبراهيم حسن ، وصدرت الترجمة بالقاهرة في سنة ١٩٦٧ .

الوقفيات : الوقف نظام يقصد به حفظ العقار من التبديد ، وتخصيص دخله لأسرة مؤسس الوقف حسب الألبية التي يحددها في الوثيقة ، أو تخصيص هذا الدخل لمؤسسة دينية (١) . ويرجع تاريخ الوقف إلى العصر الأموي ، ثم انتشر بعد ذلك سريعاً لتمامين : عامل يرجع إلى التقوى ، لخدمة المساجد والفتوات والمشاريع الخاصة بالسقايات ، والمدارس ، والبيمارستانات ، وعامل يرجع إلى إشباع حاجة اقتصادية (٢) .

والوقفيات وثائق لها أهميتها الخاصة دون غيرها من الوثائق السياسية ، لأنها تفتق منها على عقود البيع والشراء والاستبدال ، وبيان الأبنية الموقوفة أى التي يخصص لها وقف معين ، ووثائق الوقف على هذا النحو من أهم المصادر التي يجب

(١) جودفروا ديمومين ، النظم الإسلامية ، ترجمة الدكتور فيصل السامر والدكتور

صالح الشجاع ، بيروت ١٩٦١ ، ص ١٦٨ .

(٢) نفس المرجع ص ١٦٩ .

الرجوع إليها عند دراسة الآثار المعيارية والمنشآت المختلفة في العصر الإسلامي ، وأكثرها أسالة ، لأن بعض هذه الوثائق تتضمن كثيرا من الحقائق والبيانات عن هذه المنشآت ، كما أن هذه الوثائق تتضمن كثيرا من الاصطلاحات السائدة في العصر الاسلامي معيارية أو قانونية أو إدارية (١) . ولحسن الحظ يحتفظ الأرشيف التاريخي بوزارة الأوقاف وبحكمة الأحوال الشخصية بالقاهرة بعدد كبير من هذه الوثائق ، ومن أهمها الوقفيات الخاصة بالسلطات قايتباي (٢) .

ولقد كان للأجاس أو الأوقاف ديوان خاص في العصر الأموي كان يتولاه قاض ينظر فيها خروفا من ضياعها ، والحيلولة دون تجزئة الوقف بسبب الإرث . وأقدم الوقفيات التي وصلت إلينا ، وقفية من العصر الإخشيدي ، حفظ لنا المقرئ لصها في كتابه الخطوط عندما تحدث عن أثر الوطاويط (٣) ، وقد عثر على ثلاثة سطور منها منقوشة في لوحة حجرية بحى الصنية ، بالقرب من جامع أحمد بن طولون ، وقد ضاع معظم اللوحة (٤) .

* * *

-
- (١) سيدة كاشف ، ص ٨٩ - عبد الطيف إبراهيم ، وثيقة السلطان قايتباي ، محاضرة في المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٣٩ .
- (٢) عبد الطيف إبراهيم ، المحاضرة السابقة ، ص ٣٩ - حاشية ١ .
- (٣) سيدة كاشف ، ص ٩٠ .

Wiet (G.), *Corpus Inscriptionum Arabicarum, Egypte*, (٤)
II, Cairo, 1930, pp. 91-94.

أمثلة من الوثائق الرسمية

أولاً - من رسالة موجهة من السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى الملك
القنوس ملك قشتالة (نقلاً من كتاب مجموعة الوثائق السياسية العربية بحفوفات
ملكه أرغون ، رقم ١٤٦) .

(بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاء حضرة الملك الجليل الهمام الأسد
الباسل الخطير الضرغام العالم في ملته العادل في ملكته ، دون القواش (١) ،
صاحب قشتالة وطليلة وإشبيلية وقرطبة وجيان ، نصر الدين المسيحية ، ضد
الملة النصرانية ، ذخر الطائفة الصليبية ، صديق الملوك والسلاطين ، ولا زالت
مودته صافية الحلل ، صافية موارد السعد ، التي يقصر دونها الأمل ، مقبلاً من
الحفاظة بنوادر وفاء تشيد منها ممالك على ما هو أعلى من الأصل ، مبتدئاً من
الصفاء بما يثرل قواعده اتباع سيرة أسلافنا وأسلافه الأول ، صدرت هذه
المفاوضة متحملة إليه بحمة أرجة ، وأئنيّة بمودات القلوب بمنزجة ، وبحمة ترجم
عن مكنونها السنة الأقالام الهجة ، وتوضح لعله الكريم ودود كتابه الجليل على
يد رسوله النارس المحتشم الجليل الخطير المجلل انبرناد ريقارد (٢) ، وقبلاه
بالإجلال والإكرام ، ووفور العناية والاحترام ، وإبتهجنا بما اشتمل عليه من
استقرار قواعد ملكه ، وانتظام الأحوال على كل ما فيه مسرة نفسه وبغوذ
كلمته ، ووافي حضور رسله توجهننا لفراة والجهاد وطلب الثار الذين لم تزل

(١) الرسالة موجهة خطأ إلى القنوس ، بدلاً من فرناندو الرابع الذي قول عرش

لشكالة سنة ١٢٩٥ .

(٢) يقصد به القارس إن برنارد ريكارد .

رقابهم لسيوفنا من الاغيار ، فرسمنا بأن يقدم رسول الملك أبصاه الله ، المشار إليه ، ومن معه بأربابنا العالية ، في إنعامنا وإحساننا إلى أن يعود ركابنا من الغزاة المبرورة ، ونستحضرهم ، ونسمع رسالتهم ، ونصفي إلى مضمون مشافهتهم المباركة ، ونأمر بقضاء أشغالهم ، ونعيدهم إلى الملك أبصاه الله بحوابة الكريم ، ونجهز معهم رسولنا إلى حمزة الملك أطال الله بقاءه ليتحقق ماله في خواطرنا من المكاتب الجليلة والمزلة الرفيدة ، ويتأكد ما يبتنا من الصداقة والمحبة والمودة المبرورة عن أسلافنا وأسلافه من الملوك الماضين ، سبى الله عهدهم ، ورسمنا لنواب الأبواب العالية باعتماد الوصية الثامنة برسل الملك المشار إليهم ، وإزالمهم في أجل مكان ، وتعاهدهم بالإحسان والإكرام والاحترام إلى أن يعود . وكان قد اتفق من أمر التتار المخدولين أنهم طرّفوا أطراف مملكتنا الشامية (١) ، ونظرقوا إليها ، وعساكرنا في ذلك الوقت غير مجتمعة ، ولما حملت ميسرة من كان حاضرا من عساكرنا المنصورة على المخدولين كسرتهم كسرة شديدة ، وقتلت منهم نحو عشرين ألف فارس ، ولم يقتل من أصحابنا قدر مائة فارس ، لكن كان كثير من عساكرنا متفرقا لم يجتمع بعد ، فاقضى الحال تأخرهم في ذلك الوقت . ولما كان الآن ، فإننا رسمنا بجمع الجيوش المنصورة ، ومضاعفة أعدادها ، وفتحنا خرايب الأموال ، وأنفقنا النفقات الجزيلة في العساكر المنصورة بحيث عرضنا في مايتي

(١) يشير الناصر هنا إلى المزرعة التي لقيها المالك في أوائل عام ٧٠٠هـ في موقعة الحازندان على أيدي جيوش التار بقيادة غازان خان ، وفي هذه الموقعة انهزمت ميسرة عساكر الناصر وكنّت ميسرة الجيش المملوك من مواجهة التار فقتلهم ، ولكنها اضطرت في النهاية إلى الرجوع بسبب هزيمة الميسرة .

ألف فارس. ومجهزنا للركوب في طلب التار المخدولين (١)، وحين تمحقوا التار عزمنا في قصدهم وركوب جيوشنا المنصورة في طلبهم، ولوا الأدبار، وركبوا إلى القرار، وانهمزوا لا يلوى بعضهم على بعض. وقد ركبنا الآن جيوشنا المنصورة لإدراكهم ولحاقهم أين كانوا واستئصال شأفتهم، وتطهير الأرض منهم بالكلية، بقوة الله تعالى وعونه. ولما عزمنا الآن على الركوب في طلب العدو المخدول، استحضرتنا رسل حضرة الملك أطال الله بقاءه إلى بين أيدينا، وأقبلنا عليهم، ووقفنا على مضمون كتابه الجليل، وعلينا مضمون ما معهم من المشافهات والرسائل، وتمحقنا ما اشتملت عليه من محافضة الملك أباه الله تعالى على المودات السالفة، والعهود القديمة، وما توارثه من تأكيد الصداقة، وتجدد المحبة، وإدامة المراسلات، بما يضاعف الصحة والصفاء، ويوالي المحبة والوفاء، وقابلنا ذلك بأكل قبول، فأثنا مازلنا نكافي المودات بأمانها، ونقابل من تملك بمحبتها من الوفاء بكل ما رجاها، وقد استقرت هذه القواعد من الألفة والصداقة على ما يسر الخواطر وعلينا من مضمون كتابه ومشافهته ما قصده في معنى التجار والمتمردين من بلاده بالبضائع، وما سألهم من أن يكونوا يترددون من بلاده إلى بلادنا، ومن بلادنا إلى بلاده آمنين مطمئنين، وأجبتنا إلى ما قصده في ذلك ورسمنا بأله أي من حضر من بلاده إلى بلادنا من التجار وغيرهم يحضروا آمنين مطمئنين، مكرمين محترمين، يبيعون بضائعهم على ما يختارون، ويتموضون بما يختارون، ويعودون إلى أمانهم سالمين محفوظين، وتقدمنا إلى ثوابنا بذلك،

(١) يشير إلى حلة الثانية التي وجهها ضد التار، وهي الحلة التي انتهت بإسترداد القاصر لقمش بعد أن اتصرت جيوشه على جيوش غازان في موضحة مرج الصفر في رمضان

وأن يعرفوا التجار أن بلاد الملك قد صارت بلادنا ، وبلادنا بلاده ، وقد علم كل أحد حال التجار المترددين الى مملكتنا الشريفة من البحر وغيره ، وما يناملون به من الكرامة والاحترام ونشر المصلحة والاحسان ، والأمن ، وأنهم يترددون آمنين مطمئنين على أنفسهم وأموالهم . وأما ما تضمنته المشافهة التي على يد رسوله الفارس المذكور في معنى من يختار الحضور من بلادنا لزيارة القدس الشريف ، وما سأل به من تمكينهم من ذلك ، وأن يكونوا آمنين مطمئنين ، فقد علمنا ذلك وأجبناه إلى ما قصده من هذا الأمر . ورسنا بأنه أى من اختار الحضور من بلادنا لزيارة فيحضروا آمنين مطمئنين ، ورسنا للتراب بالقدس الشريف وغيره بإعطاء الوصية التامة بكل من يحضر من بلادنا لذلك ، وأن يكونوا مكرمين محترمين في سائر ورودهم وصدورهم ، وعند ركوبنا الآن في طلب العدو الخذول ، أعدنا رسوله الفارس المحتشم أن يرئاد ويقاد ومن معه ، وحينئذ معهم رسلنا ، وهم المجلسان الساميان الأمير الأجل الكبير ، الأوحده ، الأكل ، العنصر ، النصير ، الحجي ، المختار ، المقدم ، فخر الدين ، والقاضي الأجل ، الصدر ، الرئيس ، الفاضل ، الكامل ، الأوحده ، المرتضى ، المختار ، حميد الدين ، مجد الإسلام ، شرقا الأمراء والقضاة ، عدنا الملوك والسلاطين ، أعزها الله تعالى ، وحلناهما من المشافهات الشريفة ما يعيدانه على حضرة الملك ، وقد سيرنا حضرة الملك على سبيل المودة والصداقة من خرابتنا العالية من القاش ، ما تشهد به الورقة المسيرة طيهما ، ليعلم أن الحجة بيننا كانت ، والمودة قررت ، وأنا قد أجبنا سؤاله إلى ما طلبه في الصحبة والمزودة ، فخط عليه بذلك ، ويواصل يكتبه وأخباره ، والله تعالى يحرم من الخير مبعثه ويديم سروره وبهجته ، إن شاء الله تعالى .

كتب في خامس شهر رجب الفرد سنة تسع وتسعين وستاية حسب المرسوم الشريف (١) . الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه .
حسبنا الله ونعم الوكيل .

٢١٥١ — عقد زواج مؤرخ في ١٥ جمادى الأولى سنة ١٩٤٥ هـ
(نقلا عن كتاب ، أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية ، ج ١)

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أصدق صلاح بن موسى الشميري كريمة ابنة علي بن رجا الطعان ، عندما خطبها إلى نفسها وهي يومئذ امرأة أيم بكر بالغ في صحة العقل والبدن جازية الأسر لها وعليها ، وأبدلها بالصدوق العاجل والأجل دينارين وازنين جيديين ، أنقدها منها دينار واحد مقبوضا عند عقده نكاحها ، قبضته منه تاما وافيا ، وأبرأته من ذلك براة قبض واستيفاء ، وعلى أن الدينار الآخر الذي هو بقية صداقها مؤخر لها عليه إلى اقضى سنة واحدة . أولها في النصف من جمادى الأولى من سنة تسع عشرة وأربعمائة ، وعليه أن يتق الله الكريم فيها ويحسن صحبتها ومماثرتها ، ولا يتنارها كما أمر الله عز وجل به في كتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في الامساك بمعروف أو القسريح بإحسان ... به الطاهر بن أبا مولانا أمير المؤمنين الظاهر لأعزاز دين الله ..) (٢)

(١) Los Documentos arabes diplomaticos del archivo de la

Corona de Aragon, ed. por Maximiliano Alarcón Y Santon,

Madrid, 1940, p. 344-346

(٢) جروممان ، أوراق البردى العربية ص ٩٧ ، ٩٨

ثالثا — عقد اتفاق خاص بحائط مملوك لشخصين

في سنة ٢٧٤ هـ

(نقلا عن كتاب : أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية ، ج ١)
 (بسم الله الرحمن الرحيم . شهد الشهود المسمون في هذا الكتاب على إقرار
 الحسين بن صالح الزجاج وقامة ابنه إدريس ، الساكني مدينة أشمون أن الحايط
 الذي بحرى منزل الحسين بن صالح وقبلى منزل قامة بنت إدريس فيما بينهما بنصفين
 ليس لأحد منهما أن يمنع صاحبه من وضع خشبة أو جريدة على هذا الحايط ،
 ولها . . . كل حقته ومتى أصاب هذا الحايط عهم أو استرم فعلى الحسين بن
 صالح بناءه ، وترعه من ماله ، ونجدر شهد على ذلك سليمان بن داود المؤذن على
 إقرارهما جميعا بجميع ما في هذا الكتاب . وكتب في ذى الحجة سنة أربع وسبعين
 ومائتين ، شهد فلان بن فلان على إقرارهما جميعا بجميع ما في هذا الكتاب . وكتب
 شهادته في ذى الحجة من سنة أربع وسبعين ومائتين . شهد عثمان بن . . . على
 إقرارهما جميعا بجميع ما في هذا الكتاب ، وكتب شهادته في ذى الحجة سنة أربع
 وسبعين ومائتين . شهد . . . بن جوهر على إقرارهما جميعا بجميع ما في هذا
 الكتاب وكتب شهادته في ذى الحجة سنة أربع وسبعين ومائتين . . .) (١)

رابعا — رسالة من قررة بن شريك وإلى مصر إلى بسيل

صاحب أشقوه سنة ٩٠ هـ

(نقلا عن كتاب Arabic Papyri ، الجزء الثالث)

(بسم الله الرحمن الرحيم من قررة بن شريك إلى بسيل صاحب أشقوه ، فإن
 أحد الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فإنك قد علمت الذي كتبت إليك به من جمع

المال ، والذي قد حضر من عطاء الجند وعيالهم وغزو الناس ، فإذا جاءك كتابي هذا فتخذ في جمع المال ، فإن أهل الأرض قد حموا منذ أشهر ، ثم عجل إلى بما اجتمع عندك من المال بالاول فالاول ، ولا أعرفك ما حجبنا بما قبلك ، فإن أهل الأرض قد فرغوا من الحراثة وعلوا ما عليهم ، وصلحت أفراطهم لبيع ما أزدوا منها ، فمجل عجل بما اجتمع عندك من المال فإنه لو قد قدم إلى المال قد أمرت للجند بمطأهم إن شاء الله ، فلا تكون آخر المال بعثا بما قبله ، ولا أومئتك في ذلك ، والسلام على من اتبع الهدى ، وكتب يزيد يوم الجمعة (١)

خامس - رسالة من قرعة بن شريك الى بسيل صاحب أشقوه
يطلب منه أن يرسل التعليقات الخاصة بدفع الجزية إلى جسطال كورته (٢) ،
وال موازيت القرى (٣) ، سنة ٨٩٠ / ٨٩١

(نقلا من : Arabic Papyri ، الجزء الثالث)

(...) الأجل أعاقبه أشد العقوبة ، وأغرمه أثقل الغرامة ، ولا أخال ذلك إلا قد كان بلغك وبلغ أهل كوردتك ، ولعمري حال الأجل منذ أكثر من شهرين

(١) وثيقة رقم ١٤٨ ، س ١١ - ١٣

(٢) المشرف على مالية الكورة أي مندوب ديوان الخراج والأموال (راجع: سيند كاشف ، مصر في عصر الولاة ، س ٢٥) ، والقطعة مشتقة من الكلمة البيزنطية
أوجستليس

(٣) رؤساء أو مباحث القرى ، والكلمة مشتقة من الكلمة البيزنطية ميزوروس
(نفس المرجع ، س ٢٥)

وقد كتبت اليك قبل كتابي هذا آمرك أن تعجل اليها بما قد جمعت من جزيرة كورتك ، وأردت أن أرفق بهم وأنجاوز عنهم بما قد قبضت منهم على نسبي الذي كانوا يؤدون في بيت المال كل سنة ، فلا أظن كتابي هذا قادما عليك إن كان فيك خير إلا وقد بعثت بالذي قد جمعت من جزيرة كورتك . فإذا جاءك كتابي هذا فلا أعرفن ما استوفيت من الجزية بعد الذي ترسل عما قد جمعت من الجزية دينارا ولا نصفا ولا ثلثا إلا ما كان على وزن بيت المال ، ونفذت في ذلك إلى جسطال كورتك وإلى موازيت القرى ، فإنك (...) (١)

سادسا — عقد بيع دار بطليطلة مؤرخ في ابريل ١٠٩٣ م

(نقل من كتاب Los Mozarabes de Toledo (٧))

(اشترى خير بن ركوى من يحيى بن عبد السلام جميع الدار الذي له بحومة رجة القشالي ، حد الدار في الشرق : دار خلف بن جواد ، وفي الغرب دار جلابارت الفرنجي ، وفي القبلة دار أبي الحسن بن زكري ، وفي الجوف دار مفرج بن عثمان ، بشمن عدته اربعمون دينارا من الدينارات الجارية بطليطلة حين هذا التاريخ في شهر ابريل الكاين في سنة واحد وثلاثين ومائة وألف من تاريخ الصفر

وشهود الاصل فيه وفرج بن عبد الله ، ومسمود زرقون شهد وكتب ، عبد الرحمن بن يحيى شاهد على ذلك ، وعيسى بن الحسن شاهد وكتب تحتة بأمره

(١) وثيقة رقم ١٤٩ ، ص ١٥ — ١٧

Angel Gonzalez Palencia, Los Mozarabes de Toledo, en (٧)

los siglos XII y XIII, vol. I, Madrid 1926, p.3

وعيشون بن يحيى شاهد، هذيل حكيم شاهد وكتب، زكري بن عثمان شاهد وكتبه عنه، وبالأعجمي يشقش فليس بطرة تشقش. صحت هذه النسخة في المشر الأوسط من شهر شتير سنة ثلاثين ومائتين وألف للصفري. يوان بن يليان السقي شهد، ويوانش بن مقابل بن عبد العزيز المشاري، وباطره بن عمر بن غالب بن القلاس).

سابعاً - نص وقفية جامع طينال بطرابلس الشام

(نقلا عن Répertoire Chronoloigque d'Epigraphie Arabe) (١)

(بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا الجامع المعمور بذكر الله تعالى مولانا المعز الأشرفي العالي المولوى السكافلى السيدى المالكى المندوبى السيفى طينال المالكى الناصرى، كافل الممالك الشريفة الطرابلسية بلغه الله آماله، وتقبل فى الصالحات أعماله، ووقف عليه لمصلحة المعينة فى كتاب وقفه جميع البستان المعروف بالحنوى بظاهر طرابلس، وجميع الحانوتين الملاصقين لبابه، وجميع البستان المعروف قديما بالطنطاش ببقى طرابلس، وجميع الحانوتين الملاصقين لسوق السلاح بجوار الحمام المعروف بأسندمر، وهى الآن ملك الواقف، وجميع تلك الخان بدار الوكالة القديمة، وجميع القرية المعروفة بأزرونية من

(١) R. C. E. A., t. XV, p. 60

السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام فى التاريخ الاسلامى، الاسكندرية ١٩٦٧،

ملحق رقم ٣ ص ٤٢٥

— • • • —

عمل عزقا يحون طوابلس ، وشرطاته مهما فضل من ربيع هذا الوقف عن أرباب
وظائفه ومصلحه المعينة في كتاب. يصرف للفقراء والمساكين المقيمين بطرابلس
والواردين إليها حسب ما يراه الناظر في ذلك من غير أن يرتب لأحد مرتباً في
كل شهر أو كل يوم ، ومن غير ذلك أو بدله ، أو رتب شيئاً مستمراً ، كانت
عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) .

(٢)

الكتابات الأثرية أو النقوش

النقوش الكتابية الأثرية من أهم مصادر التاريخ بوجه عام ، والاسلامى بوجه خاص ، لأن أكثر ما وصل إلينا عن العصر الجاهلى وعصر صدر الاسلام فى المصادر العربية المدونة لا يبدو أن يكون روايات يثقل عليها الطابع الأسطورى ، وتختلط فيها الحقيقة بالخيال ، والنقوش الكتابية لذلك تلى الوثائق السياسية فى الأهمية التاريخية ، لأن الكتابات الأثرية بما تتضمنه من أخبار تعد مادة أساسية للتاريخ الإسلامى والحضارة . ولا شك أن الكتابات الأثرية والنقوش المسجلة على الآثار ووثائق أصيلة يستند عليها المؤرخ فى تأريخه للحوادث ، فهى كتابات محيطة غير مغرقة ، وهى كذلك معاصرة للأحداث التى تسجلها ، لم تشوهها الروايات والنقول (١) ، ولذلك فطن الباحثون فى التاريخ الإسلامى حديثا إلى أن فى الإمكان تصحيح الكثير من الأخطاء التاريخية التى وقع فيها بعض الأخباريين والمؤرخين فى العصر الإسلامى ، وإمالة الثام عن حقائق تاريخية جديدة كانت مخفية عنهم ، عن طريق النقوش الكتابية التى وصلت إلينا ، وما أكثر ما يهل منها على الآثار . فالنقوش الكتابية التى تدور حول قباب المحراب واليهو بجماعى

(١) زكى محمد حسن ، دراسات فى مناهج البحث ، والمراجع فى التاريخ الإسلامى ،

ص ١٦٢ - سيدة كاشف ، مصادر التاريخ الإسلامى ، ص ٦٣ .

من المعروف أن النقوش الأثرية تثبت حقائق ثابتة وتضمن نواحيها محيطة وأعلاما يقل فيها التحريف ، بينما كان الكتاب والمؤلفون كثيراً ما يتعرفون عن ذكر الحقائق لأموال شخصية أو عاطفية ، وقد يتغير المؤلف للأثرة التى يكتب فى ظلها ، أو قد يتعصب لذهنهما

القيروان والزيتونة بقرنس ، والكتابات التي تطالعها على واجهة الخراب وحول قاعدة قبة بجامع قرطبة ، وآلاف النقوش المسجلة على آثار القاهرة المعزية والايوية والملوكية ، وعلى الاسوار وأبواب القلاع ومداخل الفنادق والقصور في مصر والشام والعراق والمغرب ، تتضمن تواريخها ثابتة لهذه المنشآت ، كما تتضمن في كثير من الأحيان أسماء منشئها من الأمراء والحكام والسلاطين والخلفاء ، وفي بعض الأحيان أسماء العرفاء والمهندسين والمزوقين الذين أشرفوا على إنشائها وترتيبها ، وهي أمور غفلت الوثائق التاريخية عن ذكرها على هذا النحو من الدقة .

ولا تقتصر أهمية الكتابات الأثرية على النواحي السياسية لحسب ، بل تتجلى أهميتها في النواحي الدينية والاقتصادية أيضا : فصلاح الدين قضى على الدولة الفاطمية وقضى في نفس الوقت على مذهبها الشيوعي الاسماعيلي في مصر (٢) ،

(١) عثر على كتابة نسخية في لوحة على باب القرافة (برج الإمام حاليا) من أبواب قلعة صلاح الدين نصها (بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بإنشاء هذا الباب المبارك والسور المتصل به الملك الناصر جامع كلمة الإيمان ، قانع عبدة الصلحان صلاح الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين أبوالمظفر يوسف بن أيوب بن شادي ، عمى الدولة أمير المؤمنين في شهر سنة ست وسبعين وخمسة)

Répertoire Chronologique d'Épigraphie arabe, t. IX, p.108
وعلى باب المدرج من أبواب القلعة قنن تأسيس نصه (بسم الله أمر بإنشاء هذه القلعة الباهرة المجاورة لمروسة القاهرة بالزعة التي جمعت قننا وتحصينا وسعة على من التجر إلى ظل ملكه ، وتحصينا ، مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين أبو المظفر يوسف بن أيوب ، عمى دولة أمير المؤمنين ، في نظر أخيه وولي عهده الملك العادل سيف الدين أبو بكر عمده ، خليل أمير المؤمنين على يد أمير مملكته ، ومعين دولته قراقوش بن عبد الله الملك الناصري في سنة تسع وسبعين وخمس مائة) Répertoire, p.123 .

ويجمل ذلك في كثير من النقوش . ومن الحاجة الاقتصادية ، كان سلاطين المماليك ، يستجلون حراسيهم الخاصة بإلغاء بعض الضرائب أو تخفيف بعض المكوس ، على جدران الآثار (١) .

وعلى الرغم من أن الكتابات الأثرية العربية تنقصها التوع ، ويكثر فيها التكرار ، فإنها تعتبر مصدرا هاما للباحث في التاريخ الاسلامي ، ولذلك اهتم المستشرقون بالنقوش العربية اهتماما خاصا ، فصنفوا فيها الكتب والتوليف ، واهتموا بجمعها وترتيبها . ومن أشهر المشتغلين بالكتابات الأثرية العربية من المستشرقين الأساتذة ماكس فان برشم (٢) ، وادمون فانويو (٣) ، وإتيين

Sobernheim, Corpus Inscriptionum Arabicarum, t. XXV, (١)
 1909, pp. 62 - 69 - السيد عبد العزيز سالم ، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي ،
 ص ٤٧٧ ، ص ٤٧٧ .

Max Van Berchem, Matériaux pour un Corpus (٢)
 Inscriptionum Arabicarum, L'Egypte, dans M. M. A. F. C.,
 t. 19. 1894,

.... : Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, t.
 II, Syrie du Sud, 1922

.... : Matériaux pour un Corpus, t. II, Syrie du Nord.

.... : Matériaux pour un Corpus, t. III, Asie Mineure.

Max Van Berchem & Edmond Fatio, Voyage en (٣)
 Syrie, 2 vols, dans Mémoires de l'Institut Français d'Archéologie
 Orientale du Caire, t. 37, le Caire, 1914 - 1915.

کومب (١)، وجامتون فیت (٢)، ولین بروفسال (٣)، وجان سوقاجیه ،
وسوبرنهایم (٤) ، وأمادور دی لوس ریوس (٥) ، وفیل (٦) ،

Combe, Sauvaget, Wiet : Répertoire Chronologique (١)
d'Epigraphie Arabe, le Caire, 1931 - 1944

Wiet, Matériaux pour un Corpus Inscriptionum (٢)
Arabicarum, l'Egypte, vol. II, Mémoires I. F. A. O., t.
52, 1930.

Wiet, une inscription d'un prince de Tripoli de la dynastie des
Bann Ammar, dans Mémorial H. Basset, par l'Institut de H.E.M.,
t. XVIII, Paris 1928 .

Lévi - Provençal, Inscriptions Arabes d'Espagne, (٣)
Paris, 1931.

Sobernheim (Moritz) : Corpus Inscriptionum Arabicarum, (٤)
t. XXV, 1909

Amador de los Rios, Inscripciones árabes de Sevilla, (٥)
Madrid, 1875.

Amador de los Rios Inscripciones árabes de cordoba, Madrid, 1878

Amador de los Rios: Epigrafía árabe : Capiteles con inscripciones
descubiertos en Cordoba, Revista de Archivos, II, 1898

Weill, les bois à Epigraphes jusqu' à l'époque (٦)

Mamelouke, Catalogue générale, de Musée arabe du Caire,
2 vols., 1931, 1936.

وبل (١) ، ومانويل أوكانية (٢) .

A. Bell, *Inscriptions arabes de Fes*, J. A. 1917-1919. (١)

(٢) M. Ocana Jimenez, *La inscripcion Fundacional de la* (٢)

Mezquita de Ibn Adabbas en Sevilla, al-Andalus, vol. XII,

fase. I, 1947.

(٢)

العملات أو النميات أو المسكوكات

السكة على حد قول ابن خلدون الختم على الدنانير والدرهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة. ويضرب بها على الدينار أو الدرهم ، فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة ، بعد أن يعتبر حيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى ، وبعد تقدير أشخاص الدرهم والدنانير بوزن معين صحيح يصطلح عليه ، فيكون التعامل بها عددا ، وإن لم تقدر أشخاصها يسكون التعامل بها وزنا . ولفظ السكة كان اسما للطابع ، وهي الحديدية المتخذة لذلك ، ثم نقل إلى أثرها وهي النقوش المائلة على الدنانير والدرهم ، ثم نقل إلى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته ، وهي الوظيفة ، فصار علما عليها في عرف الدول ، وهي وظيفة ضرورية للملك إذ بها يتميز الخالص من المشوش بين الناس في النقود عند المعاملات ، ويتقون في سلامتها النش بختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة ، (١) . وقد أشار الماوردي في الأحكام السلطانية إلى أن السكة والحديدية التي يطبع عليها الدرهم ، ولذلك سميت الدرهم المضروبة سكة ، (٢) ، وفهر الميرزى في كتاب الأوزان والأكيال الشرعية السكة بأن الدينار والدرهم المضروبين سمي كل منهما سكة لأنه طبع بالحديدية الفعلية ، ويقال لها السكة ، (٣) . وأول من سك العملات العربية الإسلامية الخالصة

(١) ابن خلدون ، المقدمة ج ٢ ص ٢٣٩ .

(٢) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، القاهرة ١٣٢٨ هـ ، ص ١٤٠ .

(٣) الميرزى ، الأوزان والأكيال الشرعية ، نشرة تيشن ، Tychsen ، ووستوك

هو الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة ٧٧ هـ ، الذي رأى ضرورة
عربية إسلامية ضرورة لازمة لتدعيم البناء الاقتصادي والسياسي للدولة العربية ،
ومن الملاحظ أن عصر عبد الملك شهد ظاهرة جديدة هي صيغ الدولة بديلة
قومية عربية في جميع الشؤون الإدارية والمالية ، فإنه يرجع الفضل الأعظم في
تعميم الدراوين ، وإليه يرجع الفضل أيضا في تعريب السكة الإسلامية ، وكان
ذلك ضرورة من ضرورات الحكم في مرحلة الاستقرار التي أعقبت مرحلة
الفتوحات (١) .

وتعتبر دراسة العملات الإسلامية أساسا هاما لدراسة التاريخ السياسي
والاقتصادي للدولة الإسلامية ، فالكتابات المنقوشة على السكة تتضمن أسماء
الخلفاء والسلاطين وألقابهم ، وتاريخ الضرب ، وبعض عبارات عامة بالمذهب
الديني السائد ، والمدينة التي ضربت فيها العملة ، ولذلك فإن العملات سجل للألقاب
والنعوت التي توضح كثيرا من الأحداث السياسية ، وتثبت أو تنفي تبعية الولاة
والحكام للخلافة ، كذلك تفيد دراسة العملات في تحقيق كثير من الحوادث
السياسية المتعلقة بفتح البلاد عنوة أو صلحا وذلك عن طريق ظهور اسم الخليفة
على سكة إقليم من الأقاليم ، فإن الدارسين لعملات يطالعون أسماء حكام وأسرار
حاكمة قد تسد فراغا في جداول الأسرار الحاكمة في الشرق (٢) ، وتفيدنا
العبارات الدينية المنقوشة على وجه العملة أو على ظهرها في بيان المذهب الديني
للأسرة الحاكمة . وكثيرا ما تساهم النقوش المسجلة على العملات في توضيح بعض

(١) عبد الرحمن تقي ، فجر السكة العربية ، من مجربات جنتي التي الإسلامية .

القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٣٥ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٢ .

الأخطاء التاريخية المعروفة ومثل ذلك أن بعض المصادر العربية تؤكد على أن إدريس ابن إدريس بن عبدالله بن حسن هو الذى أسس مدينة فاس فى سنة ١٩٢ هـ ، فى حين أن مصادر أخرى تؤكد أن فاس من بناء إدريس الأول بن عبدالله ، وأنه أسسها فى سنة ١٧٢ هـ . وقد كان ذلك الاختلاف فى تأريخ إنشاء فاس سببا فى حيرة المؤرخين المحدثين ، إلى أن عثر على عملات ضربت فى مدينة فاس فى سنتي ١٨٥ ، ١٨٩ هـ الأمر الذى يقطع بصحة النظرية القائلة بإنشاء فاس فى سنة ١٧٢ هـ ، ويفسر الأستاذ لبنى بروفنسال كيف استقر التاريخ الخاطيء لبناء فاس فى سنة ١٩٢ هـ وحل محل التاريخ الحقيقى الصحيح وهو سنة ١٧٢ هـ بأنه من المحقق وفوق لبس أساسه يرجع إلى خطأ يسير فى القراءة بين رقمي سبعين وتسعين ، وهو خطأ أدى الى تحريف سنة ١٧٢ إلى ١٩٢ هـ (١) .

أما من الناحية الاقتصادية فإن العملات طالبا كانت تستخدم فى التداول الداخلى أى فى التجارة الإقليمية ، وطالما كانت مادتها ووزنها مختلفا فى العصور المختلفة حسب ما يصدر من قوانين مالية ، ففي الإمكان معرفة الحالة الاقتصادية للمصر الذى كانت تستعمل فيه هذه العملات لتداول الداخلى (٢) ، وإلى نوع النقد الذى كان يشتد الإقبال عليه فى العصور المختلفة وأسبابه الاقتصادية . ثم إن العثور على عدد من العملات المضروبة فى عصر ما ، فى بلاد مختلفة إسلامية وغير إسلامية ، يشير إلى الآفاق التى كانت تمتد إليها التجارة الإسلامية فى هذا العصر .

(١) لبنى بروفنسال ، الإسلام فى المغرب والأندلس ، ترجمة الدكتور السيد عبد العزيز سالم والأستاذ محمد صلاح الدين حلى ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٢٩ ، ٣٠ - السيد عبد العزيز سالم المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٥٠١ .

(٢) واجر مقدسة : القرى ، إغاثة الأمة بكشف القصة ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة ، الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٧ .

ولقد وصلتنا ، لحسن الحظ ، بالاختلاف إلى العماليق القديمة (صناعة التي
عنها البحث الأثرى في البلاد الإسلامية ، كتب خاصة بالنفوذ الإسلامية ، و
هامة للباحثين في علم النباتات ، وأهم هذه الكتب ما يلي :

كتاب « الحراج » ، لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢ هـ) (١) ؛
وكتاب « فتوح البلدان » ، للبلاذرى (ت ٢٧٩ هـ) (٢) ، وكتاب « الأحكام
السلطانية » ، للماوردي (ت ٤٥٠ هـ) ، وكتاب « قوانين الدواوين » ، للأسمد
ابن عماد (ت ٦٠٦ هـ) ، (٤) وكتاب « الحيوان » ، للدميرى (ت ٨٠٨ هـ) ،
وكتاب « المحاسن والمساوى » ، لليبقي (ت ٤٥٨ هـ) ، ومقدمة ابن خلدون
(ت ٨٠٨ هـ) ، وكتاب « إغاثة الأمة بكشف الغمة » ، لتقى الدين المقرئى (٧)
(ت ٨٤٥ هـ) ، وكتابه « شذور القفود في ذكر القفود » (٨) ، وكتابه « الأوزان
والأكيال الشرعية » (٩) .

(١) أبو يوسف ، كتاب الحراج ، بولاق ١٣٠٢

(٢) البلاذرى ، فتوح البلدان ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٥٧ ،

ج ٣ ص ٥٧١ - ٥٧٨

(٣) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، بولاق ١٣٢٨

(٤) ابن عماد ، كتاب قوانين الدواوين ، جمع وتحقيق الدكتور عزيز سوريال ضياء ،

القاهرة ١٩٤٣ هـ

(٥) الدميرى ، حياة الحيوان الكبرى ، القاهرة ١٩٥٤ (جزآن) وطبعة مصر ١٣١٩ هـ

(٦) الليبقي ، المحاسن والمساوى ، القاهرة ١٣٢٥ ،

(٧) المقرئى ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور

جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٧

(٨) المقرئى ، شذور القفود في ذكر القفود القديمة والإسلامية ، تحقيق الطباطبائي ،

النجف ، ١٣٥٦ هـ

(٩) المقرئى ، الأوزان والأكيال الشرعية ، مصر : تيش ، روستوك ١٩٦٧ .

ولقد اهتم المؤرخون المحدثون بدراسة علم النقود العربية اهتماما كبيرا
لكثرتها ، وتنوعها ، وتعود أشكالها . فأخرج العالم العراقي الآب أنستاس ماري
الكرملى في سنة ١٩٣٩ كتابا بعنوان : « النقود العربية وعلم النميات » ، (١) ،
جميع فيه أهم ما كتبه المؤرخون العرب أمثال المقرئى في « شذور العقود في ذكر
النقود » ، وفي إغاثة الأمة بكشف الغمة » ، والبلاذرى في « فتوح البلدان » ،
والدميرى في « حياة الحيوان الكبرى » ، والبيهقى في « المحاسن والمساوى » ، وأبو
المحسن في « النجوم الزاهرة » ، وابن خلدون في « المقدمة » ، والقلقشندي في
« صبح الأعشى » . وأضاف الآب أنستاس الكرملى تفسيرات كثيرة وتعليقات
هامة لأسماء الرجال والنعمت والألقاب الواردة في النقوش ، والمواد التي تتخذ
منها الموازين والمكاييل والمقاييس والأثمان ، مما يكشف النقاب عن كثير من
الحقائق السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

وهناك بحوث أخرى كثيرة كتبها مستشرقون وعرب متخصصون في دراسة
النقود الإسلامية نذكر منهم: لافوا Lavoix (٢) ، ولين بول (٣) ، وسوفير (٤) ،

(١) طبع بالقاهرة في سنة ١٩٣٩

Lavoix. (H.), Catalogue des Monnaies Musulmanes de la (٢)
Bibliothèque Nationale, 3 vols, Paris 1887—1891 .

Lane - Poole (S.), Catalogue of the Oriental coins in the (٣)
British Museum, London, 1875—1890.

Lane - Poole, Catalogue of the Mohammadan coins preserved in the
Bodleian Library at Oxford, Oxford, 1888.

Lane - Poole, Essays in Oriental Numismatics, 3 vols, London 1874-1892.

Sauvage, Matériaux pour servir à l'histoire de la (٤)
Numismatique et de la métrologie Musulmanes, Paris, 3 vols.,
1882 - 1887.

وما ياز (١) ، وكاستو ماريا دل ريفيرو (٢) ، والدكتور عبد الرحمن فهمي (٣) ،
وناصر السيد محمود النقشبندى (٤) ، والدكتور عبد المنعم ماجد (٥) ،

Miles, Coinage of the Umayyads of Spain, 2 vols., New (١)
York, 1948.

..... Contributions to arabic Metrology, New York, 1958.

Casq Maria del Rivero, La Moneda arabigo espanola, (٢)
Madrid, 1833 (2 vols.)

(٣) عبد الرحمن فهمي ، منج السكة في فجر الإسلام ، القاهرة ١٩٥٧

..... الفارقات المسيحية والرموز القبطية على السكة الاسلامية ، محاضرة في المؤتمر الثالث

للآثار في البلاد العربية قاس ١٩٥٩ ، القاهرة ١٩٦١

..... القنود العربية : ما شئها وحاضرها ، المكتبة الثقافية ، عدد ١٠٣ ، القاهرة ،

١٩٦٤ .

..... فجر السكة العربية ، مطبوعات متحف الفن الاسلامي ، القاهرة ١٩٦٥ .

(٤) ناصر السيد محمود النقشبندى ، الديار الاسلامي في المتحف العراقي ، ج ١ ، الديار

الأموي والعباسي ، بغداد ، ١٩٥٣

(٥) عيد المنعم ماجد : القنود الفاطمية ، مقال بحوليات كلية الآداب جامعة عين شمس ،

مايو ١٩٥٣ .

..... تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٧ .

(٤)

الآثار المعمارية والتحف

تعتبر الآثار الباقية سواء الثابتة منها كالنشآت المعمارية ، أو المنقولة كالتحف المعدنية والخشبية والعاجية والخزفية ، وأدوات الزينة والتحف ، من أهم المصادر التي يعتمد عليها المؤرخ في كتابته التاريخية ، ذلك لأن الوثائق المكتوبة لا تكفي وحدها لهذا الغرض ، إما لتدريجها ، أو لتناقض ما جاء فيها ، أو لاختلاط الحقائق التاريخية فيها بالقصص والأساطير ، أما الآثار فتتضمن نقوشا كتابية أصيلة معاصرة للأحداث ، وغير قابلة للتصحيف والتحريف ، وهو أمر شائع في المصادر المكتوبة التي تتعرض مادتها في بعض الأحيان لأهواء الكاتب وميوله ، كما تتعرض في أحيان أخرى للتشويه والتحريف .

والآثار في حد ذاتها تفيد المؤرخ في الوقوف على درجة الاتقان المبنى التي وصل إليها الفنانون المسلمون في العصور المختلفة ، كما تفيد في معرفة التيارات الفنية التي كانت تترك بصماتها في إنتاج الفنان المسلم ، ومصادر هذه التيارات ، والآثار على هذا النحو تعتبر سجلا تاريخيا حيا للأعمال التي قام بها الولاة والأمراء والسلاطين والخلفاء في العصور الإسلامية المختلفة ، وشاهدا ماديا عاثلا على ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من تقدم أو تأخر في هذه العصور . وكثيرا ما تعبر بعض الآثار عن نواحي سياسية هامة ، فالنفوذ الأندلسي على المغرب الأقصى في عصر دولة بني أمية في الأندلس يتجلى بصورة واضحة في مسجدى القيروين والأندلس بمدينة تونس ، وسيطرة المرابطين والمرحدين على الأندلس يعبر عنها الأسلوب الفني المشترك السائد في كل من المغرب والأندلس في فئتين العصور ،

وغلبة الطابع الفرساني على آثار المغرب كله منذ أوائل القرن الرابع عشر ، يعبر عن أثر العلاقات السياسية بين بنى مرين وبنى الأحمر في الفنون المعمارية والصناعية ، كما يعبر أيضا عن حقيقة تاريخية ثابتة ، هي هجرة الفن الأندلسي الفرساني الى المغرب بعد انتهاء دولة الإسلام في الأندلس (١) .

كذلك يعبر استخدام الخوذة المفصصة التي تشبه العمامة والتي تكسوها زخرفة خزفية خضراء بأعلى مثذقي جامع الناصر محمد بن قلاوون بالقاهرة ، واستخدام الزخارف المعروفة بالبدالات في إحدى هاتين المثذبتين ، عن توافد تأثيرات مغولية إيرانية على مصر ، كما يعبر شكل مثذبة أحمد بن طولون المالوية ، وتشابهها بمثذبة جامع أبي دلف بسامرا ، واستخدام الزيادات في تخطيطه ، والدينامية الآجورية في البناء ، والزخارف النباتية المحفورة حفرا مائلا في الجص ، عن تأثير عراقي فارسي واضح كل الوضوح ، ولا مجال لانكاره (٢) . ومن المعروف أن مؤسس هذا الجامع من أصل تركي ، ولد بسامرا ، وعاش فيها ، وتأثر بها شاعده من منشآتها ، فنقل هذا الطابع السامرائي العراقي فيما أسسه من منشآت معمارية في مصر .

كذلك تفيد الآثار في دراسة تاريخ العمران المدني ، لأن الآثار تحدد المعالم البارزة من المدينة الإسلامية ، وتخطيطها في العصور الوسطى ، كما تحدد الأسوار المتخلقة والأسوار التي أقيمت في عصر لاحق عن تطور الاتساع العمراني في المدينة المراد دراستها .

(١) السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج ١ ، ص ٩٠ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم ، المآذن المصرية ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ١٥٠ .

وعلى هذا النحو أصبحت دراسة الآثار ضرورة لازمة لدراسة التاريخ
السياسي والحضاري ، وعالم الآثار يعني بترتيب مخلفات الحضارات القديمة ،
وبتفسيرها ، واستنباط الحقائق التاريخية منها . وهو لا يقف في دراسة هذه
المخلفات عند ما له قيمة فنية منها لحسب ، بل انه يفحصها جميعا ، ويعمل على معرفة
تاريخها ، وتحديد مستوى الحضارة التي أنتجتها ، والأغراض التي كانت تستعمل
فيها ، وهو يصل إلى هذا كله بأساليب علمية ، قوامها المشاهدة والمعاينة والمقارنة
والاستنباط (١) .

وقد تنبه العلماء المستشرقون في العصر الحديث إلى أهمية الدراسة الأثرية
بالنسبة للتاريخ ، فتتابعت بحوثهم العلمية تلتى أضواء على نواحي تاريخية كانت
غامضة ، ومن أشهر هؤلاء المستشرقين : جورج مارسيه ، وهنري تيراس ، ولويل
لامير ، وتوديس بلباس ، وبوريس ماسلو ، وهنري باسيه ، وميجون ، وسلادان ،
وزاره ، وهرتفيلد ، وكونل ، وكرسويل ، وآرثر لين ، وجاستون فييت ،
وسوفاجيه ، وديماند ، وجروهمان .

ومن أشهر علماء الآثار الإسلامية العرب والمشتغلين في
هذا الميدان الأساتذة : الدكتور أحمد فكري (٢) ، والدكتور فريد
شافعي ، والدكتور عبد العزيز مرزوق ، والدكتور جمال محسن

(١) زكي محمد حسن ، دراسات في مناهج البحث ، ص ١٥٤

(٢) الأستاذ الدكتور أحمد فكري فضل عظيم في تكوين عدد من الباحثين في الآثار
من تلاميذه ، فعليه أخذ الدكتور محمد توفيق بليغ والدكتور عثمان الجماعيل والأستاذ حلمي
مسلم ومؤلف هذا الكتاب ، كذلك كان لأبحاثه الأصيلة في الآثار الإسلامية في المغرب

والمرحوم الدكتور زكي محمد حسن، والمرحوم الأستاذ حسن عبد الوهاب، والأستاذ
حسن حسني عبد الوهاب، والأستاذ إبراهيم شيوخ، والأستاذ عبد العزيز بن عبد الله،
والأستاذ عبد الهادي التازي، والدكتور مريس شهاب، والأستاذ أحمد كمال،
والأستاذ مصطفى جرادة، والأستاذ ناصر التميمي، والأستاذ كوركيس
عزاد، والأستاذ كاظم الجنابي.

الفصل الخامس

المصادر المكتوبة

(١) القرآن الكريم والحديث والتفسير

(٢) كتب الطبقات والأبساب

(٣) كتب الجغرافية

(٤) كتب الرحلات

(٥) الشعر العربي والكتب الأدبية

(٦) كتب الخراج والحسبة والخطط

الفصل الخامس

المصادر المكتوبة

(١)

القرآن الكريم والحديث والتفسير

يُعتبر القرآن الكريم ، أساس التشريع الاسلامي ومصدره الاول ، مصدراً تاريخياً هاماً ، بل أقدم المصادر العربية المدونة لتاريخ العرب في عصر الجاهلية ، وأصدقها على الإطلاق لانه تنزيل من الله تعالى لاسيما إلى الشك في صحه نصه (١). وفيه ذكر لبعض مظاهر حياة العرب السياسية والاقتصادية والدينية ، وفيه ذكر لبعض أخبار الشعوب البائدة (عاد وثمود) ، وفيه أخبار عن أصحاب القبيل (أبرهة الحبشي وجيشه) ، وسيل العرم (وهو السيل الذي أصاب سد مأرب) ، وأصحاب الأخدود (أهل نجران الذين أحرقتهم ذو نواس الخيرى في أعاديد) ، هذه الأخبار أوردها الله تعالى في كتابه العزيز عمرة وموعظة للعرب بما أصاب الله الشعوب البائدة من قصاص لتكذيبهم الرسل والأنبياء ، وقد أثبتت الحقائق التاريخية الثابتة والكشوف الأثرية صحة ما جاء في القرآن الكريم من أخبار العرب البائدة ودقتها ، ومن المعروف أن الشعوب العربية البائدة انقضت لعاملين: الرمل الواحف الذي طغى على العمران القديم في أواسط شبه الجزيرة العربية وفي

(١) طه حسين ، في الأدب الجاهل ، القاهرة ١٩٢٧ ص ٦٨ - جواد علي ، تاريخ

العرب قبل الاسلام ، القسم الثاني ، ج ١ ، بغداد ١٩٥٠ ص ٣٥ - سجي الصلح
مباحث في علوم القرآن ، دمشق ، ١٩٦٢ ص ٢٩٣ - عمر فروخ ، تاريخ الجاهلية ، بيروت

الاحقاف ، وهاج البراكين وما ترتب عليه من تدمير شامل لمدينة كانت مزدهرة .
ولقد ورد في القرآن الكريم أن قبائل عاد وثمود بادت بصاعقة دمرت كل شيء .
وأن الله أرسل عليهم ريحاً صرصراً عاتية أتت على كل شيء ، وفي عاد وثمود
يقول الله تعالى : « فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق ، وقالوا من أشد
مناقوة ، أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ، وكانوا بآياتنا
يصدون . فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في
الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أخرى وهم لا ينصرون . وأما ثمود فهديناهم
فاستجبوا للمعنى على الهدى ، فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون » (١) .
وقال تعالى : « وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ، ما تذر من شيء أنت عليه
إلا جعلته كارهيم ، وفي ثمود إذ قيل لهم غمضوا حتى حين . فماتوا عن أمر ربهم
فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون . فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين » (٢) ،
وقال تعالى : « وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ، كأن لم
يغنوا فيها ، ألا إن ثمود كفروا ببرهم إلا بعداً ثمود » (٣) . ولستدل من هذه الآيات
القرآنية على أن قوم ثمود وعاد هلكوا على أثر ريح عاتية أو على أثر تفجر
بركان صحبه رجفة عنيفة . ويذهب المؤرخون العرب إلى القول بأن مساكن
عاد كانت تقوم في الاحقاف من اليمن ، بين اليمن وعمان إلى حضرموت والشحر ،
استناداً إلى قوله تعالى : « واذكر أبا عاد إذ أنذر قومه بالاحقاف » (٤) . ولكن
القرآن الكريم لم يحدد موضع الاحقاف من بلاد العرب ، وإنما حددته المفسرون ،

(١) القرآن الكريم ، سورة فصلت ٤١ آية ١٥ — ١٧

(٢) القرآن الكريم ، سورة القاريات ٥١ آية ٤١ — ٤٥

(٣) القرآن الكريم ، سورة هود ، ١١ آية ٦٧ — ٦٨

(٤) القرآن الكريم ، سورة الاحقاف ٤٦ آية ٢١

ولما كانت لفظة الأحقاف تعني الرمال ، فقد اندفع معظم الأخباريين يلبتمسون مواضع عاد في الصحراء ، وأخذوا ينسجون حولهم القصص والأساطير ، غير أن بطليموس الجغرافي يذكر أن شعب Oaditae أو عاد كان يسكن في المناطق الشمالية الغربية من شبه جزيرة العرب ، وفي منطقة حسمى بالذات ، على مقربة من منازل ثمود « Thamydeni » . وما يؤكد صحة ما ذكره بطليموس أن عاد اقترن ذكرهما في القرآن الكريم بشمود ، الذين جاؤا بالصخر بالواد (١) ، والمقصود بالواد وادي القرى ، وهو أحد الأودية التي تتخلل سلسلة جبال حسمى ، ومن بينها جبل إرم (٢) ، الذي يعرف اليوم باسم جبل رم (٣) في الأردن ، بما أن منطقة حسمى الجبلية تعتبر أقرب إلى مواضع مساكن ثمود من مناطق الأحقاف الرملية التي حدد المنسرون موقعها بين اليمن وساحل عمان ، ونضيف إلى هذه القرائن ما رواه البكري في معجمه إذ يذكر أن الأحقاف التي كانت منازل عاد جبل بالشام أو هي خشاف من حسمى ، والخشاف الحجارة في الموضع السهل واسم الأحقاف « حفاف » نجده اليوم في المنطقة الجنوبية الغربية من مدين (٤) .

كذلك لم يحدد القرآن الكريم منازل ثمود تحديدا دقيقا ، ولكن ورد فيه ما يشير إلى أنهم نحتوا بيوتهم في الصخر بالراوى ، و ثمود الذين جاؤا بالصخر

(١) القرآن الكريم ، سورة الفجر ٢٨٩ آية ٩

(٢) باقوت ، معجم البلدان ، المجلد الأول ، طبعة بيروت ١٩٥٥ ، ص ١٤٤

(٣) الويس موسيل ، شمال الحجاز ، ترجمة الدكتور عبد الحسن الحسين ، الاسكندرية

١٩٥٢ ص ١٣٠ - جواد علي ، ج ١ ، ص ١٢٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ . وجبل رم يقع على

بعد ٢٥ ميلا شرق العقبة غربا من عين ماء ، وقد عثر في هذا الموضع على آثار من العصر

الجاهلي (جواد علي ، ج ١ ص ٢٣٥) .

(٤) موسيل ، شمال الحجاز ص ١٢٢ .

بالرّاد ، ، وقد فسرت الآية بأن قوم ثمود تقروا بيوتهم في صخور الجبال في وادى القرى . ويذكر المسعودى أن منازلهم كانت تقع بين الشام والحجاز إلى ساحل البحر الحبيشى ، وأن ديارهم بفتح الناقة ، ويوتهم كانت فانزال في عصره منحوتة في الجبال ، ورسومهم باقية وآثارهم بادية في طريق الحاج لمن قدم من الشام بالقرب من وادى القرى (١) ، ويؤكد ابن خلدون أن ديارهم بالحجر ووادى القرى فيما بين الحجاز والشام . وأن الرسول مر على خرائب ديارهم في غزوته لتبوك ، ونهى عن دخولها (٢) ، كذلك ورد اسم ثمود في كتب اليونان ، وحددها بليوس فياين مدينتي دومة الجندل Domata ومدينة الحجر Haegra ، كما حددها بطليموس بالقرب من ديار عاد في أعلى الحجاز (٣) . ومن المعروف أن الحجر كانت من المحطات التجارية الهامة في الطريق التجارى بين اليمن والشام ومصر والعراق (٤) . وقد تمكن العلماء في العصر الحديث من الكشف عن عدد من النقوش النودية في أرض تبوك ومذائق صالح وتيها ، وفي جبل رم ، وفي الطائف (٥) . ويعتقد كوسان دى برسفال أن هناك ثمة تماثيل تماثيل بين النوديين الذين انحسروا بيوتهم في الجبال وصاحبهم قنار الأحمر الذى تسبب في مكبتهم حتى قيل (أشام من أحمر ثمود أو أشام من عافر الناقة) وبين الحوريين أو سكان

(١) للمسعودى ، مروج الذهب ، طبعة بحى الدين عبد الحميد ، ج ٢ ، ص ٤٢ . وفي موضع

أكثر يشير إلى أنهم كانوا يتركون الحجر بين الشام والحجاز (ج ١ ، ص ٤٢) .

(٢) ابن خلدون ، كتاب البر ، مجلد ٢ ، ص ٤١ (طبعة بيروت ١٩٦٥) .

(٣) جواد علي ، ج ١ ، ص ٢٤٨ .

(٤) توسل ، شمال الحجاز ، ص ١٣١ — جواد علي ، ج ١ ، ص ٢٤٨ وما يليها .

(٥) جواد علي ، ج ١ ، ص ٢٥٠ .

الكهوف في بلاد سعيير وزعيمهم كندر لعومر الواردة أخبارهم في تنوير (١) .
ويعتقد برسفال أن التهوديين هم الحوريون سكان بلاد سعيير حتى برقة عارل .
وبعلل خلط الاخباريين بينهم بأن التهوديين كانوا يسكنون في مناطق مجاورة
للحوريين (٢) .

وسيل العرم الذي ورد ذكره في القرآن الكريم يقصد به السيل الذي أدى
إلى انبهار سد مأرب الشهير ، أم سدود اليمن في عصر الدولتين السبئية والحميرية
الاولى ، وإلى هذا السد يرجع الفضل الأعظم في تحويل مأرب ، ساطرة السبئيين
إلى جنة يانعة ، وإلى تعريف بلاد اليمن ببلاد العرب السعيدة (٣) ، وبالبقعة
الخضراء والأرض الخضراء ، والخضراء لكثرة مزارعها وأشجارها وثمارها (٤) ،
بل إننا نعتقد أن بلاد اليمن التي ورد اسمها في النصوص الجنوبية باسم يمان
ويعنت ومعناها الخير واليمن (٥) . وما زالت آثار السد وآثار الجنتين الواقعتين
على يمينه وعلى يساره ظاهرة حتى اليوم ، تؤكد صحة ما جاء في القرآن الكريم :
« لقد كان لسبأ في مسكنهم آية . جنتان عن يمين وشمال » (٦) .

أما في عصر النبوة فتتجلى أهمية القرآن الكريم التاريخية ، في أنه يبين

(١) سفر التكوين ، اصحاح ١٤/٤

(٢) Caussin de Perceval, Essai sur l'histoire des Arabes, (٢)
Paris, 1847, t. I, p. 26.

(٣) مرثيا اليونان باسم Arabia Felix .

(٤) الهدداني ، صفه جزيرة العرب ، ص ٩١ .

(٥) البيد عبد العزيز سالم ، تاريخ العرب في الجاهلية ، ص ١٢٧ .

(٦) القرآن الكريم ، سورة سبأ ، آية ١٤ - ١٦ .

تطور الدعوة الإسلامية ، ويشير في مناسبات كثيرة الى الجهود الماضية التي بذلها النبي صلى الله عليه وسلم لنشر الاسلام وتأسيس الدولة الاسلامية ، والعقبات التي صادفت ، لأن كل سورة فيه ترتبط بفترة معينة من حياته .

ومع ذلك فإن عدداً من المستشرقين لا يعتبرون الكتب المقدسة ومن بينها الكريم مصادر تاريخية يعول عليها ، لأن ما جاء فيها لا يتضمن تفاصيل تاريخية ، كما أنها تهدف الى عبرة أخلاقية ، بالإضافة الى أن بعض أخبارها لا يزال غير واضح وينقصه التحديد الزماني والمكاني (١) . وعلى الرغم من ذلك فإن القرآن الكريم يعتبر مصدراً لا يرقى اليه الشك للتأكيد على وقوع بعض أحداث في الجاهلية مثل حادثة أصحاب الأخدود ، وحادثة سيل العرم ، وقصة أصحاب الفيل ، ثم انه مرآة صادقة للحياة الجاهلية ، يصور الحياة الدينية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والعقلية أيضاً أصدق تصوير (٢) .

أما الحديث ، وهو المصدر الثاني للشريعة الاسلامية لأنه يتضمن أحكاماً وقوانين المجتمع الاسلامي المنطور ، فيعتبر أصدق المصادر التاريخية بعد القرآن الكريم ، على الرغم من أن الحديث لم يدون بالعمل الا في أواخر القرن الثاني الهجري . في خلافة عمر بن عبد العزيز لأن الأحاديث كانت تحفظ في صدور الرجال أو تكتب في صحائف متفرقة . والحديث يمثل أقدم الروايات الشفوية التي وصلت الينا عن طريق التنوين وأدقها ، لاعتماده على الاستناد ، ثم أن الأحاديث كانت تعرض لكل ما كان قائماً من نظم الحياة الدينية والفكرية

(١) سيدة كاشف ، مصادر التاريخ الاسلامي ، ص ١٦ ،

(٢) احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، القاهرة ١٩٦٧

والاجتماعية والسياسية والاقتصادية في الدولة العربية الاسلامية ، ومما كثر كثير من هذه الاحاديث موضوعه. افتتحت لتلبية حاجة البدع والازعات التي بعثت عن مقاصد الرسول ، فلا بد للباحث في الاحاديث من الاعتماد على المجموعات ، (الصحيح لكامل الصحيح البخاري (ت ٢٥٧) وصحيح مسلم (ت ٢٦٢) هـ) ، ومن أبي داود (ت ٢٧٥ هـ) وسنن الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) .

ويلى القرآن والحديث في طبقات المصادر التاريخية كتب التفسير التي تتضمن شروحا تفصيلية لما ورد في القرآن الكريم من أخبار مختصرة عن بعض الاحداث في الجاهلية وفي عصر النبوة الاول ، أولا أعلن علينا فهمه من تشبهات واستعارات . وقد نشأ التفسير في عصر النبي صلى الله عليه وسلم أول شارح القرآن الكريم ، ثم تولى صحابه من بعده هذه المهمة ، باعتبارهم الواقفين على أسرارهم ، المهتمين بهدى النبي صلى الله عليه وسلم ، (١) .

ومن أشهر المفسرين من الصحابة عبد الله بن عباس ، وعن الصحابة أخذ التابعون ، وعن التابعين أخذ تابعو التابعين ، فجاءوا أقوال من تقدمهم ، وصنفوا التفاسير (٢) ، ثم اتجه العلماء في تفاسيرهم اتجاهات متباينة ، فكان ما يسمى بالتفسير المأثور (٣) ، ومن أشهر كتب هذا التقسيم التفسير التاريخي المعروف بتفسير الطبري ، ويسمى

(١) صحيح الصالح في مباحث في علوم القرآن ، نفس ٣٣١

(٢) صحيح الصالح ، نفس المرجع ، ص ٣٣٢ ، ٣٣٣

(٣) يعرف أيضا بالتفسير النقل ، لأنهم بدأوا فيه أن طريقة لنقل عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين (راجع عبد المتعم ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية في العصر الرسولي ، ص ١٦٦)

كتابه و جامع البيان في تفسير القرآن، (١) ومنها أيضا تفسير ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤) (٢).

وكان هناك ما يسمى بالتفسير بالراى، ويعتمد المفسر فيه على اللغة ومعاني الألفاظ ولذلك عرف أيضا بتفسير الدراية أو التفسير العقلى، وفيه تعددت المناهج وكثر الاختلاف. وأشهر التفاسير بالراى تفسير الزمخشري (ت ٥٢٨) ويعرف بالتفسير القوى، وتفسير غفر الدين الرازى (٤) (ت ٦٠٦ هـ) وهو تفسير عقلى، حتى فيه يبحث الكونيات، ويقسم الآيات التى يتولى تفسيرها إلى عدد من المسائل، يقوم بتأويلها مدافعا عن عقيدة أهل السنة والجماعة (٥)، ومنها تفسير البيضاوى (ت ٦٨٥ هـ) المسمى «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» (٦)، وفيه يبنى بآيات الأدلة على أصول أهل السنة. ومنها تفسير أبى السمود، وتفسير النسفى، وتفسير الحازن.

(١) طبعة بولاق فى ٣٠ جزءا، القاهرة ١٣٢١ هـ

(٢) طبعة مصر، فى ٤ أجزاء، القاهرة، ١٣٥٦ هـ

(٣) عنوانه: «حقائق غوامض التنزيل وعيون الأناويل»، طبعة مصر فى جزأين،

١٣٠٧ هـ

(٤) عنوانه: «مفاتيح التيب» أو التفسير الكبير، طبعة القاهرة فى ٨ أجزاء، ١٣٠٨ هـ

(٥) مبحثى الصالح، المرجع السابق ص ٣٣٦ - عمر فروخ تاريخ الجاهلية ص ١٧

(٦) طبعة بولاق، ١٢٨٢، ١٢٨٣ فى جزأين

(٢)

كتب الطبقات والأُنساب^(١)

يُصَدِّ بكتب الطبقات الكتب التي عالج مؤلفوها سير طائفة معينة من الفقهاء أو القضاة أو الصحابة ، أو الأدباء والشعراء والأطباء وغيرهم ، جيلا بعد جيل ، وطبقة بعد طبقة . أما كتب الأُنساب فتجمع تراجم وسير أشراف العرب حسب أُنسابهم ، فهي دراسة لتاريخ الأرسطراطية العربية على حسب أُنسابها (٢) . ودراسة الأُنساب لها أهميتها الخاصة للدراسة التاريخية كما سبق أن تحدثنا عن ذلك ، وكان الاهتمام السياسي بالقرشيين ، والطائفي بآل علي ، والاهتمام القديم بالقبائل العربية ، واعزاز الحكام والأشراف بأحسابهم وأُنسابهم عندما قامت الخصومات القبلية ، ونشأت الشعوبية ، في أواخر العصر الأموي ، كان كل ذلك من العوامل التي ساعدت على الكتابة في الأُنساب (٣) .

ومن أشهر كتاب الأُنساب محمد بن السائب الكلبي وابنه أبو المنذر هشام ، والزيبر بن بكار ، وأبو عبيدة عمر بن الحثي ، وأبو اليقظان النساب . وعلى بن محمد المدائني ، وقد كتب كل من مصعب بن عبد الله الزيري ، وعلى بن محمد المدائني ، والزيبر بن بكار والنجي وابن عبده كتابا عن أُنساب قریش ، وصلنا منها كتاب نسب قریش لمصعب وبعض ما كتبه الزبير بن بكار . وينسب إلى البلاذري كتاب

(١) فيما يختص بكتب السيرة والمنازى والفروع باعتبارها مصادر عامة للتأريخ الاسلامي ، أرجع إلى الفصل الذي أوردناه لما في صفحات ٥٣ - ٧٠ من هذا الكتاب .

(٢) راجع ما سبق ص ٧١

(٣) دوزتاله ، ص ١٤٠

« أنساب الأشراف » . وهو كتاب كبير بحث فيه تاريخ أشراف العرب في الجاهلية والاسلام حتى عصره ، وقد وصلت اليها نسخة كاملة من أنساب الأشراف مخطوطة في اسطنبول ، وقام الأستاذ محمد حميد الله بنشر الجزء الأول منه في سلسلة ذخائر العرب (عدد ٢٧) . ويبدأ البلاذري فيه بذكر نسب نوح عليه السلام ، ثم يصل إلى عدنان ، ويتدرج بعد ذلك نزولاً إلى ذكر أخبار الرسول وسيرته حتى وفاته ، ثم ينتقل إلى الحديث عن أبي طالب وأولاده ، ويخص بالحديث علي بن أبي طالب . فيذكر وقائعه وحروبه ، ويروي سير ولاده ، ثم يتحدث عن أبي العباس السفاح وأبي جعفر والخلفاء من بني العباس حتى هارون الرشيد ، ويعود مرة ثانية لاستكمال رواية أنساب القرشيين ، أمثال بني نوفل وبنى أمية وبنى زهرة وبنى تيم بن مرة ، وبنى هاشم بن كعب ، وينتهي من نسب قريش في المجلد الرابع ، ثم يتبع نسب بني كنانة بن خزيمة بن مدركة وينتهي منه في المجلد ١٢ ، ويبدأ بعد ذلك بتتبع نسب قيس ولد إلياس بن نصر حتى يصل إلى ثقيف ، ويبدو أنه توفي قبل أن ينتهي من بقية قبائل قيس (١) .

ولكن الكتابة في الأنساب على النحو الذي أداه البلاذري لم تعد بعد ذلك أداة ملائمة لكتابة تاريخ المدنية الاسلامية المعقدة ، فلم تلبث ان تركت المجال لغيرها من الكتابات في مناحي متعددة من الحياة ، ووجدت الكتابة في الأنساب لها مجالاً خصياً في أرض الاندلس لغلبة الصفة الاندلسية في هذا القطر الاسلامي المنحرف ، بالإضافة الى اصطدام العنصرية العربية هناك بعنصريات بربرية وصقلية ، اتاحت الفرصة لظهور طوائف متعددة . واشتال جذوة المنافسات العنصرية بين العرب وبين البربر والعقالبة . ونتج عن ذلك اهتمام الكتاب

بالكتابة في أنساب العرب ، وأهم كتب الأنساب في الاندلس : كتاب الأندلس
 محمد الرازي عن « أنساب مشاهير أهل الاندلس » في خمسة أسفار متعدي
 وكتاب لابن عبد البر بعنوان « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » ، وكتاب لابن
 حزم القرطبي بعنوان « جمهرة أنساب العرب » . كذلك ظهرت كتب في أنساب البربر
 بجماعة لأنساب العرب ، منها كتاب عن مفاخر البربر لمؤرخ مجهول ، نشر الأستاذ
 ليفي بروفسال نبذة تاريخية منها (١) ، ومنها كتاب عن العشائر وأصحاب المهدى
 ابن تومرت بعنوان : « كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب » (٢) .

ثم كثرت غاية كتاب الطبقات في المشرق والمغرب بوضع معاجم لطوائف
 الرجال وفروع العلوم وذلك عندما اتسعت آفاق المعارف وأصبحت هناك
 ضرورة إلى وضعها ، وتعتبر هذه المعاجم من المصادر الهامة للتاريخ الاسلامي ،
 إذ هي تزود الباحث في التاريخ بمادة تاريخية قيمة .

ومن بين كتب الطبقات والتراجم الخاصة بالفقهاء والصحاب والمفتاة والصوفية ،
 والأدياء والأعيان والعلماء والشعراء والأطباء والنحويين المصنفات الآتية :

- ١ - ابن الأثير (علي بن احمد) ت ٦٣٠ : أسد الغابة في معرفة الصحابة ،
 ٦ أجزاء طبعة القاهرة ١٢٨٠ هـ - ١٢٨٦ ، وهو تراجم لصحابة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ - ابن القزويني (أبو الوليد عبد الله بن محمد) ت ٤٩٣ : تاريخ علماء

(١) طبع الرباط ١٩٣٤

(٢) Lévi - Provençal, Documents inédits d'histoire almohade, (٢)
 Paris, 1928

الاندلس ، مدريد ١٨٩٢ ، في مجلدين (المجلدان السابع والثامن من
المكتبة العربية الاسبانية ، تحقيق كوديرا) ويعتبر هذا الكتاب
أقدم معجم وصل إلينا عن علماء الأندلس .

٢ — الحسنى (محمد بن حارث) ت ٣٦١ هـ : تاريخ فضاء قرطبة ، تحقيق
رييرا ، مدريد ١٩١٤ .

٤ — النباهى (أبو الحسن بن عبد الله) : تاريخ فضاء الأندلس المسمى
بكتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، نشره الأستاذ ليني
بروفنسال ، القاهرة ١٩٤٩ .

٥ — ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن أحمد) ت ٥٧٨ : كتاب الصلة في
تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم وعحدثهم وفقهائهم وأدبائهم ، تحقيق
كوديرا ، مدريد ١٨٨٢ .

٦ — ابن الزبير (أبو جعفر أحمد) ت ٧٠٨ : كتاب صلة الصلة في تراجم
أعلام الأندلس ، نشره الأستاذ ليني بروفنسال ، باريس ١٩٣٨ .

٧ — ابن الأبار (أبو عبد الله محمد القضاعى) ت ٦٥٨ : كتاب التكملة
لكتاب الصلة ، في جزأين (المجلدان ٥ ، ٦ من المكتبة العربية الاسبانية) ،
تحقيق كوديرا ، مدريد ١٨٨٧ — ١٨٨٩ .

٨ — : المعجم في أصحاب الامام أبي علي الصدفى ، المجلد ٤ من المكتبة
العربية الاسبانية ، تحقيق كوديرا ، مدريد ١٨٨٥ .

٩ — : الحلة السيرة ، جزآن ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣

١٠ — الخيدى (أبو عبد الله محمد بن فتوح) ت ٤٨٧ : جذوة المختبى في

تاريخ رجال الأندلس ، تحقيق الأستاذ محمد بن تاوريت الطنجي ، القاهرة

١٣٧١ هـ (١٩٥٢) .

١١ - الضبي (أبو جعفر أحمد بن يحيى) ت ٥٩٩ : بنية الملتبس في تاريخ

رجال الأندلس ، نشره كوديرا ودييرا ، مدريد ، ١٨٨٥

١٢ - ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد) ت ٦٨١ : وفيات

الآعيان وأبناء أبناء الزمان ، تحقيق الأستاذ محمد يحيى الدين عبد

المجيد ، في ستة أجزاء ، القاهرة ١٩٤٨ - ١٩٤٩ .

١٣ - الكتي (محمد بن شاكر بن أحمد الحلبي) ت ٧٦٤ : فوات الوفيات ،

جزأين ، القاهرة ١٩٥١ .

١٤ - الثرغاني (عبد الوهاب) : لوائح الأبرار في طبقات السادة الأخيار ،

في جزأين ، القاهرة ١٨٨١ .

١٥ - : الطبقات الكبرى ، القاهرة ، ١٣٤٣ هـ .

١٦ - السلي (أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين) ٤١٢ : طبقات الصوفية .

١٧ - السبكي (تاج الدين عبد الوهاب) : ت ٧٧١ هـ : طبقات الشافعية

الكبرى ، ٦ أجزاء القاهرة ١٣٢٤ هـ

١٨ - ابن القفطي (جمال الدين علي بن يوسف) ت ٦٤٦ : إخبار الدلاء بأخبار

الحكام ، القاهرة ١٣٢٦ .

١٩ - ابن أبي أصيبعة (أبو العباس أحمد بن القاسم) ت ٦٦٧ : عيون

الأنباء في طبقات الأطباء ، جزآن : القاهرة ١٣٩٩ ، ١٣٠٠ هـ .

٢٠ - ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين احمد بن علي) ت ٨٥٣ : الدرر
الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ٤ أجزاء ، حيدر أباد ، الهند ،

١٣٥٠ هـ .

٢١ - الشوكاني (محمد بن علي) ت ١٢٥٠ هـ : الدرر الطالع بمحاسن من بعد
القرن السابع ، القاهرة ١٢٤٨ هـ .

٢٢ - السخاوي (شمس الدين محمد) ت ٩٠٢ هـ : الضوء اللامع في أعيان
القرن التاسع ، القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٣٦ .

(٢)

كتب الجغرافية

اهتم العرب بالجغرافية اهتماما خاصا منذ أقدم المصور ، لارتباطها بحياتهم ، كان عليهم أن يعلموا شيئا عن النجوم الثابتة ، ومسير الكواكب المتحركة ، ومتابعة تغيرات المناخ (١) ، ومصادر هبوب الرياح ، وأوصافها ، كما كانوا يهتمون بالسحب وأنواعها لمعرفة نزول الغيث الذي يعتمدون عليه في السقيا والمزعى (٢) . وبدأت حركة التأليف في الجغرافية في نفس الوقت الذي بدأت فيه الكتابة التاريخية . فكان أول من كتب في التاريخ العرب هم أنفسهم الذين كتبوا في الجغرافية العربية ، ذلك أن التاريخ والجغرافية كانا في نظر العرب فرعين متلازمين من شجرة المعارف العامة التي كانوا يطلقون عليها اسم « الأدب » بوجه عام (٣) ، ومثل ذلك أن هشام بن محمد الكلبي الذي ألف في جملة ما ألفه من الكتب التاريخية كتابا في البلدان وفي قسمة الأرضين ، وفي الأنهار ، وفي الإقليم ، وفي عجائب البحر ، وكذلك ألف أبو سعيد عبد الملك بن قريش الأصمعي (ت ٢١٧ هـ) كتابا في النبات والشجر ، وفي الأخية والبيوت ، وفي الأنواء ، وفي وصف جزيرة العرب ، وفي مياه الأرض ، كما ألف أبو حنيفة الدينوري كتابا عنوانه « البلدان » . وذكر ياقوت في معجم الأدباء لنظر بن شميل ابن مالك التميمي (ت ٢٠٤) كتاب الأنواء وكتاب النسي نوالقمر ، إلا أن معظم ما كتبه هؤلاء كان قاصرا على الجزيرة العربية والبادية .

(١) فليس أحد من جهود المسلمين في الجغرافية ، ترجمة الأستاذ فخري عثمان ، مجموعة

الألف كتاب ، عدد ٢٧٢ ، من ٢٥٠

(٢) الألباني ، بلوغ الأرب ، ج ٣ ، ص ٣٥٨ .

(٣) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون في الأندلس ، ص ١٩٩ ، ٢٠٠ .

أما في المغرب والأندلس ، فقد نشطت حركة الكتابة الجغرافية في عصر مبكر ، متصلة مع الحركة التاريخية ، فكتب عن الأندلس والمغرب أحمد بن محمد الرازي ، وابن النظام ، والبكري ، وابن سعيد .

وزاد اهتمام العرب ، منذ أن اتسعت رقعة الدولة العربية في العصر العباسي بالفتوحات الجديدة ، خاصة فيما وراء النهر والسند . والتركستان ، بوصف الأقاليم الإسلامية زمنها ، وذكر مسالكها والطرق المؤدية إليها وحاصلاتها ، ومناخها ، ويعزونها هذا الاهتمام بالمتناسة الواضحة بين الأقاليم المختلفة حيث توزعت مراکز الثقافة من الأندلس حتى تقوم الصين ، وعاون على ذلك انتشار الإسلام واللغة العربية عقب الفتوحات ، وأدى ذلك إلى نمو الثقافة العامة . هذا إلى الاهتمام بتقدير ثروات هذه البلاد ، لمعرفة قدرتها على دفع الجزية والحراج ، فظهرت لذلك الجغرافية الإدارية أو السياسية . ويشتمل هذا النوع من الكتب الجغرافية في كتاب المسالك والممالك لابن خردادبة الفارسي (ت ٣٠٠ هـ) ، وفي كتاب الحراج وضعه الكتابة لقداحة بن جعفر (ت ٣٢٠ هـ) (١) .

وزادت عناية العرب والمسلمين في أوائل القرن الرابع الهجري بعلم تقوم البلدان ، وذلك لكثرة الاسفار والرحلات التي كان يقوم بها التجار وأهل العلم والرحالة والحجاج من شائر أنحاء الدولة العربية الإسلامية . بقصد التجارة ، أو لطبيب العلم ، أو لخدمة الرغبة في المظاهرة والمعاينة ، أو حباً للمغامرة ، أو للحج إلى مكة . فتكثر المصنفات الجغرافية التي تحررت من القيود السابقة ، وأصبحت الرغبة في المعرفة هي أساس الكتابة الجغرافية .

وكانت الكتب الجغرافية العربية إما كتباً في الجغرافية الوصفية ، أو كتباً في

(١) المكتبة الجغرافية العربية ، الجزء السادس ، تحقيق دة غويد ، لندن ١٩٨٩ .

التفسير الجغرافى ، أو كتباً خاصة بعلم الخرائط ، أو كتباً فى الجغرافية التاريخية ،
الرياضية . ولقد تأثر الجغرافيون المسلمون قبل القرن الرابع الهجرى بجغرافة
اليونان عندما بدأوا ينقلون كتبها الى العربية ، وهم فى ذلك لاميذ الاغريق ،
واتخذوا من كتابى بطليموس القلوزى وهما : جغرافية بطليموس ، والمابسة على
الترجمان الى العربية (١) مثالا احتذوه فى كتاباتهم الجغرافية ، وعلى هذا الأساس
يمكننا أن نسمى هذه المجموع الأولى من الكتب الجغرافية بمدرسة الجغرافية اليونانية
العربية (٢) أو مدرسة الجغرافية العربية المتأثرة بجغرافية اليونان ، ويمثل هذه المدرسة
جمهور كبير من الجغرافيين العرب نذكر منهم :

١ - ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبيد الله ، ت. ٨٢٠) فى المسالك
والممالك . كان ابن خرداذبة من أصل فارسى ، اشتغل عاملاً على البريد فى إقليم
الجبال بفارس ، وقد أفاد من وظيفته فى الحصول على قدر كبير من المعلومات
عن الاقاليم البعيدة ، ولذلك فقد ضمن كتابه كثيراً من المعلومات والبيانات الواقية
عن خراج البلاد وطرقها والمسافات بينها . وقد أفاد ابن خرداذبة ، وابن المقفع

(١) قام بترجمة البصلى أو المابسة الحاج بن يوسف بن مطر الحاسب ، وقيل لى
رواية أخرى أن سهل بن ريان الطبري (ت ٢٤٦) هو الذى قام بترجمته ، وراجعه
الحجاج ، ثم تحول مراجعته بعد ذلك لحنين بن اسحاق (ت ٢٦٠ هـ) ثم ثابت بن قرة (ت ٢٨٩)
، ومن بعدهما محمد بن جابر بن سفيان التياجر (ت ٣١٧ هـ) راجع : أولبرى ،
مسالك الثقافة الاغريقية الى العربية ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨)

ويعتبر كتاب البصلى ذخيرة يابنة اليونان من جهودى علم الجغرافية ، ويضمن
ملخصاً لكل ما كتب فيما يختص بحجم الارض ، وكرويتها ، واختلاف مروض البلدان
وأوقات ترول الشمس فى تقلى الاعمال وتقلب الاقطاب ... الخ

(٢) نقولاً زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، بيروت ١٩٦٢ ، ص ١٧ ومايلها

الهمداني ، والمقدسي من كتاب ابن خردادبة .

٢ — المروزي (جعفر بن أحمد ، ت ٢٧٤) في كتابه المسالك والممالك ، ذكره ابن النديم في الفهرست .

٣ — السرخسي (أحمد بن محمد بن الطيب ، ت ٢٨٦) في كتابه المسالك والممالك ، وفي رسالة في البحار والمياه والجبال ، والسرخسي كان تلميذاً للكندي .

٤ — الخوارزمي (محمد بن موسى ، ت في منتصف القرن الثالث) في كتابه ... صورة الأرض . . وقد أرفق المؤلف بكتابه خريطة كانت فيما يبدو تعريفاً لخريطة بطليموس ، ويعتبر الخوارزمي لذلك أول صانعي الخرائط لمن المسلمين .

٥ — اليحوي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح ، ت ٢٨٤) في كتابه البلدان . . هو من أشهر الجغرافيين والرحالة العرب ، وكتابه المذكور من الكتب الهامة في الجغرافية الإقليمية الوصفية لأنه يتضمن معلومات هامة عن البلاد التي زارها ، وقد اهتم اليحوي في هذا الكتاب بتعداد وسائر ، فوصفها وصفاً تفصيلياً في بداية كتابه ، ثم وصف إيران وطوران ، ووصف جزيرة العرب الوسطى والجنوبية ، والشام ، ومصر ، والثوبة ، والمغرب . ولم يكن اليحوي رجلاً جغرافياً خصباً ، فقد كان إلى جانب جه الجغرافية حريصاً على تدوين ملاحظاته عن المجتمعات التي تعرف إليها ، وتواريخ الأسرات الحاكمة .

٦ — الكندي (أبو يوسف يعقوب ، ت ٢٦٠) : ألف كتاباً في الجغرافية عنوانه . . رسم المعبور من الأرض ، وهو اقتباس من كتاب بطليموس (١) ، كما ألف كتاباً في : أبعاد مسافات الأقاليم . .

٧ — ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر، ت في أوائل القرن الرابع الهجري) في كتابه، الأعلاق النفيسة، وهو كتاب ضخيم يتكون من خمسة مجلدات. صدر منه جزء في المكتبة الجغرافية العربية^(١)، والآخر اليوناني يمثل في ندرته في الكتابة إلى ناحية الملك وامتداد الأرض والبحار والأنهار، وتقسيم الأرض وعلاقتها بالفضاء. ومع ذلك فإن تفسيره العلمي لكروية الأرض بعيد عن أي أثر للتفسير اليوناني^(٢).

٨ — ابن العقب الهمداني (ت في أواخر القرن الثالث الهجري) في كتابه، مختصر كتاب البلدان، وصف فيه الهمداني الأرض والبحار في الهند والصين وبلاد العرب، وأفاض في وصف البصرة والكوفة، وقد نقل عنه كل من المسعودي وياقوت.

٩ — ابن فضلان (أحمد بن عباس بن رشيد بن حماد، ت في النصف الأول من القرن الرابع). أوفده الخليفة المتتدر بالله العباسي في سفارة إلى ملك البلغار بالقولجا في صفر سنة ٨٣٩ هـ، وقد أتيح له أن يسجل رحلته في كتاب استفاد منه ياقوت والاصطخري والمسعودي^(٣).

١٠ — القزويني (زكريا بن محمد، ت ٦٨٢) : ألف كتابين أحدهما عن نظام الكون، يتضمن معلومات جغرافية هامة في وصف المعالم البارزة من جزر وجبال وبحار وأنهار يسمى «عجائب المخلوقات»^(٤)، والثاني عن الجغرافية وتقسيم

(١) للمكتبة الجغرافية العربية، الجزء السابع، تحقيق دى غويه، ليدن ١٨٩٢

(٢) حين مؤسس، المراجع السابق، ص ٢٠٦

(٣) زكى محمد حسن، الرحلة الملون في الصور الوسطى، القاهرة، ١٩٤٥

ص ٢٧، ٢٨ — نقولا زيادة، المراجع السابق، ص ٤٦

(٤) القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، جوتنجن، ١٨٤٩

البلدان ، بعنوان « آثار البلاد وأخبار العباد » (١) . وصف فيه أقاليم الأرض وفقاً للتقسيم البطليموسى للأقاليم ، واعتمد فى القسم الخاص بالآندلس على الفرناطى والعذرى ، وفى القسم الاوروبى الخاص بمدن أوربا على إبراهيم الطرطوشى (ت ٤٧٧) وأبى الربيع سليمان الملتانى الرحالة (٢) .

١١ - قدامة بن جعفر (أبو الفرج ، ت ٣٢٠ هـ) فى كتابه الخراج وصنعة الكتابة . وقد تحدث فيه عن أقسام العالم الاسلامى وعن الجباية وطرق البريد .

١٢ - الرازى : (احمد بن محمد : ت ٣٤٤) مقدمة كتاب أخبار الآندلس ، وقد استعرض فيها الرازى مسالك الآندلس ، وهراسيها وأمهاة مدنها وأجنادها وخواص كل بلد منها ، وقد تأثر الرازى فى هذه المقدمة بجغرافية هيروشش (٣) .

* * *

وبلى هذه المدرسة العربية المتأثرة بجغرافية اليونان مدرسة عربية خالصة تمثل دور التوضيح فى الجغرافية عند العرب فى القرن الرابع الهجرى وما تلا ذلك . ونلاحظ فى نتاج هذه المدرسة أربعة اتجاهات :

أ - الاهتمام الشديد بوصف أقطار العالم الاسلامى أو البلدان أو الممالك .

ب - التخصص فى قطر واحد .

(١) القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ، جوتجن ، ١٨٤٨

(٢) زكى محمد حسن ، الرحالة المسلمون ، ص ١٣١

(٣) طالع الفصل التالى الخامس بالجغرافية فى الآندلس

ج — الميل إلى وضع معاجم جغرافية .

د — كتابة الموسوعات الكبرى (١) .

ويمثل هذا الاتجاه في وصف أقطار العالم الاسلامي ، وهو الميل إلى الكتابة في المسالك أو البلدان أو الأقاليم أو وصف الأرض ، وقوامه المشاهدة والمقارنة والتحقيق ، البلخي والإصطخري وابن حوقل والمقدسي والادريسي .

١ — البلخي (أبو زيد أحمد بن سهل ، ت ٣٢٢ هـ) : أصله من بلخ ، ويمتاز عن غيره من الجغرافيين السابقين عليه بأنه لم يتأثر بالجغرافية اليونانية ، بل هو أول من استقل عن بطليموس من جغرافيين المسلمين . فقد ذكر المقدسي أنه قسم الأرض إلى ٢٠ قسما ، في حين قسمها بطليموس إلى سبعة أقاليم ، وفي هذا انفصال واضح عن التقسيم البطليموسي (٢) .

وقد ألف البلخي كتاب الأشكال ، أو صورة الأقاليم ، الذي يتضمن مجموعة من الخرائط مع شروحاتها ، كما ألف كتاب المسالك والممالك الذي لم يصل إلينا . ويعتبر البلخي من رواد المسلمين في صناعة الخرائط .

٢ — الإصطخري (أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي ، ت في القرن الرابع) في كتاب المسالك والممالك الذي اعتمد فيه على كتاب المسالك والممالك للبلخي ، وقد زود الإصطخري كتابه بعدد من الخرائط ، على نفس النظام الذي اتبعه البلخي في كتابه السالف الذكر ، وذلك توضيحا لما أورده في كتاب من وصف للأقاليم (٣) .

٢ — ابن حوقل (أبو القاسم محمد ، ت ٣٨٠ هـ) في كتابه المسالك والممالك والمقارن والممالك أو صورة الأرض ، هذا فيه حذو الإصطخري . وكتابه

(١) قولاً زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، ص ١٢ ، ١٣

(٢) المقدسي ، ص ٤ — قولاً زيادة ص ٣٢

(٣) ذكرى محمد حسن ، المرجع السابق ص ٣٦

يلخص رحلته الطويلة التي بدأها في سنة ٢٣١ هـ من بغداد طلباً لدراسة الجبال والبلدان ، ورغبة في الارتفاق عن طريق التجارة ، وانتهى منها بعد ما يقرب من ثلاثين عاماً زار خلالها ديار الإسلام من الشرق إلى الغرب ، كما زار أثناءها مناطق أخرى من أوروبا مثل بلاد البلقان (١) . واتصل في إفريقية بالفاطميين ، واصطنعوه لهم عينا يعمل لحسابهم ضد الأمويين في الأندلس ، إذ كانوا يتطلعون إلى غزو الأندلس ، والقضاء على دولة بني أمية فيها (٢) . وقد رحل ابن حوقل إلى الأندلس وطاف بمدنها وكتب في مقدمة دراسته للأندلس في كتابه تقريراً عنها ، جاء فيه : « ومن أعجب أحوال هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يده ، مع صغر أحلام أهلها ، وضعة نفوسهم ، ونقص عقولهم ، وبعدم من اليأس والشجاعة والفروسية والبسالة ، ولقاء الرجال ، ومراس الانجاد والأبطال وعلم موالينا عليهم السلام بحملها في نفسها ، ومقدار جباياتها ومواقع نعمها ولذاتها » (٣) . ثم ينتقد جيوش الأندلس فيقول : « وليس لجيوشهم حلاوة في العين لسقوطهم عن أسباب الفروسية وقوايتها ، وإن شجعت أنفسهم ، ورموا بالقتال فإن أكثر حروبهم تنصرف على الكيد والحيلة ، وما رأيت ولا رأى غيري بها إنساناً قط جرى على فرس فاره أو يوذون هجين ورجلاه في الركابين ، ولا يستطيعون ذلك ، ولا يلقون عن أحد منهم لخوفهم السقوط وبقاء الرجل في الركاب على قولهم . وهم يفرسون

(١) قس المرجع ، ص ٤٠ — قولاً زيادة ، المرجع السابق ص ٣٧ .
(٢) عمود على سكي ، التتبع في الأندلس ، صحيفة معهد الدراسات الأسلامية بمبريد ، المجلد ٣ ، ١٩٥٤ م ص ١١٥ — مختار البداي ، سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، صحيفة المعهد المغربي للدراسات الإسلامية بمبريد ، ١٩٥٧ م ص ٢٠٥ — السيد محمد العزيز بن سالم ، المغرب الكبير ، ج ٢ ص ٦٠٨ .

(٣) ابن حوقل ، صورة الأرض ، طبعة بيروت ، ١٩٤٤ م ، ص ٦٠٥ .

على الأجزاء من الخيل ، وما أطبقت قط جريدة عبد الرحمن بن محمد ولا من بعده من آله وآبائه على خمسة آلاف فارس من يقبض رزقه ويختم عليه ديوانه . لأنه مكفى المؤونة بأهل الثغور من أهل جزيرته ما ينوبه من كيد العدو ومن يجاوره من الروم ، ولاعدو عليه سواهم وقلبا بكثرتهم ١٠٠٠ (١) .

ولمى جانب اعتماد ابن حوقل على الاصطخرى (٦) ، نراه يعتمد أيضا على كتب أخرى للجغرافيين السابقين عليه أمثال ابن خرداذبة وأبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهانى وزير السامانيين .

٤- المقدسى (أبو عبد الله محمد بن أبى بكر ، ت ٣٨٧ هـ) فى كتابه وأحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم . - يعتبر المقدسى من كبار الجغرافيين العرب فى القرن الرابع للهجرة . فإن كتابه المذكور هو خلاصة مشاهدته وعائنه فى رحلاته وأسفاره الطويلة فى ديار الإسلام ، وخدماته للولوك ، ومجالسته للقضاة ، وتحصيله العلم على النقباء والعلماء . وقد اعتمد فيه أيضا على الجغرافيين العرب السابقين عليه أمثال: ابن خرداذبة والجيهانى والبلخى والهمداني والجاسط والهمداني وابن رسته ، الذين انتقدم بقوله ، وكل من سبقنا الى هذا العلم لم يسلك الطريق التى قصدتها ، ولا طلب القوائد التى أردتها ، أما أبو عبد الله الجيهانى ، فإنه كان وزير أمير خراسان ، وكان صاحب فلسفة ومجرب وهيته . فجمع الغريب وسألهم عن الممالك ودخلها وكيف المسالك إليها ، وارتفاع الجبال منها ، وقيام الظل فيها ليتوصل بذلك إلى فتوح البلدان ، ويعرف دخولها ، ويستقيم له علم الهجوم ودوران

(١) قس . ١٠٨ ، ١٠٩

(٢) راجع له ابن حوقل كتابه وخراسانينا على طلبه .

الفلك ، ألا ترى كيف جعل العالم سبعة أقاليم ، وجعل لكل إقليم كوكبا ، مرة يذكر النجوم والهندسة ، وكرة يورد ما ليس للعوام فيه فائدة ، وتارة ينعت أصنام الهند ، وطورا يصف عجائب السند ، وحينا يفصل الخراج والرد ، ورأيت ذكر منازل مبهولة ، ومراحل مهجورة ، ولم يفصل الكور ، ولا ترتيب الأجناد ، ولا وصف المدن ولا استوعب ذكرها . . . وبذلك طال كتابه وغفل عن أكثر طرق الأجناد ووصف المدائن الجياد . وأما أبو زيد البلخي ، فإنه قصد بكتابه الأمثلة وصورة الأرض بعد ما قسمها على عشرين جزءا ، ثم طرح كل مثال واختصر ، ولم يذكر الأسباب المفيدة ولا أوضح الأمور النافعة في التفصيل والترتيب ، وترك كثيرا من أمهات المدن فلم يذكرها . . . وأما ابن الفقيه الهمداني فإنه سلك طريقة أخرى ، ولم يذكر إلا المدائن العظمى ، ولم يرتب الصكور والأجناد ، وأدخل في كتابه ما لا يليق به من العلوم . . . وأما الجاحظ وابن خرداذبة فإن كتابيهما مختصران جدا لا يحصل منهما كثير فائدة . . . (١) .

ويمتاز المقدسي بالدقة في كتابه ، والعناية بتسجيل الأخبار الغريبة ، وقد سجل منهجه في مقدمة كتابه ، فقال : « فرأيت أن أقصد علما قد أغفلوه ، وأتفرد بفن لم يذكره إلا على الإخلال وهو ذكر الأقاليم الإسلامية وما فيها من المفاوز والبحار والبحيرات والأنهار ، ووصف أمصارها المشهورة ، ومدنها المذكورة ، ومنازلها المسلوكة ، وطرقها المستعملة ، وعناصر المقاقير والآلات ، ومعادن الحبل والتجارا ، واختلاف أهل البلدان في كلامهم وأصواتهم وألسنتهم وألوانهم ، ومذاهبهم ومساكنهم وأوزانهم ، وتقويمهم وصروفهم ، وصفة ثيابهم وشرابهم وثمارهم ومياههم ، ومعرفتهم مفاخرهم وعيوبهم ، وما يحل من عتدهم ولأليم ، وذكر

مواضع الاخطار في المفازات ، وعدد المنازل في المسافات وما ثم في حقه
إلا بعد جولاني في البلدان ، ودخولي أقاليم الاسلام ، ولقائي العلماء وخدعتي
لللوك ، ومجالستي القضاة ، ودرسي على الفقهاء . واختلاقي إلى الأدباء والقراء ،
وكتابة الحديث ، ومخالطة الزهاد والمتصوفين ، وحضور مجالس التماسر والمذكرين ،
مع لزوم التجارة في كل بلد ، والمعاشرة مع كل أحد وقد ذكرنا ما رأينا ،
وحكىنا ما سمعناه ، فاصح عندنا بالمعانية وأخبار التواتر أرسلنا به القبول ، وما
شككتنا فيه أو كان من طريق الأحاد أسندناه إلى الذي منه سمعناه ، ولم نذكر
في كتابنا إلا صدرا مشهورا ، أو عالما مذكورا ، أو سلطانا جليلا (١) .

هـ - الشریف الإدريسی (أبو عبد الله محمد ، ت ٥٦٠ هـ) في كتابه وصفة
المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في
اخرق الآفاق .

زار الإدريسي كثيرا من نواحي الاندلس والمغرب ومصر والمغرب وآسيا
الصغرى وصقلية . وفي صقلية اتصل بملكها الترمندى روجار الثاني ، فأعجب بعله ،
وطلب منه روجار أن يؤلف له كتابا عن صورة الأرض ، مؤلفا عن مشاهدة
مباشرة ، غير مستخرج من الكتب ، فلما انتهى من تأليفه ، سماه نزهة المشتاق
أو الكتاب الزجاري (٢) . وقد لقب الإدريسي بإسترايون العرب . ويمتاز لذلك
أعظم جغرافي العرب في العصور الوسطى . وكتابه يزخر بالمعلومات الصحيحة ،

(١) المقدسي ص ١ - ٨

(٢) Pons Bons Poignes, op. cit. p. 231 - جيتاكت بالنيثيا ، ص ٣٢٤ -

نيس أحمد ، ص ٨٢ - حين مؤنس ، من ٢٥٧ - ٢٦٥ (حقيقة معهد الدراسات الإسلامية
في مدريد ، مجلد ٩ ، ١٠ ، مدفد ، ١٩٦٢)

كما أنه يتضمن مادة وافرة عن بلاد إسلامية وأوربية . ويقال أنه صنع للملك روجار أول كرة أرضية في التاريخ ، رسم عليها خريطة بجميع بلاد العالم ، ربما قارنا مشروحا (١) .

ثانياً - الجغرافيون المتخصصون في قطر واحد :

ويمثلهم ثلاثة : الهمداني ، والبكري ، والمهلبى ، والبيرونى .

١ - الهمداني (أبو محمد الحسن بن يعقوب ، ت ٣٣٤) في كتابه وصف جزيرة العرب ، ، وقد تحدث فيه عن بلاد العرب وجبالها ومساكنها ومدنها ولغاتها وآثارها ومعادنها (٢) .

٢ - البكري (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز القرطبي ، ت ٤٨٧ هـ) ، في كتابه المسالك والممالك ، الذى وصلت إلينا قطع كثيرة منه ، ويتضح لنا من دراسة ما وصلنا من هذا الكتاب أن البكري اعتمد في الفصل التمهيدي على كتاب بطليموس : الجغرافية والمجسطى (٣) . وقد وصلتنا قطعة أخرى من المسالك والممالك ، اعتمد عليها البارون دى سلان في نشر كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب . ، وقد استفاد البكري في كتابه هذا من كتاب مسالك إفريقية وممالكها لابن عبد الله محمد بن يوسف الوراق (٢٩١ - ٣٦٢ هـ) (٤) ، ويذهب

(١) سمرود آل الحديث عن التعريف الإفريسى عند دراستنا الجغرافية في المغرب والأندلس .

(٢) راجع ما سبق أن ذكرناه عنه في صفحة ٥١

(٣) حنين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٣٢٩

(٤) جتالت بالتبلي ، ص ٣٠٩

دويزى إلى أن البكرى أكبر جغرافى أنجبته بلاد الأندلس ، وعلى الرغم من
لم يرح قط أرض الأندلس ، وأنه اعتمد فى تصنيفه لكتاب المسالك على مؤلفه
من سبقوه من الجغرافيين ، فإن كتابه المذكور يعتبر من أعظم وأجل ما كُتب
فى جغرافية المغرب ، وقد أظهر البكرى فى تأليفه قدرة على تنظيم المادة وتنسيقها .

٣ — المهلبى (أبو الحسن على بن أحمد ، ت ٢٨٥) ، ألف كتابا فى الجغرافية
عن السودان ، أمدها فى سنة ٢٨٥ هـ الخليفة الفاطمى العزيز بالله . وقد اعتمد
عليه ياقوت بعد ذلك (١) .

٤ — البيرونى (أبو الریحان محمد بن أحمد الخوارزمى ، ت ٤٤٠ هـ) فى
كتابه و تحقيق ما لبثت من مقولة مقولة فى العقل أو مرذولة ، المعروف بكتاب
الهند ، الذى يعتبر من أقيم الكتب الجغرافية عن الهند وتاريخها . وقد اعتمد
فيه البيرونى على مشاهداته فى الهند عند مرافقته للسلطان محمود الغزنوى فى حملاته
على الهند ، وأتيح للبيرونى أثناء ذلك تعلم اللغة السنسكريتية وتحصيل علوم الهندوس ،
وتميز كتابه عن الهند ، الذى عالج فيه موضوعات تتعلق بعضها بعلم طبقات
الأرض ، وبعضها بوصف بلاد الهند وموقعها وطبيعتها والحياة الحيوانية والنباتية
فيها ، يعمق فى الملاحظات التى أبدتها البيرونى كما يمتاز بتأملات نفاذة فى ميدان
الجغرافية الإقليمية (٢) .

والبيرونى الفضل فى العودة بعلم الجغرافيس عند العرب إلى قواعده الأولى
القائمة على المشاهدة والرحلة والتجربة الشخصية (٣) .

(١) فحس أحمد ، ص ٦٣

(٢) نفسه ، ص ٦٩

(٣) حسين مؤنس ، ص ٢٠٣

ثالثا - المعاجم الجغرافية :

ويمثل أصحاب المعاجم التي وضعت في جغرافية المدن : البكري وياقوت .

١ - البكري : في كتابه «معجم ما استعجم» أول ما ألفه البكري في الجغرافية (١) ، وأورد فيه جملة مما ورد في الحديث والأخبار والتواريخ والأشعار ، من المنازل والديار ، والقرى والأحصار ، والجبال والآثار ، والمياه والآبار ، والدارات والحرار ، منسوبة محددة ، ومبوبة على حروف المعجم مقيدة ، (٢) . ويعتبر «معجم ما استعجم» أول معجم جغرافي عربي ، وتأليفه لذلك السبب يعد حدثا في تصنيف الكتب الجغرافية عند العرب (٣) .

٢ - ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحوي الرومي ، ت ٦٢٦) في كتابه معجم البلدان (٤) ، ويتجلى في هذا الكتاب معرفة ياقوت الواسعة بالعالم ، وعجيبته من خلال تجارته وأسفاره في أنحاء العالم الإسلامي ، فلقد زار مصر والشام والعراق وفارس وبلاد العرب وبلاد ما وراء النهر . ومع ذلك فياقوت يعتمد في معجمه على النقل من كتب الجغرافية العربية وكتب التاريخ الموجودة في حوزته ، وهو أمين في نقله ، إذ ينسب كل ما ينقله من مادة جغرافية إلى مصادرها التي نقل عنها .

(١) ناس الخرج ، ص ٣١٨

(٢) البكري ، معجم ما استعجم ، تحقيق الأستاذ مصطفى السقا ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٤٥

ص ١٠٣ .

(٣) مؤنس ، ص ٣١٩

(٤) طبعة بيروت ، ١٩٥٥ (٥ مجلدات)

وقد اختصر السيوطي ، ومعجم البلدان ، لياقوت ، في كتاب سماه و مختصر
معجم البلدان ، ، كذلك استخلص صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي
(ت ٧٣٩) من معجم البلدان مادته الجغرافية ، ووضعها في كتاب أسماء و مراد
الاطلاع في أسماء الأماكن والباق ، (١) :

ويمتاز معجم البلدان بترتيبه على حروف الهجاء مما يساعد على سهولة الارتفاع
بمادته ، كما يمتاز باتساع مادته و غزائتها ، وبالجمع بين المسادة الجغرافية والمادة
التاريخية والأدبية . وقد قدم ياقوت معجمه بخمسة فصول تناول فيها صورة
الأرض ، ومعنى الأقليم والكورة والمخلاف والامتان والرساتيق والطسوج
والأجناد ، واصطلاحات جغرافية ، كالبريد والفرسخ وحكم الأرضين من حيث
الفتح والحراج والشرع في ذلك (٢) .

٢ - الحيرى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ، ت بعد ٨٦٦
هـ) في كتابه الروض المطار في خبر الأقطار ، وهو معجم جغرافى تاريخى مرتب
على حروف الهجاء ، وقد نشر المستشرق لبنى بروفنسال القسم الخاص بالاندلس
بمنوان و صنعة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المطار في خبر
الأقطار ، (٣) .

رابعاً - الموسوعات العامة :

يمثل هذا النوع من الكتب العامة ثلاثة من كبار الكتاب في عصر المماليك :
أثيرى ، والعمرى ، والتتشتى :

(١) طبعة جوينيل Juyntoll ، في ٤ أجزاء ، لندن ١٨٨٥

(٢) راجع مقدمة ياقوت في المجلد الأول من معجم البلدان

(٣) القاهرة ١٩٢٧

١ - التويرى (شهاب الدين أحمد ، ت ٧٢٢ هـ) في كتابه الكبير ، نهاية
الارب في فنون الأدب ، ويتألف من واحد وثلاثين مجلدا ، طبع منها ١٨ مجلدا (١) ،
وبقية الموسوعة ما زالت مخطوطة (٢) . والكتاب يشتمل على مواد أدبية ولغوية
وجغرافية وإدارية ودينية وتاريخية ، وقسمه إلى خمسة فنون ، أفرد الفن الأول
منها لعلم الجغرافية ، وقسمه إلى خمسة أقسام :
الأول - يتحدث فيه عن السماء والكواكب .

الثاني - تناول فيه موضوع الآثار العلوية ، فتحدث عن السحاب وسبب
حدوثه والثلج والبرد ، ثم تحدث عن الصواعق والنيازك والارعد والبرق ، وعن
الرياح وأنواعها ، وعن التيران وأسماؤها .

الثالث - تحدث فيه عن الليال والأيام والشهور والأعوام والفصول
والمواسم والأعياد .

الرابع - وعظمه لدراسة الأرض وما تشتمل عليه من جبال وبحار
وجزائر وأنهار وعيون ، واهتم بالبحث في طول الأرض ومساحتها وتقسيماتها
السبعة .

الخامس - وتحدث فيه عن طبائع البلاد وخصائص المدن والمباني (٣) .
٢ - العمرى (شهاب الدين بن فضل الله ، ت ٧٤٨ هـ) ، في كتابه وممالك

(١) نشرته دار الكتب المصرية ، ومورته وزارة الثقافة والإرشاد القومي
(٢) الأجزاء من ١٩ إلى ٣١ ، مخطوطة ومصورة بدار السكتب المصرية تحت
رقم ٥٤٩ ،

(٣) راجع : التويرى ، نهاية القرن ، ج ١ ص ٤ - ٥ .

الابصار في ممالك الامصار ، ، ويتبع في نحو عشرين مجلدا ، ابتداء فيه بالقسم
واختتمه بالمغرب . وقد نشر الأستاذ أحمد زكي باشا الجزء الاول من هذا
الكتاب (١) ، كما نشر الأستاذ حسن حنن عبد الرهاب القسم الخاص بوصف
إفريقية والمغرب والاندلس (٢) ، أما القسم الاعظم من ممالك الابصار في
يزال مخطوطا ، ويدار الكتب المصرية نسخة مصورة من كتاب ممالك
الابصار (٣) .

ومن المعروف أن هذا الكتاب ينقسم إلى قسمين كبيرين : الاول أفرد
المؤلف للأرض وما يتبعها ووصف أقاليم الأرض ، وممالك الممالك والرياح ،
ومواقع مشاهير المدن وأنظمتها ، أما القسم الثاني فخصصه لدراسة سكان الأرض
مقاربة ومشاركة ، ويبحث في هذا القسم عن المعادن والحيوانات والنباتات .

٣ — القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ، ت ٨٢١ هـ) في كتابه وصح
الأعشى في صناعة الإنشاء (٤) ، الذي كتبه بديوان الإنشاء بمصر ، ورتبه على
مقدمة وعشر مقالات وخاتمه . ففي الفصل الثالث من المقالة الاولى يتحدثنا عن
الآزمنة والأوقات وأيام الشهور والسنين ، وفي المقالة الثانية يتحدثنا عن الأرض :
شكلها وأقاليمها الطبيعية وأنواع البحار .

(١) نشر في القاهرة ، ١٩٢٤

(٢) نشره في تونس ، من مطبوعات مجلة البدر

(٣) عنوانه بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٦٦٨ تاريخ .

(٤) نشر في القاهرة في ١٤ جزءا ، سنة ١٩١٦ - ١٩١٥

كتب الجغرافية في الأندلس والمغرب :

اهتم الأندلسيون بالتأليف في الجغرافية اهتماماً خاصاً ، لا تقطاعهم عن العالم الإسلامي ، واحتكاكهم بالعالم الأوربي ، وهو عالم كان لازماً عليهم أن يعرفوا مسالكه الموصلة إلى بلادهم ، وطبيعته الجغرافية وسكانه . وبدأ التأليف في الجغرافية في الأندلس في نفس الوقت الذي ظهرت فيه التأليف التاريخية . وكان الجغرافيون الأولون في الأندلس مؤرخين وجغرافيين في آن واحد ، على النحو الذي كان شائعاً في المشرق الإسلامي (١) ، فكان هشام بن محمد السكلي واليعقوبي مؤرخين وجغرافيين في وقت واحد ، كان أحمد بن محمد الرازي (ت ٣٤٤ هـ) أول مؤرخ في الأندلس مؤرخاً وجغرافياً ، ويعتبر أبو الجغرافية الأندلسية كما يعتبر أبو التاريخ الأندلسي (٢) .

وقد عرف الجغرافيون الأندلسيون كيف يفيدون من مصنفات الإغريق واللاتين في وصف جزيرة الأندلس وما اتصل بها من الأنهار والأودية المجاورة ، ومع ذلك فلم يتقيدوا دائماً بهم في المذهب الفلكي في الجغرافية أي التقسيم البطليموسي إلى أقاليم ذات خصائص فلكية ، ولكنهم أخذوا عن بطليموس ما ذهب إليه في الوصف العام للملك أو المركز لجزيرة الأندلس ، كما أخذوا عن هروسيس Horosius آراءه في شكل شبه الجزيرة . وأضافوا إلى ذلك ما أمكنهم جمعه من مادة عن طريق السماع أو المشاهدة والمعاينة (٣) .

(١) حنين مؤلف ، الجغرافية والجغرافيون في الأندلس ، ص ١٩٩

(٢) قمر المرجع ، ص ٢٢١

(٣) قمر المرجع ، ص ٢١٨ ، ٢١٩

وأول من كتب في جغرافية المدن في الأندلس محمد بن موسى الرازي (ت ٢٧٣ هـ) الذي صنف كتاب الزايات، وكتاب تاريخي وجغرافي، ولكن ابنه أحمد الرازي هو أول من كتب كتاباً جغرافياً حقيقية عن الأندلس، ولذلك يعدونه الرائد الأول لعلم الجغرافية في الأندلس، واعتبروه أيضاً شيخ المؤرخين، ولقبوه بالتاريخي.

تتلىز أحمد بن محمد الرازي على قاسم بن أصبغ البياضي (ت ٣٤٠ هـ) (١) الذي اشترك مع الوليد بن خيزران في ترجمة كتاب تاريخ هرويش (٢). وبفضل هذه الترجمة العربية أطلع الأندلسيون في مقدمة الكتاب على وصف المعمور من العالم، ومن هذه المقدمة أقاد المؤرخ الجغرافي أحمد الرازي ونهج منهج كتاب هرويش في كتابه «أخبار ملوك الأندلس» فبدأه بمقدمة جغرافية هامة، أعقبها بدراسة لتاريخ الأندلس، وفي هذه المقدمة تأثر بهرويش في وصفه لجزيرة الأندلس كما تأثر ببطليموس في تصويره السام لشكل البلاد المثلث، وأضاف إلى ذلك ما استطاع جمعه من مادة عن طريق السماع والمشاهدة، بحيث تألف مما كتبه موضوع جغرافي متكامل يتناول الوصف الطبيعي من الشكل العام للبلاد، والموقع ودراسة السطح وما يقوم عليه من جبال أو شقة من أنهار، ثم دراسة كل قسم إداري على حدة، مع العناية بمصادر الثروة وأوجه الانتفاع منها، وذكر المسالك والمراسي وأمهات المدن والأجناد، وخواص كل بلد منها وما فيه مما ليس في غيره (٣). وقد

(١) راجع ترجمته في Pons Boigues, op. cit. p. 59 - 60

(٢) Lévi Della Vida, la traduzione arabe della Storia de

Orosio, Al Andalus, vol. XIX, pp. 257-265, 1954 — حديث مؤلف، المرجع السابق، ص ٢٣

(٣) الحميدي (أبو عبادة محمد بن قنوح) جذوة المختبر في ذكر رجال الأندلس، تحقيق محمد بن ناوي الطنجي، القاهرة ١٣٧١ هـ، ص ٩٧

نقل عن الرازي في مقدمته الجغرافية كثير من الجغرافيين الأندلسيين أمثال
البكري والإدريسي وابن غالب الأندلسي .

ويلاحظ أن الرازي تأثر فيما كتبه بهرويش ، فنقل عنه أن جزيرة الأندلس
« ذات ثلاثة أركان » (١) ، وأن شكلها « مثلث » وهي معتمدة على ثلاثة أركان :
الأول هو الموضع الذي فيه صنم قانس المشهور بالأندلس ، ومنه يخرج البحر
المتوسط الشامي الآخذ بقبلي الأندلس ، والركن الثاني هو بشرق الأندلس بين
مدينة ربوثة ومدينته برديل عما بأيدي الفرنجة اليوم بإزاء جزيرتي ميورقة
ومشورقة . والثالث منها هو ما بين الجوف والغرب من حين جليقية حيث الجبل
الموقى على البحر ، وفيها الصنم العالي المشبه بصنم قانس وهو الطالع على بلد
برطانية (٢) . وقد نقل الجغرافيون من بعده العبارة البالغة على « تركين الأندلس
وتشليها » ، فابو بكر عبد الله بن الحكم المعروف بابن النظام يقول : « وصفت
الأندلس شكل مركان على مثال الشكل المثلث ... » (٣) . وذكر ابن سعيد
المغربني أنهم « اتفقوا على أن جزيرة الأندلس مثلثة الشكل ، واختلفوا في الركن
الذي في الشرق والجنوب في حين أربوثة ، فمن قال إنه في أربوثة ، وإن هذه
المدينة تقابلها مدينة برديل التي في الركن الشرقي الشمال أحمد بن محمد الرازي وابن
حيان ، وفي كلام غيرهما أنه في جهة أربوثة ، وحقق الأمر الشريف (يعتمد

(١) ابن غالب الأندلسي ، قطعة من كتاب « فرحة الأندلس في تاريخ الأندلس » ،

لتحقيق الدكتور لطفي عبد البديع ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ١٢ .

(٢) المقرئ ، تاج الطيب ، ج ١ ص ١٢٨

(٣) نفس المصدر ، ص ١٣٠

الادريسي) وهو أعرف بتلك الجهة لتردده في الأسفار برا وبحرا إليها ، وتفرغه لهذا الفن . . . سألت جماعة من علماء هذا الشأن فأخبروني أن لصحيح ماذهب إليه الشريف ، وأن أربونة وبرشلونة غير داخلتين في أرض الأندلس^(١) ، وذكر الحميري أن جزيرة الأندلس سميت بجزيرة ، لأنها شكلت مثلث وتضيق من ناحية شرق الأندلس حتى تكون بين البحر الشامي والبحر المظلم المحيط بالأندلس خمسة أيام . . . (٢)

ويتعرض الرازي لذكر مناخ الأندلس ، فيشير إلى اختلاف هبوب الرياح وجريان الأنهار في شرق الأندلس عن غربها فيقول ، « الأندلس أندلسان في اختلاف هبوب أرياحها ، ومواقع أمطارها ، وجريان أنهارها : أندلس غربي ، وأندلس شرقي ، فالغربي منها ما جرت أوديته إلى البحر المحيط الغربي ، وتطر بالرياح الغربية ، ومبتدأ هذا الحوز من ناحية الشرق مع المفازة الخارجة مع الجوف إلى بلد شنتمية طالعا إلى حوز لإغريطة المجاورة لطليطلة ، هاتلا إلى الغرب ، ومجاورا البحر المتوسط الموازي لقرطاجنة الخلفاء التي من بلد لورقة ، والحوز الشرق المعروف بالأندلس الأقصى ، وتجرى أوديته إلى الشرق ، وأمطاره بالرياح الشرقية ، وهو من حد جبل البشكنش ، هابطا مع وادي إبرة إلى بلد شنت مرية ، ومن جوف شذا البحر وغربه المحيط ، وفي القبة منه البحر الغربي الذي منه يجري البحر المتوسط الخارج إلى بلد الشام ، وهو البحر المسمى ببحر تيران ، ومعناه الذي يشق دائرة الأرض ، ويسمى البحر الكبير » (٣) .

(١) القرى ، المصدر السابق ص ١٢٦

(٢) الحميري (أبو عبادة محمد) سفة جزيرة الأندلس متخفية من كتاب الروض المطاوع

في خبر الأقطار ، تحقيق ليفي بروفنسال ، القاهرة ١٩٣٧ ص ٢

(٣) القرى ، المصدر السابق ، ج ١ ص ١٢٩

ووصف الرازي لجبال الاندلس وأنهاها يعتبر من أدق وأضبط ما كتب عنها ، وعند معالجته المدن نراه يهتم بدراسة مواقعها وحصونها وخصائصها . من حيث الوقوع على البحر أو الاتصال بسهل أو نهر ، وحاصلاتها ، وثرواتها المدنية .

وإذا كان أحمد بن محمد الرازي هو أول من كتب في جغرافية الاندلس فإن أبو عبد الله محمد بن يوسف الوراق (ت ٣٦٣ هـ) ، وكان معاصرا له ، اخصص بالكتابة في جغرافية المغرب ، فقد كان أندلسيا من وادى الحجازة ، ثم هاجر إلى إفريقية ، ونزل القيروان وأقام بها فترة ضياء إلى أن عاد إلى الاندلس في عصر الحكم المستنصر ، فكتب له كتابا ضخما في مسالك إفريقية وممالكها ، كما ألف في أخبار ملوكها والنابيين عليهم كتب كثيرة ، وألف كتابا في أخبار تيهرت ووهران ونيس وبجلماسة وتكرور والبصرة^(١) وقد استوعب البكري مادة الوراق الواردة في المسالك في كتابه المسالك والممالك ، وبتماز كتابة الوراق في كتابه - استنتاجا مما ورد في المغرب في أخبار إفريقية المغرب للبكري - أنها تجمع بين الكتابة التاريخية والجغرافية (٢) أي أن المادة التاريخية تبرز في المادة الجغرافية في صياغة متسقة . وتلا هذا الجيل من جغرافي الاندلس جيل آخر عاش من النصف الأول من القرن الرابع إلى النصف الأول من القرن الخامس ، ومنهم أحمد بن محمد بن جعفر بن أنس العذري الدلائى . (ت ٤٧٦ هـ) صاحب كتاب ونظام المرحبان في المسالك والممالك ، نشره الأستاذ الدكتور عبد العزيز الأهواني قطعة عن الأندلس . تستعمل على كور يدميز وبلمبية ومركسة وشقة وقرطبة

(١) - من مؤلفات ٢٦٩

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٧١

والبحيرة وإشبيلية ولبلة وشذونة والجزيرة الخضراء ، (١) ويتضح لنا مما ذكر من « نظام المرجان » أن العذري كان ينهج في كتابته منهج الرازي من تزويد المادة الجغرافية بمادة تاريخية . وتمتاز كتابته العذري بالدقة البالغة في استخدام الاصطلاحات كالسكورة والقاعدة وعنصر النهر والسافية والناعورة .

ومنهم أبو الوليد عبد الله بن محمد المعروف بابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ) الذي عرف بمجمعه في التراجم الموسوم بتاريخ علماء الأندلس ، ولم يصل إلينا كتابه المطول في تاريخ علماء الأندلس عن طريق مخطوئتهم ، ولكن وصلتنا منه فقرات أوردها المقرئ في نفح الطيب .

ومنهم أبو مروان حيان بن خلف المعروف بابن حيان (ت ٦٩٩ هـ) الذي ذاع صيته عند علماء التاريخ بأنه عمدة مؤرخي الأندلس وأعظم من أنجبته الأندلس من علماء التاريخ ، ويبدو أنه مهد لكتابته المقتبس الذي اشرنا إليه عند تعرضنا للتاريخ المحلي في الأندلس بفصل جغرافي تمهيدى على النحر الذي اتبعه الرازي من قبل في كتابته « أخبار ملوك الأندلس » ، ونستدل على ذلك من الاقتباسات ، الواردة في نفح الطيب عن إسبانيا وعن جسر قرطبة وعن مدينة الزهراء ، بالإضافة إلى ما تتضمنه القطع المشورة من المقتبس من معلومات جغرافية كثيرة (٢) .

(١) أبو الباس أحمد بن عمر بن أنس المذوي المعروف بابن الفلاني ، « نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار » ، والبثان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك ، تحقيق الدكتور عبد العزيز الأمواني ، مدريد ١٩٦٥ .

وممنهم أبو بكر عبد الله بن عبد الحكم المعروف بابن النظام ، وأبو بكر أحمد ابن سعيد بن أبي الفياض ، وأبو عبيد الله البكري ، وعبد الله بن إبراهيم بن وزمر الحجازي (١) . وتصل بعد ذلك إلى الشريف الإدريسي ، وهو قمة علم الجغرافية عند المسلمين على حد قول الدكتور حسين مؤنس (٢) لأنه لم يكن أول جغرافي متخصص في هذا العلم بحسب ، بل لأنه فاق في التحصيل الجغرافي من سبقه من الجغرافيين القدامى والمعاصرين له ، بل فاق بطليموس نفسه وزاد عليه ، ثم لأنه أنتج في الجغرافية التي وهب حياته لها ما لم ينتجه السابقون عليه ولا اللاحقون له (٣) ، وسد هو والبكري الجغرافي ثغرة في علم المسالك والممالك كانت واضحة في جغرافية المغرب الإسلامي (٤) . لقد قضى الإدريسي معظم حياته سائحا في بلاد العالم وأقطاره العربية وغير العربية مثل آسيا الصغرى وصقلية وجنوب فرنسا وإيطاليا ، ويبدو أن الإدريسي بدأ نشاطه في التأليف بكتابه «الجامع لأشتات النبات أو كتاب المفردات أو كتاب الأدوية المفردة» قبل أن يقد على صقلية ، قاصداً إلى حدود الإدارة بها ، ويبدو أيضاً أن رجاء الثاني ملك صقلية سمع بشهرته في علم النبات ، فقر به إليه ، وأدناه منه ، وعمل على الاستفادة من علمه ، ثم اكتشف موهبته في علم الجغرافية ، فحاول أن يرغبه في البقاء بصقلية وعمل صورة مجسمة للأرض ، ويرجح الدكتور حسين مؤنس أن الإدريسي وافق على ذلك ، وأنه

(١) - حسين مؤنس ، ص ٢٩٨ - ٣٥٩

(٢) - حسين مؤنس ، الجغرافيه والجغرافيون في الأندلس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية

عبرية ، المجلدان ٩ ، ١٠ ص ٢٥٧

(٣) - نفس المرجع ، ص ٢٥٩

(٤) - سيرة زغلون عبد الحميد ، ملاحظات من مصر كما رأها ووصفها الجغرافيون والرسالة

المغربية في القرنين السادس والتاسع الهجري ، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، مجلد

بإكمال رحلته إلى المغرب حيث استكمل ما أراد من دراسة جغرافية المغرب ،
 و هم ذهب إلى الاندلس للدراسة والمشاهدة ، نوباد بعد ذلك إلى صقلية ، وبدأ
 العمل مع رجار ، (١) ، فألف له كتابه المشهور نزعة المشتاق في اختراق الآفاق ،
 وامتدح رجار في مقدمته بقوله : « فإن أفضل ماعنى به الناظر ، واستعمل فيه
 الأفكار والخواطر ، ما سبق الملك المعظم رجار المعز بالله ، المقتدر بقدرته ،
 ملك صقلية ، وإيطالية ، وأنكيرده ، وقلورية ، إمام رومية ، الناصر بالله
 النصرانية ، إذ هو خير من ملك الروم بسطا وقبضا ، وصرف الأمور على
 إرادته إبراما وتقضا ، ودان في ملته بدين العدل ، واشتمل عليهم بكففت التطول
 والفضل ، وقام بأسباب ملكته أحسن قيام ، وأجرى سنن دولته على أفضل
 نظام ، وأجمل القيام ، وافتتح البلاد شرقا وغربا ، وأذل رقاب الجبابرة من أهل
 ملته بعدا وقربا ، بما يحويه من جيوش متوفرة العدد والعدد ، وأساطيل متكاثرة
 متناصرة المدد ... » ويمضى في مدحه ، وإحصاء مآثره فيقول في جملة ما يقوله :
 « ثم جمع إلى كرم الأخلاق ، طيب الأعراق ، وإلى جميل الفعال ، حسن الخلال ،
 مع شجاعة النفس ، وصفاء الذهن ، وغرور العقل ، ووفور الحلم ، وسداد الرأي
 والتدبير ، والمعرفة بتصاريف الأمور ، من نهاية الفهم الثاقب ، ومراميه كالسهم
 الضايب ، ومقفلات الخطوب مستفتحة لديه ، وجميع السياسات وقف عليه ،
 ونواماته يفظات الانام ، وأحكامه أعدل الأحكام ، وعطاياه البحار والزواجر ،
 والفيوث المواطر . وأما معرفته بالعلوم الرياضيات والعمليات فلا تترك بعد ،
 ولا تحصر بحد ، لكونه قد أخذ كل من فن منها بالخط الأوفر ، وضرب فيه بالقدر
 المثل ، (٢) . ويشرح الإدريسي بعد ذلك الظروف التي دفعت إلى تأليف كتابه

(١) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٢٨٢

Michele Amari, Eiblioteca Arabo - Sicula, Lipsia, (٢)

« نزهة المشتاق » . فقال : « فأمر عند ذلك (ية سردرجان) أن يفرع له من الفضة الخالصة دائرة منصلة عظيمة الجرم ، ضخمة الجسم ، في وزن أربعمائة رطل بالرومي ، في كل رطل منها مائة درهم واثني عشر درهما . فلما كملت أمر الفعلة أن ينقشوا فيها صور الأقاليم السبعة ببلادها وأقطارها وسيفها وريفيها ، خلجانها وبحارها ، ومجاري مياهها ، ومواقع أنهارها ، وعاصرها وغارها ، وما بين كل بلد من بلدانها وبين غيرها من الطرقات المطروقة ، والأميال المحدودة ، والمسافات المشهودة ، والمراسي المروقة على نص ما يخرج إليهم ممثلا في لوح الترسيم ، ولا يغادروا منه شيئا ، ويأتوا به على هيئته وشكله كما يرسم لهم فيه ، وأن يؤلفوا كتابا مطابقا لما في أشكالها وصورها ، غير أنه يزيد عليها بوصف أحوال البلاد والأرضين في خلقها وبقاعها وأماكنها وصورها وبحارها وجبالها وأنهارها وعماواتها ومزدرعاتها وغلانها وأجناس نباتها وخوابضها ، والاستعمالات التي تستعمل بها ، والصناعات التي تنفق بها ، والتجارات التي تجلب إليها وتحمل منها ، والعجائب التي تذكر عنها وتنسب إليها ، وحيث هي الأقاليم السبعة مع ذكر أحوال أهلها وعبادتهم وديانتهم ومذاهبهم وزيهم وملابسهم ولغاتهم ، وأن يسمى هذا الكتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، وكان ذلك في العشر الأول من ينير الموافق لشهر شوال الكاين في سنة ثمان وأربعين وخمسةائة ، فامتثل فيه الأمر وأرسم الرسم ، وأول ما ابتدئ به الكلام على صورة الأرض ، (١) .

وذكر المؤلف في كتابه الوافي بالوفيات أن رجلا « استقدم الشريف الادريسي صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق من العدة إليه ليصنع له شيئا في شكل صورة العالم ، فغلبا وصل إليه أكرم نوله وبالغ في تعظيمه ، فطلب منه شيئا

من المعادن ليصنع منه ما يريد ، فحمل اليه من النضة الحجر وزن أربعماية الف درهم ، فصنع فيها دواير كهيئة الأفلاك ، وركب بعضها على بعض ثم شكلها له على الوضع المخصوص ، فأعجب بها رجار ، ودخل في ذلك ثلث الفضة ، وأرجع بقليل ، وفضل له ما يقارب الثلثين ، فتركه له إجازة ، وأضاف لذلك مائة الف درهم ومركبا موسقا كان قد جاء إليه من برشلونة بأنواع أجلاب الرومية التي تجلب للوك ، وسأله المقام عنده ، وقال له أنت من بيت الخلافة ، ومتى كنت بين المسلمين هل ملوكهم على قنك ومتى كنت عندى أمنت على نفسك ، فأجابه الى ذلك ، ورتب له كفاية لاتكون الا للملوك ، وكان يحىء اليه راكب بنفلة ، فاذا صار عنده تنحى له عن مجلسه فيأبى فيجلسان معا ، وقال له أريد تحقيق أخبار البلاد بالعائنة لا بما ينقل من الكتب ، فوقع اختيارهما على اناس ألباء فطناء أذكيا ، وجهزم رجار الى اقليم الشرق والغرب جنوبا وشمالا ، وسفر معهم قوما مصررين ليصوروا ما يشاهدونه عيانا ، وأمرهم بالتقصى والاستيعاب لما كان لابد من معرفته ، فكان اذا حضر احد منهم بشكل أثبته الشريف الإدريسي ، حتى تكامل له ما اراد . وجعله مصنفنا ، وهو كتاب نزهة المشتاق الذى الشريف الإدريسي (١) وانتهج ما ذكره الشريف الإدريسي في مقدمته لكتاب « نزهة المشتاق » ، وما ذكره الصفدى فى « الوافى بالوفيات » ان الإدريسي بدأ عمله بصنع خريطة من صنفائح النضة ركب على كرة تمثل الأرض ، ونقش على هذه الصنفائح ما كان قد رسمه بظلميرس في الاقاليم السبعة ، ثم قسم محيط الكرة طولا الى عشرة اجزاء متساوية بخطوط تبدأ من القطب الأعلى الى الأسفل ، تقاطع مع خطوط العرض ، فتولف ما يشبه المستطيلات . وما إن تم له ذلك حتى نزع هذه الصنفائح وسمعوها ،

محولاً على هذا النحو الخريطة الكروية إلى خريطة مسطحة (١) ، مع مراعاة ما يترتب على هذا التحويل من عمليات رياضية وحسابية دقيقة ، وجعل النقاشين يتقلون على مستطيلاتها محتويات كل مستطيل من مستطيلات الخريطة المسطحة ، واستعان في ذلك برجال ألباء فطناء وجههم إلى أقاليم الأرض للتقصي ، وتزويده بالمعلومات اللازمة . وأقام الإدريسي ١٥ سنة يعمل في هذه الخريطة حتى أتمها على لوح الترسيم ، ثم نقل لوح الترسيم على كرة أرضية عظيمة الجرم ، ضخمة الجسم ، ثم اختتم عمله بتأليف كتاب ضخم يطابق ما جاء في هذه الخريطة من معلومات ، وأزاد عليها بوصف أحوال البلاد الطبيعية والاقتصادية من ذكر نباتاتها وسطحها وصناعاتها وتجاراتها ، مع الاهتمام بالإشارة إلى أحوال سكانها من شكل ومذهب وزينة وزي ولغة (٢) .

(١) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٣٠١ وما يليها

(٢) راجع البحث القيم القدر. قام به الأستاذ الدكتور حسين مؤنس عن الإدريسي في

مقاله السابق .

(٤)

كتب الرحلات

فان العرب في ميدان الرحلة والكشف الجغرافي غيرهم من الشعوب ، فلقد كانت الرحلة من أهم عوامل الترابط والتواصل بين أنحاء العالم الاسلامي في عصور القوة ، كما كانت من أهم خصائص المجتمع العربي الاسلامي في عصور الازدهار الحضارى ، وساعد على الرحلات اتساع رقعة الدولة العربية بعد الفتوحات ، وانطلاق المسلمين الى مراكز العلم المختلفة في سائر أقطار العالم الاسلامي (١) . كذلك رحل الناس للتجارة بين الأقطار الاسلامية في المشرق والمغرب ، (كسليمان السيرافي الناجر) ، أو لاداء فريضة الحج الى مكة (كناصر خسرو وابن جبير) ، أو للتجسس (كابن حوقل) ، أو طلبا للاستطلاع وجبا في الاستزادة من معرفة شعوب العالم الاسلامي (كالفدسي) ، أو لقيام مهمة ، كأن يكون الرحالة سفيرا للخليفة أو السلطان (كابن فضلان . والوزير محمد بن عبد الوهاب القساق) .

ولا ننسى أن العرب كانوا قد اعادوا على الرحلات التجارية في عصر الجاهلية . فكانت قوافلهم التجارية تنقل المسافرين من اليمن إلى الشام ، والعكس بالعكس ، برا وبحرا (٢) . ولقد انفتحت أمام العرب بعد الفترحات الاسلامية المجالات الواسعة للتجارة العالمية ، فانتسعت آفاق الرحلات التجارية . وارتبطت

(١) زكي محمد حسن ، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، ص ٦ .

(٢) جورج فاضلو حوداني ، العرب والملاح في المحيط الهندي ، ترجمة الدكتور مطرب بكر ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٢٣ وما يليها .
Aly Mohamed Fahmy, Muslim — sea power in the eastern Mediterranean, Cairo, 1966, p. 41
السيد عبد العزيز سالم ، عصر ما قبل الاسلام ، ص ١٦٨ .

الأسواق الإسلامية في المشرق والمغرب فيما بينها ، وأصبح تجارا الأندلس يرحلون إلى الهند وتركستان ، كما أصبح التجار الترك والفرس يرحلون إلى الصين وحتى إلى بلاد المغرب والأندلس (١) .

وكان لاتساع رقعة الدولة الإسلامية ، وانتشار الاسلام في الأنظار المفتوحة أثر عظيم في قيام المراكز العلية في البصرة والكوفة وبغداد ، وبخارى وسمرقند ومرو ونيشاپور ، وقوص والفسطاط والقاهرة والاسكندرية وطرابلس الشام ودمشق وبعلبك ، وجدة وعدن ، وتونس والقيروان وبجاية ووهران وسجاسة وفاس ، وقرطبة وغرناطة وإشبيلية والمرية ومالقة ، وغير ذلك من المدن الإسلامية التي عرفت بازدهارها الحضارى في العصر الاسلامى . وكان من الطبيعي أن ينتقل المسلمون من مركز علمي إلى آخر في هذه الدولة الإسلامية ، مترامية الأطراف ، التماسا للعلم ، ورغبة في تحصيله على شيوخه في المشرق والمغرب . ولقد عقد المشرق في كتابه «فتح الطيب» بابين كبيرين أفردهما لذكر الوافدين إلى الأندلس من المشرق ، وفي الزافدين إلى المشرق من الأندلس (٢) ، ويمكن

(١) ذكر المقرئ بخلا عن ابن حبان أن تجارا من الشرق (من عدن) كانوا يقدون إلى قرطبة في زمن النصور بن أبي عامر للتجارة في الجوهر والأحجار الثمينة (فتح الطيب ، ج ١ ص ٣٨٨) . ويستدل من شواهد القبور التي كشف عنها البحث الأثرى في الرية على أن تجارا من غير العالم ومن بغداد كانوا يشتغلون بالتجارة في المرية (Romon Revilla , *Vielva , Patio arabe del Museo Arqueológico nacional de Madrid, Madrid, 1933, p. 120* - Lévi - Provençal, *Inscriptions arabes d'Espagne, t. I, p. 116.*)

(٢) المقرئ ، فتح الطيب ، الباب الخامس في ذكر الوافدين إلى الأندلس من المشرق ، ج ٢ ص ٢١٣ - ٤٢٣ ، ج ٣ ص ٤ - ٤٥٨ ، والباب السادس في ذكر الوافدين إلى المشرق من الأندلس ، ج ٤ ص ٤ - ١٤٥ .

أن تذكر من أمثلة ذلك العلامة عبد الرحمن بن خلدون الذى رحل من تونس إلى مصر حيث استقر بها واتخذها مركزا ثابتا له (١) ، وإن كان ذلك لم يمنع من قيامه برحلة إلى الحجاز ورحلة إلى الشام ، والفتية محمد بن تومرت مؤسس دولة الموحدين يرحل من قريته فى السوس من بلاد المغرب فى طلب العلم ، وينتهى إلى بغداد حيث يأخذ فيها شيئا من أحوال الدين ، ثم يرحل إلى الشام ، ثم إلى مصر ، ويجوب عواصم المشرق الاسلامى زهاء إحدى عشرة سنة قبل أن يعود إلى موطنه بالسوس (٢) . كذلك كان الحج من بواعث الرحلات ، فقد ظل الدين الاسلامى والفتنة حتى بعد أن تفتت الوحدة السياسية للعالم الاسلامى (٣) ، يربطان الشعوب الاسلامية ، وتابع الرحالة المسلمون رحلاتهم لتأدية فريضة الحج على الرغم من الانفصال السياسى الذى شمل أقطار العالم الاسلامى منذ النصف الثانى من القرن الثانى للهجرة .

وكان معظم الرحالة المسلمين يحرصون على تدوين مشاهداتهم ، وتسجيل أخبار رحلاتهم وأمنارهم ، والمسالك والطرق التى ساروا فيها ، والمسافات التى قطعوها فى تنقلاتهم ، ويصفون المدن التى زلروها ، ويذكرون العجوبات التى

(١) عبد الرحمن بن خلدون ، التعريف بابن خلدون ، ورحلته غربا وشرقا ، تحقيق الأستاذ محمد بن ناوي الطنجى ، القاهرة ١٩٥١ — والترج . فشل ، نقاط ابن خلدون فى مصر الموكية ، مقال فى « دراسات اسلامية » ، ترجمة الدكتور أنيس فرجة وآخرين ، بيروت ، ١٩٦٠ م ١٧٧ — ١٩٧ .

(٢) أبو بكر الصنهاجى ، كتاب أخبار المدين بن تومرت ، تحقيق الأستاذ ليز بروندسال ، باريس ١٩٢٨ ، م ٥٢ — ليز بروندسال ، الإسلام فى المغرب والأندلس ، ترجمة الدكتور السيد عبد العزيز سالم والأستاذ محمد صلاح الدين حلى ، القاهرة ١٩٥٨ م ٢٦٥-٢٦٦ - السيد عبد العزيز سالم ، الغرب الكبير ، م ٧٧٠ وما يليها .

(٣) سعد زغلول ، عبد الحميد ، ملاحظات عن مصر ، م ٩٦

واجتهدوا في رحلاتهم ، ويعتبرون ما عاينوه من مظاهر الحضارة في كل بلد طرقوه ،
كالمستجدات الزراعية والصناعات والتجارة . كما أن بعضهم وصف بعض مظاهر
الحياة الاجتماعية في الأقطار المختلفة التي مروا بها ، ولعل ذلك يوضح لنا الفارق
بين الجغرافي والرحالة ، فالرحالة يعتمد على المشاهدة والمعاينة ، ولذلك فإن
كتابه لا يتجاوز وصف ما شاهده في أثناء رحلته ، أما الجغرافي فيعمل على تغطية
كل الإقليم الذي يتناوله بالبحث ، فيسأل ويستقصي ، ويجمع المعلومات من الحجاج
وطلبة العلم والمغامرين والتجار والملاحين ، وليس من الضروري أن يكون
الجغرافي رحالة .

وعلى الرغم من تعدد دوافع الرحلات في الإسلام ، فإن ما وصلنا من كتب
الرحلات قليل إذا قيس بالمصنفات الخاصة بالرحلات (١) ، ولعل السبب في ذلك
يرجع إلى ضياع معظمها ، وإلى أن كثيرا من الرحالة آثروا أن يدسج مشاهداته فيما
ألّفه من كتب تاريخية أو جغرافية كبن حوقل واليعقوبي والمسعودي . وأقدم
ما وصلنا من أخبار الرحالة المسلمين في القرنين الثالث والرابع للهجرة تشير إلى أن
تجارا من العرب من عمان وسيراف والبصرة كانوا يصلون إلى الصين ، ويروي
المسعودي أخبار بعض هؤلاء الرحالة ، فيذكر أن تاجرا من سمرقند خرج من
بلادهم وقد حمل من المناع أحمالا كثيرة ، فوصل إلى العراق ، ورحل إلى البصرة ،
ثم ركب البحر حتى وصل إلى عمان ، وركب من هناك إلى بلاد كلاء الواقعة في
منتصف الطريق إلى الصين (٢) . وتستخرج من أقوال الرحالة سليمان السيرافي ،

(١) عرّولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، ص ١٤٨

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ١ ص ١٤٠

الذي ينسب إليه كتاب أخبار الصين والهند (١)، وجود جاليات إسلامية بالصين (٢) كانت تتمتع في زمانه باهتيازات خاصة. ولقد ذيل رحلته عربي هو أبو زيد الحسن بن يزيد السيرافي على كتاب سليمان السيرافي، وأضاف إليه معلومات استقاها من أحاديثه مع التجار والملاحين في سيراف. وفي منتصف القرن الرابع الهجري يروي الرحالة الفارسي بزرگ بن شهریار في كتابه الموسوم بكتاب «عجائب الهند» كثيرا من القصة التي جمعها من أفواه الملاحين والتجار في سيراف والبصرة وعمان عن الهند والشرق الأقصى وشرق إفريقيا (٣).

ويمكننا استنادا إلى ما رواه هؤلاء الرحالة أن نستنتج أن الرحالة المتجهين إلى الهند والصين كانوا يبحرون من الأبله ميناء البصرة، وتقع على مصب دجلة. ولكن الصعوبات التي كانت تعترض طريق الملاحة عند رأس الخليج العربي كانت خافزا على قيام سيراف على ساحل إيران، جنوبي شيراز، وقد ازدهرت التجارة البحرية في سيراف ازدهارا جعلها تنافس البصرة في المكان الأول وفي الأهمية الاقتصادية. ومن سيراف كان التجار يبحرون إلى الهند وإلى غانفو (كانتون) أعظم مراكز التجارة في الهند الصينية (٤).

ومن الرسالة العرب الذين كان لهم شأن كبير في القرن الرابع الهجري أحمد بن عباس بن رشيد المعروف بابن فضلان، الذي أوفده القشتلر الباسي إلى ملك

Relation de la Chine et de l'Inde, éd. par Jean Sauvaget, (١)
Paris, 1948

Ibid. p. 19 (٢)

(٣) جورج فانلو حوراني، العرب والملاح في المحيط الهندي، ص ٢٠٤

(٤) هس المرجع، ص ٢١٦

البلغار بالفلجا في سنة ٣٠٩ هـ . واتبعه دون ابن فضلان وصفا لرحلته في كتاب
كان مرجعا أساسيا للجغرافيين أشال المسعودى والاصطخرى وياقوت (١) .
ومن الرحالة العرب الذين برزوا في القرن الرابع الهجرى المسعودى ، الذى
اكتسب شهرته كـ: رخ وجغرافى ورحالة . وقد جاب المسعودى الآفاق ، فزار
فارس ومناطق من الهند (الملتان وسيلان والسند والبنجاب) وزار ملبار والعين
ومدغشقر وآسيا الصغرى والشام ، واستقر بمصر حيث توفى في سنة ٣٤٦ هـ (٢) .
ويعتبر كتابه : مروج الذهب ، سجلا هاماً لرحلاته وملاحظاته ، ففيه دون
خلاصة تجاربه وخبراته التى اكتسبها فى رحلاته ، ولذلك فإن هذا الكتاب على
حد قول الدكتور تقولا زيادة : كتاب سياحة ومعرفة جغرافية وعمران وعلم
وملاحظة وأخبار وأساطير ، (٣) .

وبعد بداية لقرن الخامس الهجرى ، أصبح فى إمكاننا أن نميز من الرحالة
العرب والمسلمين فرقتين :

١ - رحلة مشارقة ٢ - رحلة مغاربة .

مع أن بدأت رحلات المغاربة إلى المشرق فاقت كثيرا رحلات المشارقة إلى المغرب .

أولاً : الرحلات المشارقة ومشتقاتهم :

(١٣) ياقوت خردو شلوى (٤٨١ هـ) ، سفرنامه :

ياقوت خردو شلوى ، الرحالة المسلمون ، ص ٢٦ وما يليها - تقولا زيادة ، الرحالة العرب ،
الطبعة الأولى ١٩٦٦ م ، ص ٤٤

(٢) زكى شبيب حسن ، نفس المربع من ٢٦ وما يليها - تقولا زيادة ، ص ٤٧

(٣) تقولا زيادة ، الرحالة العرب ، ص ٤٧

هو رحالة ذرسي الأصل ولد في بلدة نباديان من أعمال مدينة بلخ في سنة ٥٣٩ هـ ، وقضى فترة طويلة من شبابه ودر يحوب أنحاء إيران وتركستان والهند ، واستقر به المطاف في مرو ، وعمل في خدمة الفزوين حينما حتى دالت دولتهم ثم التحق في ديوان السلاجقة بمرو ، حيث انغمس في حياة الثور والمخالعة والمجون في بلاط جفري بك السلجوقي حاكم خراسان حتى سنة ٥٤٧ هـ ، ثم استجاب لنداء هاتف جاءه في نومه ونهاه عن المعاصي وعن شرب الخمر ، وأسر إليه بالمهج ، فعزم ناصر خسرو على تلبية نداء الهاتف ، وبدء صفحة جديدة من حياته ، وحل لتأدية فريضة الحج ، فبدأ رحلته من مرو إلى الشام مارا بنيسابور والري ومهریز وميفارقين وآمد وحران ، ثم دخل الشام عن طريق منبج ، وزار أمم مدنها ، حتى انتهى إلى الرملة والقدس . ومن هناك اتجه إلى مكة حيث أدى فريضة الحج ، وعاد إلى القدس ، واجتذبه مصر ، فخرج عليها ، واستقبله الخليفة المستنصر بالله الفاطمي استقبالا حسنا ، واتصل في مصر ببعض رؤساء الإسماعيلية ، ويبدو أنهم استأثروا إلى المذهب الإسماعيلي . فترك مذهب السني وأصبح منذ ذلك الحين إسماعيليا متعسبا للفاطميين . ولما عاد إلى وطنه في سنة ٥٥٤ هـ ، وأبدى بعض آرائه في المذهب الإسماعيلي ، اعتُهد وطُرد ، واضطر إلى الفرار إلى مكان حيث قطنه البقية الباقية من حياته (١) .

ولقد سجل ناصر خسرو أخبار رحلته وحواشيها يوما بعد يوم ، وذلك بعد دعوته إلى خراسان ، ودون في هذا الكتاب مشاهداته في البلاد التي زارها في

(١) ولجم : مقدمة كتاب سفرنامه ، تروپ الكتور وشمس الحجاب ، القاهرة ١٩٤٥
ص ١ — ح ، وذكر محمد حسن : الرحالة إلى بلخ ، ص ٥٦ وما يليها . نقولا زيادة ،
الرسالة العرب ، ص ٤٤٠ .

طريقه الى مكة ومصر وفي أثناء عودته الى بلخ . وتعبير ملاحظاته عن فهم عميق بحياة الشعوب ، وإدراك كامل لمظاهر الحضارة فيها ، ووعي واضح بنظم الحكم والعادات والتقاليد . ولهذا السبب يعتبر هذا الكتاب مصدرا هاما لحالة الشرق الأدنى الاسلامي قبيل الغزو الصليبي . وقد توسع ناصر خمر و في وصف مصر توسعا يدل عليه عظم ما يشغله هذا الوصف من مجموع ما جاء في الرحلة ، فهو يتجاوز نحو ثلث الكتاب . ويبدو أن السنوات الأربع التي قضاها في مصر أتاح له الفرصة في أن يتنقل في حياتها ، ويغوص في أعماقها ، وقد كان أمينا في وصفه لمظاهر الحياة العلمية والاجتماعية والاقتصادية فيها .

(٢) المروى (أبو الحسن علي بن أبي بكر ، ت ٥٦١) : د كتاب

الاشارات الى معرفة الزيارات .

أصله من هامة ، ولكنه موصل المولد ، زار كثيرا من بلاد الاسلام ، فحل إلى العراق والشام والحجاز واليمن ومصر وبلاد الروم وصقلية والمغرب وبعض جزر البحر المتوسط ، كما زار القسطنطينية والهند ، وقد عرف بكثرة أسفاره حتى أطلقوا عليه اسم المروى السامح (١) ، واتصل المروى في نهاية حياته بالملك الظاهر ملك حلب ، وأقام في رعايته بحلب حتى توفي في سنة ٥٦١ . وكتابه بالاشارات إلى معرفة الزيارات ، (٢) هو الكتاب الوحيد الذي وصل إلينا من مؤلفاته ، وقد سجل فيه وصفه للزيارات والمساجد التي زارها وشاهدها في رحلته ، ولكتنا نجد أن وصفه لكثير من هذه الآثار تتخلله القصص الخرافية والأساطير .

(١) ذكر محمد حسن ، الرحالة السليوني ، ص ٩٠

(٢) المروى ، كتاب الاشارات ، تحقيق جاتين سورديلي - جومين ، دمشق ، ١٩٥٢

(٢) عبد الطيف البغدادي توفى في القرن السابع الهجري في
والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعينة بأرض مصر

ولد في بغداد في سنة ٥٥٧ هـ ، وإليها نسب ، وكان مغرماً بالرحلة والسفر ،
فزار الشام ومصر والعراق ، وتقل بين حلب وأذربيجان وأرزن الروم وبغداد .
وكتابه في الإفادة والاعتبار ، يتضمن وصفاً لمشاهداته في مصر التي زارها مرتين
واشتغل بالتدريس في جامعها الأزهر ، ويمتاز وصفه لمصر بالذقة العلمية والاهتمام
بالتواحي الاجتماعية والعمرانية ، وقد شهد البغدادي الغلاء الفاحش والقحط
الذي أصيبت بهما مصر فيما بين عامي ٥٩٣ ، ٥٩٨ هـ في زمن الملك العادل ،
ووصف ما أصاب الناس من هذه المجاعة من وباء أدى إلى موت عدد كبير من
أهلها ، وقد أشار عبد الطيف البغدادي إلى الوباء الذي حدث في الاسكندرية في
سنة ٥٩٣ هـ وكان يموت منه في اليوم الواحد سبعة أشخاص ، الأمر الذي ذم
كثيراً من أهلها إلى الهجرة منها إلى بلاد برقة وأعمالها حيث قاموا بتعميرها (٢) ،
كذلك شاهد البغدادي الأعمدة المتكسرة التي رماها قراجا وإلى الاسكندرية في
أيام صلاح الدين ، بشاطئ البحر ، ليوعر على العدو سلوكه إذا قدم ، وقد
استشكر البغدادي هذا العمل ، وعده من عبث الولاة ، ومن فعل من لا يفرق
بين المصلحة والمنسدة (٣) ، وهي ملاحظة دقيقة تدل تفهمه للأمور . كذلك
شاهد البغدادي قيام صلاح الدين بهدم الأهرامات الحجرية الصغيرة على يدي

(١) طبعة مصر ، القاهرة ١٨٧٠ ، وطبعة جطيق وايت ، مع الترجمة اللاتينية ، نشرت
في لندن في ١٨٥٠

(٢) البغدادي ، الإفادة والاعتبار ، طبعة مصر ، ص ٨٠

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٨

قراقوش واستخدمه لها في بناء قلعة الجبل (١) ، وهو ملاحظة هامة أشار إليها ابن جبير أيضا .

ثانيا - الرحالة المغاربة ومصنفاتهم :

(١) ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد البلنسى ، ت ٦١٤ هـ) : كتاب

تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار والمعروف برحلة ابن جبير ، (٢) .

ولد ابن جبير في مدينة بلنسية في سنة ٥٥٤ هـ ، وتلقى العلم على شيوخ عصره في شاطبة وغرناطة وسبته ، والتحق بخدمة أبي سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة ، وأولع بغرناطة وطاب له العيش فيها وسكنها . وكان سبب قيامه بالرحلة - على ما ذكره ابن الرقيق - أنه كتب في أول أمره عن السيد أبي سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة ، فاستدعاه لأن يكتب عنه كتابا . وهر على شربه ، فد يده إليه بكأس ، فأظهر الانقباض ، وقال : ياسيدي ما شربتها قط ، فقال : والله لتشربن منها سبعا ، فلما رأى العزيمة شرب سبع أكوس ، فلما له السيد الكأس من دنانير سبع مرات ؛ وصب ذلك في حجره ، لحمله إلى منزله ، وأخبر أن يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير ، ثم رضب إلى السيد ، وأعلمه أنه حلف بإيمان لا خروج له عنها أنه يحج في تلك السنة : فأسغفه ، وباع ملكا له - يود به - وأنفق تلك الدنانير في سبيل البر ، (٣) .

والواقع أن ابن جبير قام بثلاث رحلات إلى المشرق الاسلامي . وكتابه وتذكرة

(١) قس المصدر ، ص ٢٣

(٢) مطبعة لبنان ، تحقيق ولیم دايت ، ١٩٠٧

(٣) المنرى ، قلع الضيب ، ج ٣ ، ص ١٤٥ ، ١٤٦

بالأخبار، هو تسجيل لمشاهداته في الرحلة الأولى، التي بدأها في شوال سنة ٥٧٢ هـ، وابتدأ منها بعودته إلى الأندلس في ٢٢ من المحرم في ٥٨١ هـ، ومن المعتقد أنه كتب أخبار هذه الرحلة فيما يقرب من سنة ٥٨٢ هـ بعد أن شاع خبر فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين الأيوبي. ثم تأقت نفسه للرحلة مرة ثانية، فرحل إلى المشرق الإسلامي في سنة ٥٨٥ هـ، وهي رحلة استغرقت سنتين وعدة أشهر، عاد بعدها إلى غرناطة في شعبان سنة ٥٨٧ هـ، ولكنه آثر أن يقيم في سبته، ويتزوج فيها، ثم يعوف عن المقام بسبته بعد وفاة زوجته فأتته أم المجد بنت أبي جعفر الرقشي وكان كلما بها فيرحل إلى المشرق مرة ثالثة (١)، في سنة ٦١٤، وينزل بالاسكندرية، ولم يطل به العمر بعد ذلك إذ توفي في نفس هذا العام بالثغر السكندري (في ٢٩ شعبان) ودفن بها، ومن المعتقد أنه دفن في الموضع المعروف اليوم بسيدى جابر.

ورحلة ابن جبير أشبه بمذكرات يومية سجل فيها ملاحظاته ومشاهداته لما شاهده في رحلة في الاسكندرية والقاهرة والفسطاط وقرص وعيذاب ومكة والمدينة والكوفة وبغداد والموصل وعكا وصقلية. وقد اهتم في كتابته بوصف المساجد والأضرحة ونهاكل والآثار، كما عني بالتواحي الاجتماعية والاقتصادية في البلاد التي زارها. ووصفه للآثار يدل على دقة الملاحظة، وقدرة عجيبة على التمييز عن الفن الزخرفي والمعماري على السواء، أما ملاحظاته وتعليقاته على مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في البلاد التي زارها، فمن أهم الوثائق التي تعين الباحث في تبصير الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في الشرق الأدنى الإسلامي في عصره. وأدروع ما ذكره منها تمسوخه للتعايش السلمي بين المسلمين والوطنيين في مملكة

(١) ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، القاهرة، ١٣١٩ هـ، ج ٢ ص ١٦٩

بيت المقدس العملية ، على الرغم من حالة الحرب القائمة بين المسلمين والصليبيين .

(٢) ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى ، ت ٦٨٥ هـ) : متمم كتاب « المغرب في حلى المغرب » ، ومؤلف « المشرق في حلى المشرق » ، (١) .

ولد أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد بقلعة يحصب من أعمال غرناطة في سنة ٦١٠ هـ وحى قلعة تعرف بقلعة بني سعيد ، وكانت تعرف قبل ذلك بقلعة أسطير وهو عين لما ، وبيت بني سعيد من أعظم بيوتات الأندلس وأشرفها إذ يرتفعون في نسهم إلى عمار بن ياسر الصحابي ، وكان أبو عمران موسى ابن عبد الملك بن سعيد من أشهر كتاب عصره ، ولذلك ولاء المتوكل محمد بن هود على الجزيرة الخضراء ، وناب ابنه على عنه في أعمال الجزيرة (٢) . وكان علي بن موسى « وسطى عقد بيته وعلم أهله ، ودره قومه ، المصنف ، الأديب ، الرحالة ، الطرفة ، الاخبارى . العجيب الشأن في التجول في الافطار ، ومداخلة الأعيان ، للتمتع بالخزائن العلمية ، وتقسيد التوائد المشرقية والمغربية ، أخذ من أعلام إشبيلية كآبى على الشلوين ، وأبى الحسن الدباج . وابن عصفور وغيرهم » (٣) .

وكتاب « المغرب في حلى المغرب » ، ثمرة جهود أربعة من بيت بني سعيد ،

(١) عندها آ نخل جثالث بالتيا كتابا واحدا عنوانه « كتاب فلك الأرب ، انجما بحلى لسان العرب » ، ينقسم الى كتابين كبيرين : المغرب في حلى المغرب ، والمشرق في حلى المشرق ، الأول تاريخ المغرب والأندلس فيما بين عامى ٥٢٩ ، ٦٤٠ هـ (واجمع تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ٢٤٤)

(٢) المرقى ، فتح الطيب ، ج ٢ ص ٣٨

(٣) نفسه ، ص ٣٨

أولهم عبد الملك بن سعيد صاحب قلعة بني سعيد في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ، وقد بدأ فيه عبد الملك من سنة ٥٣٠ هـ إلى أول سنة ٦٤١ هـ ثم آتته ابنة محمد بن عبد الملك ، ثم أزداد فيه موسى بن محمد ، ثم أربى عليهم جميعا في اتعانه أبو الحسن علي ابن موسى الذي يرجع إليه الفضل في اخراج الكتاب بصورة النهائية . وقد ضمن ابن سعيد هذا الكتاب قسما عن مصر التي زارها في صحبة أبيه في سنة ٦٣٩ هـ في السنة الثانية من ولاية الملك الصالح نجم الدين أيوب على مصر . وفي الاسكندرية توفي أبوه بعد ستة أشهر من وصوله إليها . وأتيح لعلي بن موسى بن سعيد أن يتصل في مصر بملين من أعلام الفكر الاسلامي يومئذ هما جمال الدين موسى بن يعقوب ، والقاضي كمال الدين ابن العديم الحلبي (١) . أقام علي بن سعيد في مصر أربع سنوات ، ثم انتقل منها إلى حلب في سنة ٦٤٤ هـ ، وظل مقبلا بحلب متنعما بنعم الملك الناصر صاحب حلب ، إلى أن رحل عنها إلى دمشق في سنة ٦٤٧ هـ ، وانتقل منها بعد ذلك إلى بغداد في السنة التالية مارا بأرمينية وأرجان ، ثم أدى فريضة الحج ، ورحل بعد ذلك إلى تونس في سنة ٦٥٢ هـ حيث قربه السلطان أبو عبد الله المستنصر بآلة الخفص . ثم رحل للمرة الثانية إلى المشرق في سنة ٦٥٦ هـ (٢) ، ونزل بالاسكندرية وهناك بلغه ما فعله السارمع الملك الناصر صاحب

(١) ذكر محمد حسن ، مقدمة كتاب ابن سعيد ، التريب في حل المغرب ، الجزء الأول من القسم الخاص بمصر ، القاهرة ، ص ١٦ م

(٢) ورد في المصادر العربية أنه رحل إلى المشرق رحلته الثانية في سنة ٦٦٦ هـ ، ولكن يبدو أن هذا التاريخ غير صحيح ، وأن صوابه ٦٥٦ هـ ، لأنه اتصل بهولاكو في هذه الرحلة عقب افتاحه لمدينة حلب في أول سنة ٦٥٧ هـ . ومن الملاحظ أن هولاكو توفي في سنة ٦٦٣ هـ ، فإن صدقنا التاريخ الأول ، يسبق من المستحيل على ابن سعيد مقابلة هولاكو ، لأنه يكون قد مات قبل سفره بثلاث سنوات .

جلب وكيف قتلوه بعد أن أعطره ، الأمان فحزن لمقتله حزناً شديداً ، وعزم على السير إلى هولاندر ليؤثر عليه بدله ، ويثنيه عن مهاجمة الديار الإسلامية ، فمضى إلى حلب ، ورحل منها إلى صحراء يوشن في طريقه إلى أرمينية ، حيث وافته الفرصة لمقابلة هولاندر ، وأقام بأرمينية فترة من الوقت ضيفاً على هولاندر ، حتى كانت مزيجة التتار في عين جالوت ، في سنة ٦٥٨ هـ ، فرحل ابن معيد إلى إيران ، ثم عاد بعد ذلك إلى تونس ، وأقام بها بقية حياته حتى مات في سنة ٦٨٥ هـ .

والقسم الخاص بمصر من كتاب « المغرب في حق المغرب » ، ويعرف بكتاب « الإكليل في حلى بلاد النيل » ، يبدأ بالحديث عن مصر وذكر فضائلها على النحو الذي اتبعه معظم من كتب عنها من مؤرخي العرب ، ثم يقسم كتاب هذا القسم المصري من « بنى سعيد الكور المصرية إلى أقسام ثلاثة هي المملكة العليا والمملكة الوسطى والمملكة السفلى (١) .

أما الكتاب الثاني لابن سعيد « المشرق في حلى المشرق » ، فقد ألفه على بن سعيد استجابة ل رأى أبيه وتنفيذاً لخطه ، وتوجد في المكتبة النيمورية بدار الكتب المصرية نسخة مخطوطة لهذا الكتاب .

وتتميز كتابة ابن سعيد بالمبالغة في وصف مساوىء العمران المصري في الفساطط والتحاميل على عادات المصريين ، ويتجلى ذلك في قوله : « ولما استقرت بالقاهرة تشرفت إلى معاينة الفساطط ، فسار معي إليها أحد أصحاب العزمة ، فرأيت عند باب زويلة من لخمير المعدة لركوب من يسير إلى الفساطط جملة عظيمة لا عهد لي بمثلاً في بلد ، فركب منها حماراً ، وأشار إلى أن أركب حماراً آخر ، فأنتفت من ذلك جرياً على عادة ماخلفته من بلاد المغرب ، فأعلمني أنه غير معيب على أعيان مصر .

(١) ذكرى حسن ، مقدمة كتاب المغرب في حلى المغرب ، ص ٢٨ م

وعاينت النقاء وأصحاب البزة والشارة النظارة ركوبها ، فركبت ، فمتعبا
استويت راكبا أشار المكاري على الحمار ، فطار بي ، وأثار من النبار الأسود
ما أعمى عيني ودمس ثيابي ، وعمايت ماكرهته . ولقاة معرفتي ركوب الحمار
وشدة صدره على قانون لم أعده ، وقلة رفق المكاري . وقمت في تلك الظلمة الماترة
من ذلك العجاج ، وقلت :

لقيت بمصر أشد البوار ركوب الحمار وكل النبار
وخلفى مكار يفوق الربا ح لا يعرف الرفق مهما استطار
أناديه مهلا فلا يرعوى إلى أن سجدت سجود العثار
وقد مد فوق رواق الثرى وألحد فيه ضياء النهار

فدعيت إلى المكاري أجرته ، وقلت له : إحسانك إلى أن تتركني أمشي على
رجلي ، ومشيت إلى أن بلغتاه ، وقدرت الطريق بين القاهرة والقسطاط ، وحقته
بعد ذلك ، نحو الميادين . ولما أنقلت على القسطاط أدبرت عن المبرة ، وتأملت
أسواراً مثلية سوداء . وأفاقاً منيرة ، ودخلت من بابها ، وهو دون ثلثي ، ينفض
إلى خراب مغمور بيمان مشقة الوضع ، غير مستقيمة الشوارع ، قد بنيت من
الطوب بالإدكن والقصب والنخيل ، طبقة فوق طبقة ، وحول أبوابها من التراب
الأسود والأزبال ما يفيض نفس التنظيف ، وينض طرف الطريف (١) :

(٢) البدرى (محمد بن محمد بن علي البنسي) في أواخر القرن السابع الهجري :

الرحلة المغربية : يرتفع نسب البدرى إلى بني عبد الدار بن قصي ، وكانت بالنسبة هي

(١) ابن سعيد ، المغرب في حل المغرب ، الجزء الأول من التتم الخامس بمصر ، ص ١٦٥ .

الحرى ، قح الطيب ، ج ٣ ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

موطن أسرته في بلاد الأندلس ، وكان أبوه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى بن هذيل العبدري (ولد في سنة ٨٥١٩) قد رحل إلى المشرق ، ونزل بمصر وسمع من السلفي وابن عوف ، فاحظ من علم اللغة (١). أما ابنه محمد صاحب الرحلة فقد حذا حذوه في السفر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج في سنة ٩٨٨ ، وبدأ رحلته من حاحة في السوس الأقصى ، واخترق المغرب الأقصى إلى تلمسان والجزائر وبهاية وقسنطينة وتونس ، ثم اخترق بلاد ليبيا برا حتى الإسكندرية ، ثم سلك الطريق البري من الاسكندرية إلى مكة ، وعاد إلى المغرب عن طريق فلسطين ومصر وليبيا. وقد وصف العبدري مدن المغرب ومصر وذكر آثارها ومآلها ، واهتم بوجه خاص بالنواحي الاجتماعية والعلمية ، فذكر الخصائص البارزة في سكان الأقاليم التي مر بها (٢).

وقد تحامل العبدري على مصر والمصريين وسب أهلها ، بطريقة فانت أسلافه من المغاربة أشال ابن جبير وابن سعيد . ويعتقد الأستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد أن ذم أهل مصر — إلى جانب فضائلها — أصبح موضوعا تقليديا هو الآخر ، بدأه الجاحظ ونقل عنه المتأخرون عندما قال : أهل مصر أعقل الناس صفارا وأحقهم كبارا ... (٣) . وأول ما وجهه العبدري من سباب لأهل مصر عندما تعرض لوصف ما لقيه على أيدي منتقبي المكوس ، فيقول : ومن الأمر المستغرب والحال الذي أفصح عن قلة دينهم أنهم يعترضون الحاجج ، ويمرعونهم من بحر الإهانة الملح الأجاج ، ويأخذون على وقدم الطرق والفجاج ،

(١) القرى ، ج ٢ ص ٤١٩

(٢) زكي محمد حسن ، الرحالة المسلمون ، ص ١٣٣ — قولاً زيادة ، الرحالة العرب ،

ص ١٠٥

(٣) سعد زغلول عبد الحميد ، ملاحظات عن مصر ، ص ١٠٨

يبحشون عما بأيديهم من مال ، وبأهرون بفتيش النساء والرجال ، وقد رأيت من ذلك يوم ورودنا عليهم ما اشتد له عجي ، وجعل الانفعال عنهم غاية أربي ، وذلك لما وصل إليها الركب جاءت شزيمة من الحرس ، لاحرس الله مهجتهم الخسيسة ، ولا أقدم منهم لأسد الآفات فريسة ، فدوا في الحجاج أيديهم ، وفشوا الرجال والنساء ، وألزمهم أنراعا من المظالم ، وأذاقهم ألوما من الهوان ، ثم استحلقوم وراء ذلك كله ، وما رأيت هذه العادة الذميمة ، والشيمة الثيبة في بلد من البلاد ، ولا رأيت في الناس أفسى قلوبا ، ولا أقبل حياء ومروءة ، ولا أكثر إعراضا عن الله سبحانه ، وبقفاء لأهل دينه من أهل هذا البلد ، (١) . وينقل لنا الأستاذ الدكتور سعد زغلول أمثلة من ذم العبدري لأهل مصر منها قوله في وصف القاهرة : « مدينة كبيرة القطر وساكنها يحاكي عدد الرمل ، وهي مع ذلك تصغر عن أن يسطر ذكرها في سطر . إن نظرت إلى صورتها ذكرت قول القائل :

بنات الطير أطولها رقابا . . . ولم تطل البراة ولا الصقور

وإن تأولت معناها ذكرت قوله :

وقد عظم البعير بغير لب . . . فلم يستغن بالعظم البعير

وإن تأملت إفراط عمارتها ذكرت قوله :

خشاش الطير أكثرها فراخا . . . وأم الصقر مقلال نوز

... وحسبنا شرا أنها جرين لحياة العباد ، ودعاء لنفاة البلاد ... سم النش مزوج في غسل النحل . خرجت عمارتها عن الحد المألوف ، وزادت كثيرا على

القدر المعروف . أما بنضهم الغريب ، وما ألوم على ذلك فأمر لا يحيط به علما .
إلا من عاينه ، ما رأيت بالمغرب الأقصى والأندلس على شكاسة أخلاقهم ، (١) .

وبيتنا نراه يذم مصر والمصريين نراه يمدح تونس وأهلها ، ففي مدحه لتونس
يقول : « ثم وصلنا إلى مدينة تونس مطمح الآمال ، ومصب كل برق ، ومخط
الرجال من الغرب والشرق ، وملتق الركاب والفلك وناظمة فضائل البرين في سلك ،
فان شئت أصحرت في صوكب ، وإن شئت أبحرت في مركب ، كأنها ملك
والأرباض لها إكليل ، وأرجاؤها روضة باكرتها ريح بليل » . (٢)
تونس يقول : « وما رأيت لأهلها نظيرا مرقا وغريبا ، شيئا فاضلة ، وأخلاقا
حميدة ، وقد كان الأخلق بمن شاهد أخلاقهم أن يطلب في وصفهم ، ويضرب عن
لم ينصهم الرداد وينصفهم ، إذ ذلك من بغض واجبه ، وأقل مراتبهم ، ولكن
الزمان لا يبين على توفية الحقوق ، ولا يتعمد الفراغ إلا أهل العقوق ... » ثم
يقارن بين أهل تونس وبين بعض من لم يؤتوا من الفضل ، معنيا بذلك أهل مصر :
« فسبحان من خلقهم وأهل تونس في طرفي قبيض ، أو تلك في الأوج وأولاه
في الخفيض » ، (٣) .

(٤) التوشريشي (أبو محمد عبد الله بن رشيد ، ت بعد عام ٧٠٠ هـ) : الرحلة .

التوشريشي من الرحالة المسافرة الذين رحلوا إلى المشرق الإسلامي ، وجاب
التوشريشي بلاد المغرب ومصر والشام فيما يقرب من عام ٦٧٣ هـ ، وسجل
ما شاهده في رحلته ، وترجم لمن لقيه في طريقه من أهل الأدب والعلم في كتابه

(١) سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٢) نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، ص ١٧٣ .

(٣) نقولا زيادة ، المرجع السابق : ص ١٧٦ .

ذ الرحلة ، الذى وصلت لئنا نسخ مخطوطة منه (١) . وتألف الرحلة من خمسة أجزاء منها جزآن فى مكتبة الاسكوريال تحت رقم ٣٩ هما الثالث والرابع (٢) .

(٥) ابن رشيد السبتي الفهرى (أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد (٨٧٢١هـ)

رحلة المغرب والأندلس . ولد فى سبتة فى سنة ٦٥٩ ، ونشأ فى بيئة علمية ، وكان خطيباً بليغاً وعالمًا فى الحديث ، وقد رحل إلى المشرق الإسلامى فى سنة ٦٨٢ هـ لأداء فريضة الحج والإتصال بالمدارس العلمية فى الحجاز والشام ومصر ، فأبحر من ثغر المرية إلى إفريقية ، فى رفقة الوزير أبو عبد الله بن الحكيم الرندى ، ومن إفريقية رحل إلى مصر والشام ، وأدى فريضة الحج . وعند عودته من الرحلة تولى قضاء المناكح بقرطاجنة ، ولكنه لم يلبث أن زهد فى القضاء ، فدخل إلى فاس ، وتوفى فيها فى ٢٣ محرم سنة ٨٧٢١ هـ ، ودفن خارج باب الفتوح من أبواب مدينة فاس ، وقد سجل رحلاته فى رحلتين : إحداهما طاف فيها بنواحى إفريقية . والثانية زار فيها بلاد الأندلس ، وقد ضمن مشاهداته ملاحظات خاصة بالأدب والتاريخ الطيعى (٣) .

(٦) البلوى (أبو البقاء خالد بن عيسى البلوى ، ت فى أواخر القرن الثامن

المجبرى) : « تاج المفرق فى تحلية علماء أهل المشرق » .

ولد البلوى فى بلدة قنتورية من حصون وادى المنصورة من أعمال غرناطة ، وكان من أهل الفضل والعلم ، فقتضى ببلده وبغيره ، ثم رحل إلى الحجاز لتأدية فريضة

(١) أنخل جتاك بالنثيا ، المرجع السابق ، ص ٣١٨ .

Pons Boigues, Historiadores y geógrafos arabigo españoles, (٢)

P. 314

(٣) Ibid. p. 317, 318 - أنخل جتاك بالنثيا ، ص ٣١٩

الحج في ١٨ صفر سنة ٧٣٦ هـ ، عن طريق بلاد المغرب ، مارا بتلسان وبجاية والجزائر وتونس . وهناك أبحر إلى الاسكندرية ، فنزل بها ، ثم رحل إلى القاهرة ، ومنها إلى بيت المقدس فالمدينة ومكة . وعاد من الحج إلى الاسكندرية ، وركب منها سفينة إلى طرابلس . ولكنه اضطر إلى العودة إلى الاسكندرية حيث أقام بها فترة طويلة ، إلى أن عزم على مغادرتها إلى تونس . وأقام بتونس زهاء عامين رحل بعدها إلى مسقط رأسه في أول ذي الحجة سنة ٧٤٠ بعد أن مر على بونة وقسنطينة وبجاية والجزائر ، وهناك سجل أخبار رحلته في كتاب بعنوان « تاج المرق في تحلية علماء أهل المشرق » ، وصف فيه ماشاهده في البلاد التي زارها ومن لقيه من علمائها وأدبائها ، معرزا كتابته بتأذج من أسفارهم وثرهم (١) ، ولكنه نقل كثيرا عن المهاد الأصفياني وصفوان وابن جبير . وقد انتقده ابن الخطيب ، وعاب عليه سطره على الرحالة السابقين ، وادراج ذلك في كتابه (٢) . ولرحلة البلوي سخران مخطوطتان في باريس ، ونسخة محفوظة في مكتبة القرويين بفاس ، ونسخة في جامع الزيتونة بتونس ، ونسخة بمدرسة الآداب بالجزائر .

وقد وصف البلوي في رحلته آثار القاهرة ، فذكر مبانيها ومساجدها ومدارسها ومبانيها ، ووصف بعض المشاهد ، كما وصف مارستان القاهرة وهو مارستان المنصور فلاون فقال : « ولو لم يكن للقاهرة ما تذكر به إلا المارستان وحده ، وهو قصر عظيم من القصور الرائعة حسنا وجمالا وآسما ، لم يعمد مثله لقطر من الانظار أحسن بناء ولا أبدع إنشاء ولا أكل انتهاء في الحسن » (٣) ، ثم

(١) ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان ، ج ١ ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٥٠٨ — Pons Boigues, op. cit. p. 320

(٢) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ص ٥٠٨

(٣) سعد زغلول عبد الحميد ، ملاحظات عن مصر ، ص ١١٠

يُرد صفحات كثيرة من رحلته في ذكر من لقيه من المشايخ في مصر . ويتم البولي بمدينة الاسكندرية اهتماما خاصا ، فيشير الى بنائها على أيام الاسكندر ، ويصف منار الاسكندرية المشهور .

(٧) أبو حامد الفرناطي (أبو عبد الله بن عبد الرحيم ، ت ٥٦٥ هـ)
د تحفة الالباب ونخبة الاعجاب .

ولد أبو حامد الفرناطي بفرناطة في عام ٧٣٠ هـ ، ورحل الى الاسكندرية في سنة ٥٠٨ هـ وسمع بها من أبي عبد الله الرازي ، وسمع بمصر من أبي صادق مرشد ابن يحيى المديني وأبي الحسن الفراء الموصلی ، وأبي عبد الله محمد بن بركات ابن هلال التحوي وغيرهم . ثم رحل الى الشام ، وحدث بدمشق ، وسمع أيضا بها ببنداد (١) . وفي سنة ٥١١ هـ نزل بصقلية ، ثم عاد الى مصر ، وفي سنة ٥٢٥ هـ طاف بكثير من الاقطار ، فاجتاز بحر قزوين ووصل الى صفاق القلجا ، وزار بلاد البلغار ، كما زار مدينة خوارزم .

وفي عام ٥٥٥ هـ زار بغداد مرة ثانية ، واستضافه الوزير يحيى بن محمد بن هيرة ، فألف له الفرناطي كتابا بعنوان « المغرب عن بعض عجائب المغرب » ، ثم ألف بعد ذلك بعامين في الموصل كتابه المشهور « تحفة الالباب ونخبة الاعجاب » الذي توجد منه نسخة كثيرة مخطوطة في كثير من المكتبات الأوربية . ويتألف هذا الكتاب من مقدمة وأربعة أبواب ، الأول منها في صفة الدنيا وسكانها من إنسها وجانها ، والثاني في صفة عجائب البلدان وغرائب البنيان ، والثالث في صفة البحار وعجائب حيواناتها ، والرابع في صفات الحفائر والقبور (٢) .

(١) القرطبي ، فتح القليب ، ج ٣ ص ٥

(٢) Pons Boigues, op. cit. p. 229, 230

(٨) ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن محمد الرواسي الطنجي، ت ٧٧٠ هـ) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، (١)، المعروف برحلة ابن بطوطة.

هو أعظم الرحالة العرب وأشهرهم على الإطلاق وأكثرهم طوافاً في آفاق الأرض، وعناية بسرد تفصيلات مشاهداته في الرحلات التي قام بها خلال ثلاثين عاماً، ومراعاة لتسجيل ملاحظاته الخاصة بالأحوال الاقتصادية والاجتماعية للبلاد التي زارها.

ولد ابن بطوطة في مدينة طنجة في عام ٧٠٧ هـ، ونشأ في بيئة علمية، إذ كان معظم أفراد أسرته من أتباع لم تولى مناصب القضاء والنبوغ في العلوم الدينية. وقد أُرسل ابن بطوطة بالسفر والرحلة وهو بعد شاب في مستقبل عمره، فرحل عن وطنه في سنة ٧٢٥ هـ لإداء فريضة الحج، ولكن قدر له أن يقضي ما يقرب من ثلاثين سنة في رحلات متواصلة زار خلالها جميع ديار الإسلام بالإضافة إلى سيلان والهند والصين وآسيا الصغرى والقسطنطينية وبلاد القرم والقوقاز وبلاد البلغار، كما زار بخوارزم وبخارى وسمرقند من بلاد ماوراء النهر، وترمد وبلغ وهرارة وطوس ونيسابور من خراسان، وقد قطع هذه الرحلة للحج إلى مكة أربع مرات.

ثم عاد في خاتمة رحلته إلى تونس في صفر سنة ٧٥٠ هـ، وركب من تونس على مركب قطاني، برزت بحيرة سردانية، وانتهى به الأمر بعد مغامرات مشمرة إلى مدينة فاس حيث اتصل بالسلطان المريني أبي عنان. ولكنه لم يلبث أن حوّل

إلى الإنجليز حيث زار مالقة وغرناطة ، ثم عاد إلى فاس ، وهناك أوفد إلى بلاد
المريني في سفارة إلى بلاد السودان الغربي في أول سنة ١٧٥٣ هـ ، واستمر في هذه
الرحلة ما يقرب من عام ، وعاد إلى فاس في غضون سنة ١٧٥٤ هـ .
وفي بلاط السلطان المريني أمل ابن بطوطة كتاب الرحلة لمحمد بن بطوطة
الكلبي (المتوفى سنة ١٧٥٧ هـ) بإشارة من السلطان .

(١) التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد ، ت ٧١٨ هـ) : رحلة التجاني (١)

ينتسب عبد الله بن محمد التجاني صاحب الرحلة المعروفة إلى بيت التجاني من
أعظم بيوتات تونس ، وكانوا في الأصل ينتسبون إلى قبيلة « تمان » المغربية ،
وأول من قدم منهم إلى تونس هو أبو القاسم التجاني ، إذ اشترك في الجيش الذي سيده
عبد المؤمن الموحدى لفتح إفريقيا ، ثم استقر التجانيون في تونس ، وشاركوا في
النهضة العلمية التونسية في عصر الموحدين ثم في عصر بني حفص (٢) .

وظهر التجاني في عهد السلطان محمد المعروف بأبي عصيدة ، فاستصفاه شيخ
الموحدين الأُمير أبو يحيى زكريا بن الحياتي لنفسه ، وأدى منزله إليه ، وصحبه
التجاني عندما عزم على فقد بلاده استعداداً لمحاربة الأسبان المنتصبين لجزيرة
جربة ، وذلك في سنة ٧٠٦ هـ ، ودامت رحلة التجاني عامين وثمانية أشهر
وبضعة أيام .

وقد سجل التجاني في رحلته مشاهداته في البلاد الإفريقية ، ودون أطلالها
بأسلوب سلس ، واهتم بوصف العمران التونسي في رحلته في المدن والقرى مع

(١) تحقيق الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس ١٩٥٨ .

(٢) راجع مقدمة الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب لرحلة التجاني ص ٣ - ١٩ م .

الشريف بأخبارها التاريخية وذكر التابئين من أبنائها . ويזור التجاني الساحل
التونسي ماراً بصفاقس ، ثم ينحدر جنوباً إلى قابس وجزيرة جربة ، فيصفها
وصفاً رائعاً ، ويتعرض لعادات أهلها ومذهبهم ، ثم يدخل في الواحات الجنوبية ،
ويقطع سبخة تاكروت ، ويصل بعد ذلك إلى طرابلس ، ويقيم فيها فترة من
الوقت ، يتصل خلالها بعلماء المدينة وأول الفضل من أهلها ، ثم يعود إلى وطنه ،
وإصفا ما مر به في طريقه حتى يصل إلى تونس (١) .

(١) حسن حتى عيد الزهّاب ، القصة السابقة من ١١ م - ١٤ م .

(٥)

الشعر العربي وكتب الأدب

يعتبر الشعر العربي في الجاهلية من المصادر الهامة لتاريخ العرب وخصائصهم في ذلك العصر ، إذ يصور لنا كثيراً من أحوال العرب الاجتماعية والدينية ، كما يصور لنا طبائعهم وأخلاقهم . والشعر الجاهلي ديوان العرب ، (١) لأنه سجل لأخلاقهم ، وعاداتهم ، وعقليتهم ، وبه حفظت الأنساب وعرفت المآثر ، وفيه ذكر لأيام العرب ووقائعهم ، وهو لذلك السبب مرآة تنعكس عليها صور خيالاتهم في السلم وفي الحرب .

وعلى الرغم من أن الشعر الجاهلي تعرض للضياع ، إذ ترك يتناقل على السنة الرواة نحو قرنين من الزمان إلى أن دون في تاريخ متأخر ، وعلى الرغم من أن ما وصلنا منه على قلته مشكوك في أصالته ، منحول عليه (٢) ، لعوامل دينية وسياسية وجنسية (٣) ، فإن ما وصلنا من الشعر العربي الجاهلي منحولا كان أو أصيلاً ، يعتبر مصدراً أساسياً لتصوير حياة العرب في الجاهلية ، ذلك أن التأملين بتزييفه كانوا يحرصون على أن يقدوا خصائص الشعر الجاهلي المنبرية والفنية في مهارة وحذق ، لدرجة أن الناقد يصعب عليه أن يفرق بين قول للزيف وقول الجاهلي .

(١) الفرغلي ، جبهة القطار العرب ، يولاق ، ١٣٣٨ هـ ، ص ٣ - أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ص ٥٧ .

(٢) طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، القاهرة ١٩٢٧ م ص ٦٤

(٣) أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ص ٥٠ - ضحى الإسلام ، ج ٢ ، ص ٢٧٤ .

والشعر مصدر هام يعين الباحث في التاريخ على تصور ما كانت عليه الآثار المختلفة من قصور ومنزهات وبرك ومنيات ، وكثيراً ما يتضمن أسماء مواضع تعين أيضاً على تحديد المعالم الهامة للديانة المراد دراستها ، فهذا هو الوزير أبو الوليد ابن زيدون ، وقد ثار به الوجد والحب أثناء فراره من قرطبة يوم العيد ، يحن إلى ذكرياته مع ولادة بنت المستكفي بالله ، فيذكر معاهد كان يخرج إليها ويتفرج بها فيقول :

خليلي لا فطر ينز ولا أضحي	فأحال من أمسى مشوقاً كما أضحي
لئن شأني شرق العقاب فلم أزل	أخص بمخوض الهوى ذلك السفاح
وما انفك جوف الرصافة مشعري	دواعي بث يعقب الأسف البرح
ويحتاج قبر الفارسي صبابة	لقلبي لا يألو زناد الأمل قدحا
وليس ذمياً عهد عيسى ناصح	فأقبل في فرط الولوع به نصحا
كأنني لم أشهد لدى عين شهدة	زوال عتاب كان آخره الفتاح
وقائع جهنم التي فأن مشي	فغير خضرع بيننا أكد الصلحا
وأريام وحصل بالعقيق اقتضيه	فإن لم يكن ميعاده العيد فالنصحا
وأجسال الجبر في مائة مالك	معاطة بدمان إذا شئت أوسحا
ليدي بأكدم تصيح من صفحات	قوارير خضر خلتها مردت حرحا
معاهد لذات وأوطان صبرة	أجلت الملقى في الأمان بها قدحا
ألا عل إلى الزهراء أوبة نازح	تقضى نتائجها مدامعه نوحا
أجل إن ليلى فوق شاطئه يطة	لا تحصر من ليلى بآفة فاليطحا (١)

وتتضمن الأبيات السابقة أسماء مواضع كثيرة في قرطبة مثل العقاب ،

والرافقة ، والقصر الفارسي ، وبحس ناصح ، وحسن شهدة ، والشيخ ، و...
مالك ، وراكد ، والزهره ، أما بيطة فهو نهر قرطبة ، وآفة نهر وادي...
وسط الأندلس وغربها ويصب في الجنوب قريباً من بلدة ولة .

ويصف ابن فلافس السكندري (ت ٥٦٥ هـ) قصر بني خليف من قصور
الإسكندرية ، وكان قصراً واسع البناء ، عظيم الارتفاع وقد رما بناؤه ، وسما
ارتفاعه ، فيقول :

قصر بدرجة النسيم تحدث فيه الرياض برما المستور
خفض الخورق والسدير سموه وثني قصور الروم ذات قصور
لا تلام عامة مسكية وأم في أرض من الكافور (١)

أما كتب الأدب فقد تعرض الكثير منها لذكر روايات تاريخية خاصة
بالبليدان ، وبعض القضايا التاريخية والاجتماعية والاقتصادية التي تعين الباحث في
التاريخ والحضارة الإسلامية على الإلمام بهذه الجوانب من الحضارة . ومن الكتب
الأدبية التي تعتبر مصادر هامة للتاريخ الإسلامي ما يلي :

١ - كتاب الحيوان ، وكتاب البيان والتهيين ، وكتاب التبهر بالتجارة ،
وكتاب التاج في أخلاق الملوك ، للجاحظ .

٢ - كتاب عيون الأخبار ، وكتاب الإمامة والسياسة ، وكتاب الشعر
والشعراء ، وكتاب المعارف لابن قتيبة الدينوري .

٣ - كتاب فح الطيب من غصن أندلس الرطيب ، وكتاب أزهار الرياض
في أخبار القاضي عياض للقرى .

- ٤ - كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لابن بسام الشنتريني .
 - ٥ - كتاب طوق الحمامة لعلی بن أحمد بن حزم .
 - ٦ - كتاب فلاح العقیان ، وكتاب مطمح الانفس ومسرح التأمل فی ملح
أهل الأندلس ، لفتح بن عافان .
 - ٧ - كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهانی .
 - ٨ - كتاب الكامل للبرد محمد بن یزید .
- هذه الكتب الأدبية لا تخلو من روايات تاريخية عن العرب وأيامهم ،
وأديانهم ، وأشعارهم ، وأمثالهم ، وأغانيهم ، وسيرهم ، في الجاهلية والإسلام ،
وهي لهذا السبب تعتبر مصادر رئيسية للتاريخ .

(٦)

كتب الخراج والحجبة والقطا

وصلت إلينا بعض كتب تعالج النظم الاقتصادية للدولة العربية من الناحية النظرية أو التطبيقية (١). وهي كتب لها أهميتها لإيضاح الجانب الاقتصادي من الحضارة الإسلامية. والخراج ضريبة كانت تفرض على أراضي المغلوبين، وتعني ضريبة ما يخرج من الأرض، وكان يطلق عليها ضريبة من قبيل التجاوز، وكانت تدفع إما مالا أو عينا من حنطة وصدل وزيت، وتطبق ضريبة الخراج على الأرض المفتوحة عنوة إذا لم تقسم على الفاتحين، وعلى الأرض التي ملكها المسلمون بعد أن صالحوا أهلها على خراج معلوم يؤديه كل سنة إلى بيت المال. وكانت هناك أراض لم يشملها الخراج أو أعيت منه إلا العشر من ثمارها ومحصولاتها وتعرف بالأراضي العشرية، وهي الأراضي التي أسلم أهلها وهم عليها بدون حرب، والأرض التي فتحت عنوة وقسمها الخليفة على الفاتحين، والأرض التي أخذت عنوة من المشركين وملكها المسلمون ودفعوا العشر من غلتها (٢). وكان تحديد ضريبة الخراج يتوقف على حالة الأرض، ومقدار خصوبتها، وكانت أرض السواد أغنى مقاطعات الدولة العربية الإسلامية، وكان حد السواد يبدأ من مخرم الموصل حتى ساحل البحر ببلاد عبادان من شرق الدجلة ومن أرض

(١) عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، ج ١ ص ٣٦.

(٢) راجع مولوي حسين، الإدارة العربية، ترجمة دكتور إبراهيم العلوي، القاهرة.

١٩٥٨ م - وما يليها - حسن إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، القاهرة ١٩٢٩.

٢٦٥ وما يليها.

حلوان إلى منتهى طرف القادسية المتصل بعذيب (١) .
ومن أهم كتب الخراج :

- ١ — كتاب الخراج لأبي يوسف (يعقوب بن إبراهيم ، ت ١٩٢ هـ) (٢) ،
وهو كتاب يتضمن اختباراً عامة عن فتوح البلدان وما يتعلق بها من نظام الخراج .
- ٢ — كتاب الخراج وصناعة الكتابة ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر (٣) .
(ت ٢٢٧ هـ) الذي تناول فيه المصنف ملكة الإسلام وما جاورها ونظام النفوس .
- ٣ — كتاب الأحكام السلطانية لأبي الحسن الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) (٤) .
وقد تناول فيه عدة موضوعات كالخلافة والقضاء والنظام المالي .
- ٤ — أحيب الكتاب لأبي بكر محمد بن يحيى الصيرفي (ت ٣٣٦ هـ) (٥) .
وقد استعرض في الجزء الثالث منه وجوه الأموال التي تحمّل إلى بيت المال
وأصنافها وأحكام الأرضين وبلغ الخراج في مصر والسود والتمبالات ..

لما كتب الخطط ، فهي كتب تبحث في المواضع المحددة من الأرض التي تنزلها
الأسرة الزاجدة أو القليلة الراحنة أو أصحاب حرفة معينة ، وكتب الخطط تعين
الباحث في العمران المدني وفي التخطيط ، وفي دراسة المنشآت المعمارية والمعالم
الطوغرافية في العصر الإسلامي . ومن أقدم من كتب في التخطيط ابن عبد الحكم
(ت ٢٥٧) في كتابه فتوح مصر والمغرب والإندلس ، الذي استعرض فيه خطط

(١) الصولي ، أدب الكتاب ، ص ٢١٩ .

(٢) طبعة بولاق ١٣٠٢ هـ .

(٣) مصر في الجزء السادس من المكتبة الجغرافية العربية ، تحقيق دي طوية ،
لندن ١٨٨٩ .

(٤) القاهرة ، ١٢٩٨ هـ .

(٥) تحقيق محمد بهجة الأثري ، القاهرة ١٣٤١ هـ .

النسطاط ، وروايته في خطط مصر أول مادة لكتابة الخطوط (١) . ويلى ابن عبد الحكم في الاهتمام بالخط من مؤرخى العرب البلاذرى (ت ٢٧٩) ، في فتوح البلدان ، إذ ضمن كتابه فصلا عن خطط البصرة وفصلا آخر عن خطط الكوفة . ومنهم الكندى (ت ٢٥٠) وابن زولاق (ت ٣٨٨ هـ) اللذان يعتبران أول من عنى بعد ابن عبد الحكم بكتابة تاريخ الخطوط المصرية ، ولكن مؤلفيهما لم يصل إلينا . ومن المعروف أن ابن زولاق تناول موضوع الخطوط بنوع من الإفاضة والتوسع ، وكان أول من تناول من كتاب الخطوط إنشاء القاهرة المعزية (٢) . ويلى ابن زولاق في طبقات كتاب الخطوط المصرية المؤرخ الأمير عز الملك المسبحى (ت ٤٢٠ هـ) الذى ألف كتاباً بعنوان « أخبار مصر » ضمنه كثير آ من خطط مصر وآثارها ومعاهدها . ثم كتب القضاعى (ت ٤٥٤) عن خطط مصر ، فألف كتاباً بعنوان « المختار في ذكر الخطوط والآثار » لم يصلنا منه غير لبذ نقلها عنه بعض الكتاب المتأخرين أمثال القلقشندى والمقرئى .

وأشار المقرئى أشهر كتاب الخطوط المصرية إلى مؤرخ الخطوط كان يعيش في العصر الفاطمى والاموى هو محمد بن أسعد الجوائى (ت ٥٨٨) ذكر عنه أنه ألف كتاباً بعنوان : « النقط بعجم ما أشكل من الخطوط » . وفى هذا العصر كتب مؤرخ أرمنى هو أبو صالح الأرمنى كتاباً عن تاريخ الكنائس والأديرة في مصر ، وصل إلينا جزء منه . ووضع منذ ذلك الحين الاهتمام بكتابة الخطوط المصرية ، فظهر من كتابها يحيى الدين بن عبد الظاهر (٣) (ت ٦٩٢) ، وتاج الدين محمد بن

(١) محمد عبد الله عنان ، مصر الإسلامية وتاريخ الخطوط المصرية ، القاهرة ، ١٩٣١ ، ص ٢٢

(٢) نفسه ، ص ٣٥

(٣) ينسب إليه كتاب بعنوان « الروضة الزاهرة في خطط المعزية القاهرة » لم يصل إلينا .

عبد الوداد بن المتوج (١) (ت ٧٣٠ هـ) ، وابن رصيف شاه (ت في أواخر القرن السابع الهجري) ، وابن الجيعان (ت في أواخر القرن الثامن) ، وابن دقان (ت ٨٠٩ هـ) ، الذي وصل إلينا كتابه «الانتصار لواسطة قند الأمصار» ، ثم الشهاب أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدي (ت ٨٦١ هـ) الذي يزعم السخاوي أن المقرئ ظفر بمسودة له في خطط مصر ، نسبها لنفسه (٢) .

وأشهر كتب الخطط المصرية على الإطلاق كتاب «المراغط والاعتبار بذكر الخطط والآثار» ، لتقي الدين المقرئ (ت ٨٤٥ هـ) ، وكتابه سجل هام للندن المصرية وأحيائها ومنشأتها وتطور عمراتها في العصور المختلفة ، وفيه ذكر البنية والمؤسسين والأمراء الحاكمة في مصر . ومن أشهر كتب الخطط بعد المقرئ شمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢ هـ) الذي ألف في جملة مآلفه كتاباً بعنوان «تحفة الأحباب وبنية الطلاب في الخطط والمزارات ، والبقاع المباركات» ، ضمنه وصفاً لخطط المزارات والأضرحة والمشاهد المقدسة ، ووصف كثير من شوارع القاهرة وآثارها من زوايا ومدافن ومساجد وأسبلة وروابط ، وقد وصلت إلينا من هذا الكتاب نسختان خطيتان محفوظتان في دار الكتب المصرية . ومنهم أيضاً جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) صاحب كتاب «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة» الذي تعرض فيه لذكر علماء مصر وخططها وآثارها ، ومنهم ابن إياس (ت ٩٣٠ هـ) في كتابه «نشق الأزهار في عجائب الاقطار» ، وقد وصلت إلينا منه نسخة خطية بعنوان «خريدة العجائب وبنية الطالب» ، محفوظة في دار الكتب

(١) ألف كتاباً بعنوان «إيقاظ النفل وأساطير التأمل في الخطط» استقى منه المقرئ كثيراً من مادته .

(٢) راجع الاعلان بالتوثيق ، ص ٦٤٧ من كتاب «علم التاريخ عند المسلمين» .

المصرية (١).

هذا وقد أشرنا إلى كثير من كتب المخطط الخاصة ببلدان العالم الاسلامي المختلفة في الفصل الذي أفردناه للتاريخ المحلي .

أما كتب الحسبة ، فقولنا تعرض لنا صورا شيقة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في العصر الاسلامي ، ومن المعروف أن الحسبة في الأصل كانت تعنى الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله (٢) ، ثم تعدت هذه الوظيفة هذا المعنى الديني إلى أمور مادية تتفق مع مصالح المسلمين ، فأصبحت الحسبة أشبه بخدمة اجتماعية اقتصادية لسكان المدن مثل المحافظة على النظافة في الطرق ومراقبة الأسواق ، والكشف عن صحة الموازين والمكاييل ، والرأفة بالحيوان ، ومنع معلى الصبيان من ضرب الأطفال ضربا شديدا ، ومنع الناس من شرب الخمر ، ولكن العمل الاساسي للحسب لم يلبث أن تطور بعد أن تعقدت الحياة في المجتمع الاسلامي ، فأصبح عمله الاساسي اقتصاديا يقوم على منع الغش في الصناعة والمعاملات وخاصة الاشراف على الموفزين والمكاييل ومحتبا ونسبها (٣) ، وكان الحسب يسير بنفسه في الأسواق ومعه أعوانه من الخبراء في شؤون الأسواق ، للكشف عن المدلسين . ومعاقبهم .

واقعد وصلنا بعض كتب في الحسبة منها :

١ - كتاب معالم القرية في أحكام الحسبة ، لمحمد بن محمد القرشي المعروف

(١) راجع : محمد اده صنان، جسر الإصلاح وتاريخ المخطط المصرية ، ص ٥٩ - ٦٤

(٢) ابراهيم منقوش القهاوي ، الحسبة في الاسلام ، القاهرة ١٩٦٢ ص ٩

(٣) عبد النعم ماجد ، تاريخ الحجازة الايلاية ، ص ٩٥

بابن الاخوة (١) .

٢ — كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة لعبد الرحمن الشينري (٢) .

٣ — كتاب آداب الحسبة لابن عبدون (٣) .

٤ — كتاب الحسبة في الاسلام ، لاحمد بن تيمية (٤) .

(١) يطلع بروين ليفي في مجموعته .

(٢) نشره الدكتور الباز العريق ، القاهرة ١٩٤٦

(٣) النص العربي نشره ليفي بروفسال تحت عنوان :

Un document sur la vie urbaine à séville, au début du XI^e siècle, Journal Asiatique Avril - Juin, 1934, . . .

(٤) القاهرة ١٣١٨ هـ

ملحقات:

أولاً: مقتطفات من الكتابات التاريخية:

- (١) أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي
- (٢) وهب بن منبه وعبيد بن شربة الجرهمي
- (٣) أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الحمذاني
- (٤) حمزة بن الحسن الأصفهاني وعريب بن سعد القرطبي
- (٥) ابن الأثير وجماء الدين بن شداد
- (٦) عبد الله بن بلقين بن باديس بن جبوس بن زيري
- (٧) أبو مروان حيان بن خلف المعروف بابن حيان

ثانياً: مقتطفات من كتب الجغرافيين والرحالة:

- (١) أخبار الصين والهند للجغرافي مجهول من القرن الثالث الهجري
- (٢) كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأمدلس لمحمد بن أيوب بن غالب
- (٣) وصف مصر الفسطاط من كتاب سفر تامة لناصر خسرو علوي
- (٤) وصف مدينة سوسة من رحلة التجاني

مقتطفات من السكتابات التاريخية

(١)

أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي

فعل من فضل الخيل (من كتاب أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام
وأخبارها) (١) .

• أخبرنا (٢) أبو الحسين محمد بن عبد الواحد بن رزمة البزار ،
إجازة ، قال : حدثنا أبو محمد علي بن عبد الله بن العباس بن العباس بن المغيرة
السياني الجوهري (من كتابه يزيداد في منزله قراءة عليه) ، قال : حدثنا أبو
الحسن الأندلسي ، قال : حدثنا محمد بن صالح بن الطاح (مولى جعفر بن سليمان
ابن علي بن عبد الله بن عباس) ، قال :
أخبرنا هشام بن محمد بن السائب عن أبيه ، قال :

هذا كتاب أنساب فيحول الخيل في الجاهلية والإسلام .

كانت العرب تربط الخيل في الجاهلية والإسلام معرفة بفضلها ، وما جعل
الله تعالى فيها من العز ، وتشرفا بها ، وتصبر على المحنة والأواء وتحصها
وتكرما وتؤثرها على الأهلين والأولاد ، وتفتخر بذلك في أشعارها ، وتمتد لها .
فلم تزل على ذلك من حب الخيل ، ومعرفة فضلها ، حتى بعث الله نبيه
(عليه السلام) ، فأمره الله باتخاذها وارتباطها ، فقال : « وأعدوا لهم ما استطعتم
من قوة ورباط الخيل » فهبون به عندوا الله وعدوكم ، فاتخذ رسول الله (عليه والسلام)

(١) تحقيق أحمد زكي باشا ، القاهرة ١٩٤٦

(٢) يعني موهوب بن أحمد بن محمد بن الحنفير الجواليقي .

الخيل وارتبطها ، وأعجب بها ، وحض عليها ، وأعلم المسلمين ما لهم في ذلك من
الاجر والنعمة ، وفضلها في السهان على أصحابها ، فجعل للفرس سهمين ،
ولصاحبه سهما .

فارتبطها المسلمون ، وأسرعوا إلى ذلك ، وعرفوا ما لهم فيه ، ورجوا عليه :
من الثواب من الله (عز وجل) والشهيد في الرزق .

ثم رآهم عليها رسول الله ، وجعل لها سبقة ، وتراهم عليها أصحابه . وجاءت
الأحاديث متصلة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

حدثنا الأسدي . قال : حدثنا محمد بن صالح (بن الطلاح) ، قال : قال هشام
ابن محمد : فحدثنا إبراهيم بن سليمان عن الأحوص بن حكيم عن أبيه عن جبير بن
نفير عن عبد الرحمن بن عائذ الثمالي ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :
« الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة . وأهلها ممانون عليها . فامسحوا
بنواصيها ، وادعوا لها بالبركة » . وحدثنا الواقدي عن عبد الله بن عمر عن سبيل
ابن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :
« الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة » (وأهلها ممانون عليها ، والمنفق
عليها كالباسط يده بالصدقة) .

وحدثنا الواقدي ، قال : حدثنا أبو عبد الله القرشي عن أبي جعفر محمد بن
علي بن حسين عن أبيه ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « من هم
أن يرتبط فرسا في سبيل الله بنية صادقة ، أعطى أجر شهيد » .

وحدثنا الواقدي ، قال : حدثنا أسامة بن زيد عن يحيى الغساني ، قال : قال
رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « من ارتبط فرسا في سبيل الله ، كان له مثل
أجر الصائم القائم والباسط يده بالصدقة ، ما دام ينفق على فرسه » .

وما جاء فيها من الأحاديث أكثر من ذلك ، مما نعرضنا الله . (١)

فصل في أشهر الخيول عند العرب

(من كتاب أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها) .

وكانت خيول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خمسة أفراس :

لزاز ، ولخاف ، والمرجيز ، وإنياسي المرجيز بحسن صيغته ، والسكب ،
واليسوب (وكلها معدودة من خيل بني هاشم) .

وحدثنا السكبي محمد بن السائب ، وأبو حمزة الثمال ، وأبان بن تغلب ، وغيرهم
بأسماء الخيل المشهورة المعروفة المنسوبة ، وخيول العرب ، لا يختلفون في ذلك ،
ووعدنا في أشعار العرب دلائل على ما قالوا .

كان منها في فريش :

خيول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . ومنها الورد (من خيل بني هاشم) فرس
حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وهو من بنات ذئ العقال ولد أعرج . وقال
في ذلك حمزة :

ليس عندي إلا سلاح وورد . . . فارج من بنات ذئ العقال
أنتى دونه المنايا بنفسى . . . وهو ذو بنى صدور العوال
(جرشع ، ما أصابت الحرب منه . . . حين تحمى أبطالها لأبنايا)
فإذا ما هلك ، كان ترأى . . . وسجلا محمودة من سجالي *
أعرج كان سيد الخيل المشهورة ، وأنه كان لملك من ملوك كندة ، ففزا

بنى سليم يوم علاف، فزموه وأخذوا أعوج . فكان أوله لبنى هلال، ولهم نتجوه .

وأمة سبل بنت فياض، كانت لبنى جعدة .

وأم (سواده أم) سبل مسامة . فرده بنو سليم الى بنى هلال، فأجاد فى

سله . ومنه انتشرت جياذ خيول العرب .

وكان فيما سموا لنا من جياذ فحولها وإناثها المنجيات : الغراب والوجه

ولأحق والمنهب ومكنوم، وكانت هذه جميعا لفتى بن أعصر بن سعد بن قيس

ابن عيلان . فقال طفيل الغنوى :

بنات والغراب، والوجه، ولأحق . . . وه أعوج . . . تنمى نبة المنسب

وقال :

دقاق كأمثال المراحين ضر . . ذخائر ما أبقى الغراب ومذهب

أبو من مكنوم وأعوج أنجبا . . ورادا وحوا ليس فيهن مغرب

وفيه يقول جرير بن النخعي :

إن الجياد يتن حول قبائنا . . من آل أعوج أولئى المقال

ومنها جلوى (الكبرى وهى أم داحس) (من خيل بنى حنظلة) . وكانت لبنى

ثعلبة بن يربوع (لقرواش بن عوف بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع) .

ومنها داحس (من خيل غطفان بن سعد) ، وهو ابن ذى الشمال ، وأمه

جلوى الكبرى . وله حديث طويل فى حرب غطفان ، (١)

فصل فى رواية عبارة المؤمناء عند العرب : (عن كتاب الأصنام) (٢)

قال هشام بن محمد الكلبي : « حدثنا أبو يونس — وقد أثبت حديثهم جميعا —

(١) هشام بن محمد ، أنساب الجليل ، ص ١٩ - ٢٤

(٢) عتيق الأستاذ أحمد زكى ، طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٤ ، ونسخة مصورة

أصدرتها دار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥ .

أن إسماعيل بن إبراهيم (صلى الله عليهما) لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى ملأوا مكة ، ونفوا من كان بها من العالين ، ضاقت عنهم مكة . وقعت بينهم الحروب والعداوات ، وأخرج بعضهم بعضا ، ففسحوا في البلاد والتمس المعاش . وكان الذي سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم ، تعظيما للحرم ، وصباغة بمكة ، فحيثما حلوا ، وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة ، تيمنا منهم بها وصباغة بالحرم وحبا له . ولم بعد يعظمون الكعبة ومكة ، ويحجون ويعترون ، على إرث إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) .

ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا ، ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره . فعبدوا الأوثان ، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم . وانتجشوا ما كان يعبد قوم نوح (عليه السلام) منها ، على إرث ما بقي فيهم من ذكرها . وفيهم على ذلك بقايا من عبد إبراهيم وإسماعيل يتسكون بها : من تعظيم البيت ، والطواف به ، والحج ، والعمرة ، والوقوف على عرفة . ومزدلفة ، وإهداء البنن ، والإلهال بالحج والعمرة — مع إدخالهم فيه ما ليس منه .

فكانت نزار تقول إذا ما أملت :

• لبيك اللهم لبيك !

• لبيك لا شريك لك ! • لا شريك هو لك !

• تملكه وما ملك ! •

ويوجدونه بالتلبية ، ويدخلون معه آلهتهم ، ويجعلون ملكها يده . يقول الله

(عن وجيل) لثبته (صلى الله عليه وسلم): «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون»
أى ما يوحّدوننى بمعرفة حقى ، إلا جعلوا معى شريكاً من خلقى .

وكانت تلبية عك ، إذا خرجوا حججاً ، قدموا أمامهم غلامين أسودين من
غلمانهم ، فكانا أمام ركبهم .

فيقولان : نحن غربا بك

فتقول عك من بعدهما :

حك اليك عاتية ، عبادك العجائية ،

كيا نصح الثانية !

وكانت ربيعة إذا حجت فقصت المناسك ووقفت فى المواقف ، نفرت فى
الفقر الأول ، ولم تهم إلى آخر التشرىق .

فكان أول من غير دين اسماعيل عليه السلام ، فنصب الأوثان وسبب السابية ،
ووصل الوصيلة وبحر البهيرة وحى الحامية عمرو بن ربيعة ، وهو لحنى بن حارثة
ابن عمرو بن عاصم الأزدي ، وهو أبو خزاعة .

وكانت أم عمرو بن لحنى فهيرة بنت عمرو بن الحارث . ويقال قنعة بنت
مناض الجرمي . وكان الحارث هو الذى يلى أمر الكعبة ، فلما بلغ عمرو بن
لحنى نازعه فى الزلابة ، وقاتل جرهما بنى اسماعيل ، فظفر بهم وأجلاهم بين الكعبة ،
ونفاهم من بلاد مكة ، وتولى حجابة البيت بعدهم .

ثم لانه مرض مرضاً شديداً ، فقيل له إن باللقاء من الشمامحة إن أتيها ،
برأت . فأتاها فاستحم بها ، فبرأ . ووجد أهلها يعبدون الأصنام ، فقال :
ما هذه ! فقالوا تستسقى بها المطر ، وتستنصر بها على العدو ، فسألهم أن يعطوه
منها ، ففعلوا . فقدم بها مكة ، ونصبها حول الكعبة ، (١) .

(١) ابنه السكبي ، كتاب الأصنام ، ص ٨٠٦ .

(٢)

وهاب بن منبه وعبيد بن شريك الجرجسي

فصل عهد ملك شمر بر عيسى بن ناسر النعم: (من كتاب التيجان في ملوك حمير) (١)

وقال شمر يرثي أباه ناسر النعم:

بمضاني الأيك والسدر . . . ملك أشفي على فـدر
ما على الأرضين إن وثيت . . . عن سنا الدنيا أبي شمر
ماتت الدنيا لميتة . . . ونأى بالسمع والبصر
يا منار العز عدت صدى . . . بنـاوند ودينـور

ثم قفل بالجيش يريد أرض المغرب فأخذ على بابل ، ونزل بمندان ، وولى الملك شمر يرعش وهو تبع الأكبر الذي ذكره الله سبحانه في القرآن لأنه لم يقم للعرب قائم أحفظ لهم منه لم يكن عنده من العرب طرف أغنى وأقنى ، يتجاوز عن مسيئهم ، ويحسن إلى محسنهم ، فكان جميع العرب بنو قحطان وبنو عدنان ثماكرين لا يامه ، وكان أعقل من رؤوه من الملوك وأعلام همة ، وأبعدهم غورا ، وأشدهم مكرًا من حارب ، فضربت به العرب الأمثال ، وهو عندهم تبع الأكبر ، وإن كان قبله تبابعة عظام أعظم منه ، ولكن لمحبتهم فيه ، وعظمت في قلوبهم . وإن الصغد والكرد والخرز والوط والقوط كلهم ينو يافت بن نوح النبي صلى الله عليه وسلم يمشي إلى إخوانهم من بني يافت ، وإن كان منهم بأرضه أرمينية إلى بلجا وجاجا ، فقالوا لهم ألا تفضيئون لما نزل بنا من ناسر النعم ، سننا منا مائة ألف بكر ، وقتل منا مائة ألف مقاتل ، فأجابهم إخوانهم من بني يافت:

(١) طبعة جند آباد الدكن ١٣١٧ هـ

إلى النمرة والقيام ، وهم الترك والديلم والخور والحوز . وبلغ ذلك بنى فارس
ابن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح ، فاجتمعوا للسان الأعجمي ، وكرهوا أيام
التبابعة لما يكفونهم من السخرة في المغازي وغير ذلك من أصناف العمل من
المتاع والسلاح . فقدم بنو فارس قباذ بن شهربار الفارسي في الملك ، وتوجوه ،
وإن الصفد والكرد وأهل نهاوند ودينور عمدوا إلى قبر ناسر النعم فهدموه
وفرقوا رخامه وزجاجه وما كان فيه من جرح وغيره ، وبلغ ذلك شمر يرعش ،
فتذلل لله نذرا ليرفعن ذلك القبر بمجامع الرجال حتى يعود جبلا منيعا شامخا كما
كان ، وغضب غضبا شديدا ، وغضبت العرب لغضبه ، وكان بنى فارس
ناسر النعم بالرخام الأبيض والأحمر والجزع الأزرق والأحمر حتى جعله جبلا
منيعا شامخا ، وأمر جميع من حوله من القبائل ألا تقرب منه أو يقطنون حوله
فيدمونه وما حوله ، فأمر تبع شمر يرعش بالجيوش فبرزت ، وخرج جميع أهل
جزيرة العرب طوعا وخصبا لغضب شمر يرعش لمحبتهم فيه ، فخرج في عساكر
لم يجمع أحد مثله من التبابعة من بعد ذى القرنين ، وبلغ ذلك بنى يافث ، وقدمت
فارس قباذ إلى قتال تبع شمر يرعش ، وأقبل بنو يافث بأجمعهم يناصرون قباذ ،
وهو الترك والديلم والخور والفور والتبت والصفد والكرد والوط والحوز ،
وبلغ ذلك شمر يرعش ، وكان انتصاب قباذ بن شهربار ومن معه من فارس وبنى
يافث بجبال الري ، فسار تبع شمر يرعش حتى نزل بالمثل ، فخلف ابنه عمرا
الأقرن بالمثل في مائة ألف فارس ، وخلف ابنه صيفيا بهمن في مائة ألف ،
ثم سار فترك العراق الذي فيه جمع فارس وبنى يافث وتهد الجزيرة ، وأخذ
على الفرات يريد أرمينية . (٩) -

فصل في العرب العاربة والعرب المستعربة (من كتاب أخبار عبيد بن شربة) (١).
 وأمر معاوية كتابه أن يدونوا ما يحدث به عبيد بن شربة في كل مجلس سمر فيه
 مع معاوية — قال عبيد — سل يا أمير المؤمنين — قال معاوية ، فن العرب
 الصاربة ومن العرب المستعربة — قال يا معاوية أعلم أنت وغيرك من أولي
 العلم إنما هي عاد وثمود وطسم وجديس وإرم والعماليق وجرم وقحطان بن
 هود فهم كانوا أوائل الناس ، منهم يعرب الذي تكلم العربية كل أجدنه من يعرب
 ابن قحطان بن هود ، واليه تنسب العربية ، فقبل غربي لأنه يعرب ، أول من
 نطق بها وليس أحد غيره تكلم قبله بها ، فهذه الأجناس التي سميت لك تكلمت
 بكلام يعرب بن قحطان بن هود النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان اسماعيل ونقله
 أبوه إبراهيم صلى الله عليه وسلم من بلاده ، فأنزله بمكة ، فكنا نحن جرم أهل
 البلد الحرام ، فنشأ اسماعيل فينا وتكلم بكلام العربية وتزوج منا ، فجميع ولد
 اسماعيل من بنت مضاض بن عمرو الجرهمي ، واسماعيل وأبوه منا ، وأنتم
 يافريش منا ، والعرب بعضها من بعض — ألم تعلموا أنكم من ولد اسماعيل
 ابن إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، وإبراهيم نحن ولدناه ، وأبوه آزر واسمه تاريخ
 ابن ناحور بن أرغو بن شارخ بن فالخ بن عابر ، وهـ — وهود فهو أبونا وأبوكم ،
 فنحن ولدناكم ، وأنتم منا ونحن منكم قليل في كثير . قال معاوية : كأنك تحدث
 عن حديث الجاهلية . قال عبيد : يا أمير المؤمنين لك في الإسلام ما يفتيك عن
 ذلك ، فقد نحن الإسلام ما كان قبله كما نحن الشمس ضوء القمر . قال عزم عليك
 ألا تحدثني عما أسألك عنه . قال : يا أمير المؤمنين كان من خبر أهل بابل وانفراق
 ألسنة الناس أنه لما كثر ولد سام وبافث وحام أولاد نوح في بلاد الله ، وأراد

الله أن يفرقهم في البلدان ، ويخالف بين الستهم ، فبعث عليهم الأرواح الأربع .
قال معاوية : ما هذه الأرواح الأربعة ؟ قال الشمال والجنوب والصبا والدبور ،
فضمهم الأرواح الأربع من أربع جوانب من كل ناحية كانوا بها . مسافتهم
لجمعهم ببابل ، وكانوا بها ، هم مكثوا ثلاثة أيام بموج بعضهم في بعض ، وعلّوا
أن ذلك أمر من السماء ولا يدرون ما يراد بهم غير أنهم لا يشكون أن الله الذي
فعل بهم ذلك ، والله مظهر إرادته . فلما كان اليوم الرابع سمعوا من قبل صوتا
ينادي ألا إن الله مفرق بين الستكم ومسكنكم أطراف الأرض ، فأيا قد توجهوا .
وجها فكلامهم ولسانهم واحد . قال معاوية : وما كان اللسان يومئذ ؟ قال عبيد .
سرياني أوله وآخره . وهو لسان أينما آدم عليه السلام ونوح وإدريس (١) .

(٣)

أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني

فصل في ذكر مارب (من كتاب الكليل) (١)

ذكر مارب وهي مسكن سبأ الذي قال الله فيه : (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية . جنتان من عيين وشمال . كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) . وهي كثيرة العجائب . والجنتان من عيين السد ويساره وهما اليوم غاريمان (والغارمالة سافى وكذلك السامر في كتب أصحاب الشروط في شراء الارضين بفارهما) وإنما عفتا لما اندحق السد فارتفعتا عن أيدي السيول . قال الحسن الهمداني : وجدت في أحدهما عريق أراك ، وفي أصله جذع نخلة أسود قد كبست باقية السواق ، فقال بعض من كان معي لا أظنه إلا من بقايا نخل الجنتين . وما أحسب أنه بني من العصر القديم . وأما مقام الماء من مفاخر السد فيما بين الضياع فتأمة كان صانعها فرغ من عملها بالامس . ورأيت بناء أحد الصدفين باقياً ، وهو الذي يخرج منه الماء قائماً بحاله على أوتق ما كان ولا يتغير إلى أن يشاء الله عز وجل . وإنما وقع الكسر في العرم ، وقد بني من العرم شيء مما يصل إلى الجنة اليسرى يكون عرض أسفله خمس عشرة ذراعاً . قال تبارك وتعالى : (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم ، وبدلناهم بجنتهم جنتين ذوات أكل حطط وأثل وشيء من سدر قليل) قيل الخط الأراك والأثل الطرفاء والسدر المعروف

المرج وهو العلب وجمعه علوب ، والواحدة علبة . ومن أمثال العرب في الرجل المتبع الجانب : هو رجل لا ينافس علبه ولا يحلف ذلته ودومته (وهو الدوم وحله التبق والكبات) . وبها من الأراك ما ليس يبلد ، ومن الحمام المطوق في الأراك ما يجل عن الصفة . وكان السيل يجمع من أماكن كثيرة ومواضع جمة باليمن ، وقد ذكرناها مع انكسار السد في بعض كتبنا . وفيها يقول الأعشى :

ففي ذاك لسؤتسى أسوة ومأرب قفا عليها العرم
رغام بناء له حمير إذا جاءه ما قوم لم يرم
فأروى الحروث وإعناهم على ساعة ما قوم ينقسم
فعاشوا بذلك في غبطة لجارفهم جارف منوزم
فطبار القيول وقيلها يهباء فيها سراب يطم

وبروى : (وطار القيول وكيانها) . وكان العرم مستنداً إلى حائط واثراً ما بين مضاد بالمذاخر بمعازب من الصخر عظام ملحمة الأساس بالقطر . ويقول بعض العلماء أن بانيه لقمان بن عاد بن السكير ، ويقول بعض العلماء أن بانيه حمير والأزد بن الثوث ، من عقب كهلان . وقال أبو الطمحان يذكر مأرب :

أما ترى مأرباً ما كان أحسنه وما حوالبه من سور وبنيان
وقال علقمة :

من يأمن الحدثان بعد ملوك صرواح ومأرب
وكان بمأرب قصر سلحين والمجر والقشيب . قال علقمة : الذي بنى القشيب القشيب بن ذى خزقر قسمى به على حد الاختصار ، يراد موضع القشيب ، (١)

(٤)

محمزة بن الحسن الأصغر هاشمي وعربيه به سعد

فعل في ذكر ذي نواس وذو جرد (من كتاب تاريخ سني ملوك الأرض
والأنبياء) (١).

ثم ملك بعده (أي بعد ذي شنتر) ذو نواس في زمن فيروز بن بزدجرد
وعصر قصي بن كلاب . وذو نواس هو صاحب الأخدود والداعي من اليمن
إلى اليهود ، وكان نزل يثرب مجتازا بها ، فأعجبته اليهودية فتهود ، وحلته يهود
يثرب على غزو نجران لامتحان من بها من النصارى ، وقد كانوا أخذوا النصرانية
عن رجل توجه إليهم من جهة آل جفنة ملوك الشام ، فسار من هناك إليهم ،
وعرضهم على أخاديد احتفرها في الأرض ، وأضرما بيرانا ، فكان يعرف فيها
من أقام على النصرانية ، فأقن بهذا الصنيع على خلق كثير منهم ، وعدل منها إلى
دار الملكة باليمن . ثم إن رجلا من اليمن يقال له ذو ثعلبان ، عبر البحر إلى
ملك الحبشة ، وكان يدين بالنصرانية ، ففرح إليه الخبر بما ارتكبه ذو نواس من
النصارى ، فكاتب ملك الحبشة بذلك قيصر ملك الروم ، واستأذنه في أن يمر
خيلا إلى اليمن ، فأمره أن يخلف ذو ثعلبان على مملكته ويخرج بمن معه إلى اليمن
فيقيم بها ، فقصده ملك الحبشة اليمن في سبعين ألف فارس فأنهزم ذو نواس من
بين يديه ، فبعث إلى الطلب في أثره . فرصد حتى انتهى إلى البحر فاقنعه ،
فكان آخر العهد به ، وكان ملكه عشرين سنة وهو أعلم بحقائق الأمور .

فقام ذو جرد مكانه ، فهزموه أيضا وبعموه ، فالتجأ إلى البحر واتهمه ،

فكان ملك ذى جذن وذى نواس ثمان وعشرين سنة . فجميع سلوك خير ستة وعشرون ملكا في مدة ألفى وعشرين سنة ... (١) .

مثال منه الكتابة على المنهج المولى (قلا من كتاب صلة تاريخ الطبرى) (٢)
ثم دخلت سنة ٢٩٢ . ذكر ما دار في هذه السنة من أخبار بني العباس .
ففيها وجه صاحب البصرة إلى السلطان رجلا ذكر أنه أراد الخروج عليه ،
وصار إلى واسط مخالفا بها ، فأقصد إليه من يقبض عليه وعلى قوم ذكروا أنهم
بإيعوه ، ووجه بهم إلى بغداد ، فحمل هذا الرجل على فالج وبين يديه ابن له صبي
على جل ومعه سبعة وثلاثون رجلا على جمال ، عليهم برانس الحرر ، وأكثرهم
يستغيت ويكنى ويحلف إنه برى ، فأمر المكتنى بحبسهم . وفي هذه السنة أغارت
الروم على مرعش ونواحيا ، فنفر أهل المصيصة وطرسوس ، فأصيبت جماعة
من المسلمين ، فيهم أبو الرجال بن أبي بكار . وفيها اتى محمد بن سليمان الكاتب
إلى أحواز مصر لحرب هارون ، ووجه إليه المكتنى في البحر دياره ، وأمره
بدخول النيل ، وقطع المواد عن من يهر من الجند ، فمضى وقطع عن أهل مصر
الميرة ، وزحف إليهم محمد بن سليمان على الظهر حتى دنا من القسطنطينية ، وكانت
القواد الذين بها ، فخرج إليه بدر الحامى وكان رئيس القوم ، ثم تابع قواد مصر
بالخروج إليه والاستئمان له ، فلما رأى ذلك هارون ومن بقى معه ، خرجوا
عاريين محمد بن سليمان وكانت بينهم وقعات ، ثم إنهما وقعت بين أصحاب هارون
في بعض الأيام غصية اقتتلوا فيها ، فخرج إليهم هارون ليسكنهم ، فرماه بعض

(١) حجة الأمهات ، ص ٨٨ ، ٨٩

(٢) تحقيق دى غوييه ، لين ١٨٩٧

المغاربة بسهم نقتله ، وبلغ محمد بن سليمان الخير ، فدخلهم من هذه القلاع ، واحتروا على دور آل طولون وأموالهم ، وقبض على جميعهم ، وهم خمسة عشر رجلا ، قتيدهم وحبسهم ، واستصفي أموالهم ، وكتب بالفتوح إلى الملك ، وكانت هذه الرقعة في صفر . وكتب إلى محمد بن سليمان في إخصاص آل طولون إلى بغداد ، وألا يبقى منهم أحدا بمصر ولا الشام . ففعل ذلك . ولتلك خلون من ربيع الأول سقط الحائط من الجسر الأول على جهة القرمطى وهو مصلوب فطحنه ، ولم يبق منه شيء . وفي شهر رمضان ورد الخبر على السلطان بأن قائدا من القواد المصريين يعرف بالخليجي ويسمى إبراهيم تخلف عن محمد بن سليمان في آخر حدود مصر مع جماعة استألفهم من الجند وغيرهم ومضى إلى مصر مخالفا للسلطان ، وكان معه في طريقه جماعة أحبوا الفتنة ، حتى كثر جمعه ، فلما صار إلى مصر أراد عيسى النوشري محاربهه ، فعجز عن ذلك لكثرة من كان مع ابن الخليجي . فأنحاز عنه إلى الاسكندرية ، وأخذ مصر ، فدخلها الخليجي ، وفيها تدب السلطان لمحاربة الخليجي وإصلاح أمر المغرب فاتمكا مولى المعتضد ، وهم إليه بدرا الحماي وجعله مشيرا عليه فيما يعمل به ، وتدب معه جماعة من القواد وجندا كثيرا وخلع على قائكه وعزل بدر الحماي لسبع خلون من شوال ، وأمرها بسرعة الخروج وتجهيل السير ، فخرجوا لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال ، والنصف من شوال دخل رستم مدينة طرسوس وأبلى عليها وعلى الثغور الشامية . وفيها كان الفداء بين المستدين والروم لست بقين من ذي القعدة ، ففرقوا من المسلمين ألف ومائتا نفس ، ثم غدر الروم وانصرفوا ، ورجع المسلمون بن في أيديهم من أسارى الروم . وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك ابن عبد الله بن العباس بن محمد .

ثم دخلت سنة ٢٩٣ . ذكر ما دار في هذه السنة من أخبار بني العباس .

ففيها ورد الخبر بأن الخليجي المتقلب على مصر واقع أحمد بن كيغلف وجماعة من القواد بالقرب من العريش ، فهدمهم الخليجي أقيع مزينة ، فندب السلطان ان للخروج إليه جماعة من القواد المقيمين بمدينة السلام فيم ابراهيم بن كيغلف وغيره . وفي شهر ربيع الاول من هذا السنة ... (١) .

(١) عريب بن سعد ، مختصر تاريخ الطبري ، ص ٧ - ٩

(٥)

ابن الأثير وبهاء الدين بن شراح

فصل في ملك أسد الديعة نهر الإسكندرية (نقلا عن التاريخ الباهر في الدولة
الأتاكية لمز الدين ابن الأثير الجوزي (١) . وهذا الفصل مثال لكتابة في
تاريخ الدول .

ولما انهزم المصريون والفرنج من أسد الدين بالباين سار إلى نهر الإسكندرية ،
وجي ما في طريقه من القرايا والنواد من الأموال ، ووصل إلى الإسكندرية ،
فتسلحها بدون قتال ، سلبها أهلها إليه . فاستتاب بها صلاح الدين ابن أخيه ، وعاد
إلى الصعيد ، فملكه ، وجي أمواله ، وأقام بها حتى صار شهر رمضان . وأما
المصريون والفرنج فأنهم عادوا إلى القاهرة ، وجمعوا أصحابهم ، وأقاموا عوض
من قتل منهم ، واستكثروا وحشدوا وساروا إلى الإسكندرية — وبها صلاح
الدين — في عسكر يمنعونها منهم ، فقد أعانهم أهلها خوفا من الفرنج ، فاشتد
الحصار ، وقل الطعام بالبلد ، فصير أهله على ذلك .

ثم إن أسد الدين سار من الصعيد نحوهم — وكان شاور قد أسد بعض من
معه من التركان — ووصلته رسل المصريين والفرنج يطلبون الصلح ، وبذلوا له
خمين ألف دينار سوى ما أخذوه من البلاد ، فأجابهم إلى ذلك ، وشرط أن
الفرنج لا يقيمون بمصر ولا يتسلحون منها قرية واحدة ، وأن الإسكندرية تعاد
إلى المصريين ، فأجابوا إلى ذلك ، واصطلحوا ، وعاد إلى الشام ، فوصل دمشق

(١) تحفي الأستاذ عبد القادر أحمد طليبات ، القاهرة ١٩٦٣

ثامن عشر ذى القعدة ، وتسلم المصريون الإسكندرية في النصف من شوال .

وأما الفرنج فاتهم استقريتهم وبين المصريين ، أن يكون لهم بالقاهرة شحنة ،
وتكون أبوابها بيد فرسانهم ، ليمتصع الملك العادل نور الدين من إنفاذ عسكر
إليهم ، ويكون الفرنج من دخل مصر كل سنة مائة ألف دينار . هذا جميعه يجرى
بين الفرنج وشاور . وأما العاضد صاحب مصر ، فليس له من الأمر شيء ،
ولا يعلم بشيء من ذلك ، قد حكم شاور عليه وحجه . وعاد الفرنج الى بلادهم ،
وتركوا جماعة من فرسانهم ومشاهير أعيانهم بمصر والقاهرة على القاعدة المذكورة .

ثم ان الكامل شجاع بن شاور راسل الملك العادل نور الدين مع شهاب الدين
محمود الحارثى — وهو من أكابر أمراءه ، وعال صلاح الدين يوسف — ينهى
محبه وولاءه ، ويسأله أن يأمره باصلاح الحال وجمع الكلمة بمصر على طاعته ،
وبجمع كلمة الإسلام ، وبذلك مالا يحمله كل سنة ، فأجابته الى ذلك ، وحملوا الى
نور الدين مالا جزيلا ، فبقى الأمر على ذلك الى أن قصد الفرنج مصر لتخليتها ،
فكان ما تذكره إن شاء الله تعالى ، (١) .

فصل في ذكر قصد الوفرنج نزع الولاية من مصرها الله تعالى (تقلا من كتاب
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (٢) .

وذلك أن الأفرنج — خزلهم الله تعالى — لما علوا تغيرات الأحوال بالديار
المصرية ، وتقلبات الدول بها داخلهم الطمع في البلاد ، وجردوا عساكرهم في
البحر ، وكانوا في سبائة قطعة ما بين شينى وطراة وبطسة وغير ذلك ، وكانوا

(١) الباهر ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ (حوادث سنة ٥٦٢ هـ)

(٢) تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٤

في ثلاثين ألفاً على ما ذكر ، ولما زلزال الثغر الحروب ، وذلك في سنة سبعين ، فأمده السلطان بالجنود في السابع منه من هذه السنة ، وهي سنة سبعين ، فأمده السلطان بالجنود المنصورة ، وتحرك ، وأدخل الله في قلوبهم من الخوف والتردد ما يغضبهم الله ، معه ، وعادوا خائنين خاسرين بعد أن ضايقوا الثغر ، وزحفوا عليه ثلاثة أيام ، وقاتلوه قتالاً شديداً ، وعصمه الله منهم .

ولما أحسوا بحركة السلطان نحوهم ما لبثوا أن خلفوا مناجيهم وراءهم وآلهم ، فخرج أهل البلد إلى نهبها وإحراقها . وكان من أعظم النعم من الله تعالى على المسلمين وأمانة كل سعادة ونجاح لله الحمد والمنة .

وأما نور الدين - رحمه الله - فإنه خلف ولده الملك الصالح إسماعيل وكان بدمشق ، وكان قلعة حلب ابن الدية شمس الدين على وشاذ بخت ، وكان على قد حدث نفسه بأمر ، فسار الملك الصالح من دمشق إلى حلب . فوصل ظاهرها ثاني المحرم ومعه سابق الدين ، فخرج بدر الدين حسن اللقاء ، فقبض عليه سابق الدين ، ولما دخل الملك الصالح القلعة قبض على شمس الدين وأخيه حسن ، وأودع الثلاثة السجن ، وفي ذلك اليوم قتل ابن الخشاب أبو الفضل لفتنة جرت بحلب ، ذكروا أنه قتل قبل إمساك أولاد الديات يوم ، لأنهم تولوا ذلك (١) .

(٦)

الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس بن عبوس بن زيري

فصل في تسليم الأمير عبد الله ونهب أمواله
(من مذكرات الأمير عبد الله (١))

«ولما لقيناه (أي يوسف بن تاشفين) سر بذلك ، وأقسم لنا على الأمان في أنفسنا وأهلنا ، ولنا منه المراجعة والكرامة ما بقي ، ثم أشار على قروور بالتربيع علينا إلى أن يثبت خبرنا ، ويقف على أموالنا .

فانتدب قبل ذلك أهل دولتنا ، يطلب كل واحد منهم أن تودع عنده شيئا ، فلم نفعل ، وقلت في نفسي : هؤلاء يطلبون ما يتزودون به ، وليس ذلك شفقة منهم علي ولا ليس نخلي من دفع ذلك إليهم من وجيبين : إما فاسق يستأثر به هوني ، فيكون حشرتنا في نفسي ، ولا نقيت بها عن وجبي ، وإما متبذل يبعضه ، يحمله إلى الأمير لينتهي به ما يبق له ، وعند ذلك نفتضح عنده ، ولا يقبل لي صرفا ولا عدلا ، وربما يحتق علي ، فيؤذيني بعد الأمان ، مع جهم في المال . وإنه لا شيء أرجو به بعد الله التغرب إليهم إلا بالأموال ، ولو أمكنتي أن أزيد فيها ، فتملا أعينهم ! وأنا لا أبتغي إلا العيش لحاضنة نفسي وأهلي . وقد خفف الله عني بقلة العيال ، ولاخير في الغرر بما لا أدري إن بقي معي ، مع اختلاطه وكثرة شبهاته : وكثرة المال إنما يحتاج للملكة والاجتهاد . فالآن وقد أراح الله ذلك عني ، ولم يبق الا طلب السلامة بحاشاة النفس ، وهي غيمة في مثل هذا الوقت الحاد !

فخرجت إلى الرجل بعد ثقاف القصر ، ولا خوف عليه ذلك الوقت ، إذ

كان الناس بين بأس وطمع في الرجوع ، فلا جرة من أحد في اعتراض شيء من ساقنا . ولما أنزلت بتولى قروور للأمر ، جعل الحرص على الحياء ، وأمر بطرد الداخل والخارج ، وحيل بيننا وبين صيدنا وصنائعنا : كل يفتش عليه ويبحث على ماله من مال كسبه في ولايتنا . ثم أتانا الفقيه ابن سعيدون من عند أمير المسلمين ، يقول : « أحضر الأموال والأزمة بها ! فإن مؤملا قد أخبره أنه ليس عندك درهم إلا برعام وذكر » . فقلت له : « نعم كان ذلك ، قد تركته في داري ، فإن أباح لي المسير بنفسى لاستخراج الكل ، وإلا فهذه أرى » ، تتولى ذلك مع نقاء حتى لا يغادركم منه خيط » .

وكان ، عند خروجي ، قد وقع في نفسى من خوف الثقاف ما خشيت القرعة منها إن تركتها في القصر ، فخرجت معها ، ولم التفت إلى ما سواها ، وأنا مع ذلك في حيرة لا أدري لما يصير أمرى . قد أشرب قلبى من الخوف والجزع ما لم أعده قط ، ولا كلن فيه عزاء . فإن الأمور التى ينبغى لها الاستئذان والصبر ما كان من أمر دون أمر ؛ وإن جل خطب ، يرجى في غيره الراحة ، وبعض الشر أهون من بعض ، وإنما هذه النصبة لم يكن لها عزاء ولا استراحة إلى أمل ورجاء ليس ، إلا بحيث يحسب . فأذهلنى ذلك عن كل ما لي فيه صلاح من قدمة النظر في مال أو غيره ، بل ، كالت نفسى أكد على ، لم تعمل حساب من يعيش ، لا سيما لم يمر عليه قبل ذلك محنة ، ولا أكره الدهر برزية . فباعت جملة أبيته ، وغانت القياس ، وحادت عن سبيل المعهود .

وقد كان أرسل إلى قروور يطلب خط يدى بإسلام المدينة وإخراج من لي فيها من الحشم . فبادرت على المقام ، إذ الالتواء عن ذلك بما لا ينفع ، ولو قلت ، لكان ذلك زيادة في الموان ، ولم يند شيئا ، وأنا قد حصلت في التبعة (١) .

(٧)

أبو مروان جباله بن خلف المعروف بابن جباله

ذكر قنطرة نهر قرطبة من أمراء سنة ٣٦٠ من سني خلافة الحكم المستنصر
(نقل من كتاب المختصر في أخبار بلاد الأندلس) (١).

« وفي يوم الأربعاء خمس خلون من ذي القعدة منها ابتدئ بعمل سد بحكم
الصناعة ، قرب المونة من منابت شجر الشعراء المجتلبة من شخ جبال قرطبة ،
مشقف بهم الجداول والرمل ، ملام بحر الطفل بحاشية النهر الأعظم بقرطبة ،
لصق الجسر ليدفع جرية الماء بالجهة كما يكتشف عن الأرجل هناك التي أثر فيها
الماء على تطاول الأمد ، فكشط جيبها وخوف من وهيا ، وتوكل نظر الخليفة
بتداركها وإعجال جلائها ، فتم حفر الماء عنها ، وشرع في رفعها وتسويتها . . . »

« والنصف من ذي الحجة منها تم عمل سد المنعة المقنود أسفل نهر قرطبة وفي
الشرق منها الذي عوفي لإقامته هناك لرفع جريان الماء عن أصول أرجل الحنايا
التي ظهر وهيا من أرجل القنطرة ، واقتلعت حجارة قننوات الرعي المصافة
لرصيف يفرق القنطرة كي يستحيل الماء عن الأرجل ، فيتمكن من التوصل إلى
اصلاح أسسها وتقوية ضلعها ، فشرعت في ذلك أبدا الفعلة في هذا الوقت في
تحصين تلك الأرجل وتقويتها بتوازيك الخشب الجسام وأوتاد الحديد التخان
الوثائق والصخر المجرب من المقطع في نهاية الصلابة والصنم المكثرة من ملاط
الكبس المظاهر باقمان الصنع ، وجعل الخليفة المستنصر بالله ينساب مكانه في

(١) جزء من المختصر يشتمل على أحداث السنين الحجة من ٣٦٠ إلى ٣٦٤ من خلافة
الحكم المستنصر ، نشره الأستاذ عبد الرحمن علي الحجي ، بيروت ١٩٦٥ .

الأوقات بنفسه ، وينظر إليه يمينه مؤكدا على المتولين التنظر فيه ، التماسا للإقرار
 خدمه ، ومن معهم من رؤساء كتابه ، ولما لم يزل إلى المكان أوقف إلى السطح
 فوق باب السدة من قصر قرطبة المشرف عليه ، فكان كالتشاهد له قربه منه ، فينبو
 القعود هناك متأملا القمل ، مشجرا فيه برأيه ، مؤكدا على النعمة في تمجيده قبل
 هجوم الشتاء ، نظرا للناس ، واعتبالا بمصالحهم ، فيذكر العمل وتبدو المعونة .
 ودخلت سنة إحدى وستين وثلاثمائة والنظرفي قطرة قرطبة التي هي أم قرطبة
 المرضعة ، ومقهي سبلها المتشعبة ، وجماع معاشها المختلفة ، وفلاذة جيدها المزدنية ،
 عليها مبابيا المعجزة ، قد زاد توكدا ، وتضاعف توقدا لأقتراب فصل الشتاء
 الذي قد أطل ، واحتبال الخليفة بها الذي لا يمل ، فلم يزل يملو ويستقل إلى أن كل
 بناؤه ، واستوى تحصينه ، وآمنت عاديته ، وذلك يوم الأحد لأربع بقين من
 المحرم منها ، فركب نحوه الخليفة المستعصر بالله من قصر قرطبة ، وأجاز النهر ،
 فتأمله كاملا ، وسر به وإرتضاء وأعلى شكراته على معونته عليه ، وجمعت الأيدي
 عليه ، بعد إزاحة علة القنطرة ، على جبر الحرم الذي بقى بعد القنطرة لتتمكن من
 البناء في أرجلها ، فعمل الرحي الرفيعة المائة فوقه ، فاقصل العمل فيها ، وفي نوب
 شدها ، إلى أن أحكم ذلك ، وأكمل في عقب صفر منها ، فانطلقت الرحي لاطعنها ،
 وعادت إلى أولها ، بحمد الله تعالى (١) .

ثانياً - مقتطفات من كتب الجغرافيين والرحالة

(١)

أخبار الصين والهند لجغرافي مجهول من القرن الثالث الهجري (١)

وذكر سليمان التاجر أن بخافرو وهو مجتمع التجار رجلا مسلما يوليه صاحب الصين بين المسلمين الذين يقصدون إلى تلك الناحية بتوخى ملك الصين ذلك . وإذا كان في العيد صلى بالمسلمين . وأن التجار العراقيين لا ينكرون من ولايته شيئا في أحكامه وعمله بالحق وبما في كتاب الله عز وجل وأحكام الاسلام . فأما المواضع التي يردونها ويرقون إليها فذكروا أن أكثر السفن الصينية تحمل من سيرا ، وأن المتاع تحمل من البصرة وعمان وغيرها إلى سيرا ، فيجي في السفن الصينية بسيرا وذلك لكثرة الأمواج في هذا البحر وقلة الماء في مواضع منه . والمسافة بين البصرة وسيرا في الماء مائة وعشرون فرسخا ، فإذا عبى المتاع بسيرا استعذبوا منها الماء وخطفوا — وهذه لفظة يستعملها أهل البحر : يعني يلقمون — إلى موضع يقال له مسقط ، وهو آخر عمل عمان : والمسافة من سيرا إلى نحو مائتي فرسخ . وفي شرق هذا البحر فيما بين سيرا ومسقط من البلاد سيف بنى الصفاق وجزيرة أيركاوان . وفي هذا البحر جبال عمان ، وفيها الموضع الذي يسمى الدردور وهو مضيق بين جبلين تملكه السفن الصغار ولا تملك السفن الصينية . وفيها الجبلان اللذان يقال لهما كبير وعوير وليس يظهر منهما فوق الماء إلا اليسير . فإذا جاوزنا الجبال صرنا إلى موضع يقال له صحار عمان فنتعذب الماء من مسقط من برها ، وهناك فحة غم من

(١) نشره المستشرق الفرنسي جان سولاجيه ، باريس ١٩٤٨

بلاد عمان ، فتختطف المراكب منها إلى بلاد الهند ، وقد يد إلى كرم بلل ، ولله الشكر
من مسقط إلى كرم على شهر على اعتدال الريح . وفي كرم على مساحة لبلاد كرم إلى
تجبي السفن الصينية ، وبها ماء عذب من آبار ، فيؤخذ من الصينية ألف دوق ،
ومن غيرها من السفن ما بين عشرة دنانير إلى (عشرين) دينار . وبين مسقط
وكرم على وبين هر كند نحو من شهر ، ويكولم على يستعدون الماء . ثم تختطف
المراكب — أي قلع — إلى بحر هر كند ، فإذا جاوزوه صاروا إلى موضع يقال
له لتجالوس ، لا يفسون لغة العرب ولا ما يعرفه التجار من اللغات . وهم قوم
لا يلبسون الثياب بيض كواسج . وذكروا أنهم لم يروا منهم النساء وذلك أن
رجالهم يخرجون إليهم من الجزيرة في زوارق متقورة من خشبة واحدة ، ومعهم
التارجيل ونصب السكر والموز وشراب التارجيل : وهو شراب أبيض ، فإذا
شرب ساعة يؤخذ من التارجيل فهو حلو مثل العسل ، فإذا
ترك ساعة صار شرابا ، وإن بقي أياما صار خلا . فيبيعون ذلك بالحديد ، وربما
وقع إليهم النمر اليسير فيبيعونه بقطع الحديد ، وإنما يتبايعون بالإشارة يدا يدا
إذا كانوا لا يفهمون اللغة . وهم حذاق بالسباحة ، وربما استلبوا من التجار الحديد
ولا يعطونهم شيئا .

ثم تختطف المراكب إلى موضع يقال له كلاء بار : المملكة والساحل كل يقال له
بار . وهي ملكة الزابج متباعدة عن بلاد الهند ، يجمعهم ملك ، ولباسهم القنوط :
يلبس السرى والذي منهم القنوط الواحدة . ويستعدون هناك الماء من آبار عذبة ،
وهم يؤثرون ماء الآبار على مياه العيون والمطر . . . (١) .

(٢)

كتاب فرحة النفس في تاريخ الاندلس (١) لعماد بن أبيون بن غالب

وصف كورة إشبيلية:

وهي شرق من كورة لبله وغرب من قرطبة ، كانت قاعدة من قواعد المعجم ، اتخذت دار ملكة وعجلة اختيار أوفت على النهر الأعظم ، واستقرت من البحر ، وبانت بكل خصوصية . وفازت بكل فضيلة ، وقابلت معالم مدينتها المشرقة جبل الشرف أشرف بقعة وأكرم تربة ، المغترس بالزيتون الدائم عند اخضراره ، النافر عند اعتصامه ، لا يتغير به حال ولا يهتريه اختلال ، قد أخذ في الأرض طولاً وعرضاً فراسخ في فراسخ ، ويبقى زيتها برقة وعذوبته لا يتغير طعمه ولا يتغير بطوله مكسبه فاضلاً بخاصة بقعة على غيره من الزيت ، وكذلك يبقى صلبه لا يرمل وبجالاته الأولى لا يتبدل ، وكذلك اليابس من تينها يبقى دهرًا طويلاً ، ومن فضائلها التي انفردت بها ما ثبت أرضها من عجيب قوتها الذي يحسن ويذكرها ويحم آفاق الدنيا منها ، ويجهز إلى القبر والذو وغيرها ، وكل ما استودع في أرضها واغترس في بقعتها ثما وزكا في اختبارها ، وفضل فضلائها على غيره ، حازت البر بما استقبلته من جهات ، والبحر بما اشتملت عليه خواص منافعه ، واحتوت على الزرع والضرع وكثرة الثمرات من كل الصفات ، وفضل الصيد في بر وبحر ، ولها مرافق كشيرة شتى ، ومرجها لا ينشعب صيفا ولا ينحطم ، ويتأدى كلؤه وطبا ، وبذلك يصلح تاجها وتقدم ألبان ماشيتها ، ولو كان يقتصر عليها

(١) نشرت قطعة من هذا الكتاب في مجلة معهد المخطوطات ، المجلد الأول ، الجزء الثاني ، نوفمبر ١٩٥٥ ، تحقيق الدكتور لطفى عبد الباق .

بالمسارح أهل الأندلس لاتسمعت لهم ، وهي من السواحل التي يحسن فيها نصب
السكر ، ومسافة ما بين اشبيلية وقرطبة تسعون ميلا ، ولكورة لإشبيلية من
الأقاليم إقليم المدينة ، وإقليم ألبه ، وإقليم البصل ، وإقليم طالقنة ، وإقليم الشرف
وإقليم الوادي ، وإقليم الفحص ، وإقليم طشانة ، وإقليم قطرمانية ، وإقليم المسير
إلى غير ذلك ، (١) .

(١) قطعة من فرحة الأندلس ، من ٢٣ و ٢٤ .

(٢)

وصفت مصر انفساط من كتاب سفر نامة للرملة، مصر سنة ١٢٤٠ وعلوي

« بمصر بيوت مكونة من أربع عشرة طبقة ، وبيوت من سبع طبقات ،
وسمعت من ثقات أن شخصاً غرس حديقة على سطح بيت من سبعة أدوار وحمل،
إليها عجلاً رباه فيها حتى كبر ، ونصب فيها ساقية كان هذا الثور يديرها ويرفع
الماء إلى الحديقة من البئر . وزرع على هذا السطح شجر التارنج والموز وغيرهما .
وقد أثمرت كلها ، كما زرع فيها الورد والريحان وأنواع الزهور الأخرى .
وسمعت من تاجر ثمة أن بمصر دوراً كثيرة فيها حجرات للاستغلال أى للإيجار
ومساحتها ثلاثون ذراعاً في ثلاثين ، وتسع ثلاثمائة وخمسين شخصاً ، وهناك
أسواق وشوارع تضاء فيها القناديل دائماً ، لأن الضوء لا يصل إلى أرضها ،
ويسير فيها الناس .

وفي مصر سبعة جوامع ، خير جوامع القاهرة ، والمدنيتان متصلتان . وفيهما
معا خمسة عشرة جامعاً وذلك لتلقى خطبة الجمعة والصلاة في كل حى منهما ، وفي
وسط سوق مصر جامع يسمى « باب الجوامع » شيدته عمرو بن العاص أيام
إمارته على مصر من قبل عمر بن الخطاب . وهذا المسجد قائم على أربعائة عمود
من الرخام ، والجدار الذى عليه المحراب مغطى كله بالرخام الأبيض التى
كتب القرآن عليها بخط جميل . ويحيط بالمسجد من جهاته الأربع الأسواق ،
وعليها تفتح أبوابه ، ويقام بهذا المسجد المدرسون والمقرئون . وهو مكان
اجتماع سكان المدينة الكبيرة ، ولا يقل من فيه فى أى وقت عن خمسة آلاف ،
من طلاب العلم والقرباء والكتاب الذين يحضرون الصلوات والعقود وغيرها :

(١) ناصر خسرو علوى ، سفر نامة ، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٤٠ .

وقد اشترى الحاكم بأمر الله هذا المسجد من أبناء عمرو بن العاص ، وكانوا قد ذهبوا إليه وقالوا : نحن فقراء معوزون ، وقد بنى جدنا هذا المسجد ، فإذا أذن السلطان يهدمه ونبيع أحجاره ولبنانه ، فاشتراه الحاكم بمائة ألف دينار وأشهد على ذلك كل أهل مصر ، ثم أدخل عليه عمارات كثيرة وعجيبية منها ثريا فضية لها ستة عشر جانباً ، كل جانب منها ذراع ، ونصف دائرتها أربع وعشرون ذراعاً ... (١)

(٤)

وصحف مدينة سوس من رحلة النجاشي (١)

ثم أخرجنا عن إمرقيلية يوم الجمعة ثلثي جمادى الآخرة ، فزلنا بسوسة
وهي مرحلة قريبة ، وسوسة مدينة كبيرة علم سفع جبل عال وعليها سور منيع
من الصخر يمتد البحر إليه ويضرب فيه ، وبها آثار الأول وإليها تنسب الثياب
الزرقعة الموسية ، والمسافرون يقصدونها من الآفاق ، وبها جامع للخطبة حسن
كان بناؤه في ولاية أبي العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب سنة ست
وثلاثين ومائتين على يد عادمه مدام ، وكانت بسوسة إذ ذاك قرية ، وأقرب
إلى أخيه أبو إبراهيم أحمد بن الأغلب ، فجدد سورها ، وألحقها بالمدينة ، وكان
يحمده لسورها سنة تسع وأربعين ومائتين . وبها جامعها المذكور بيت قـ كتب
فيه بخط قديم نقشا في الحجر ، القرآن كلام الله ليس بخلق ، وكتب مثل ذلك
أيضا في عهد الجامع ، وذلك كله تنبيه على مذهب أهل السنة وتثبيت له بسبب
كثرة ما كان بها وبجميع بلاد إفريقية في القديم من مذاهب المنحرفة عن المذهب
السني ثم ما كان بها منها في زمن ملك الروافض لحسان ثم في زمن تغلب
الخوارج عليها .

ومن سوسة هذه ركب أسد بن الفرات البصراني إلى حقلية سنة اثنى عشرة
ومائتين ، فافتتح كثيرا من معاقلها وتغلب على كثير من معتنها ، ومات في العام
الذي يليه وهو محاصر لها ، قالوا ونزل الروم على سوسة في الزمن القديم في ثلاثين
الف مقاتل ، فبلغ ذلك معاوية بن حديج السكوني ، وقيل النجاشي ، وقيل الكندي ،

(١) تحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب ، تونس ١٩٥٨

قال أبو عمر بن عبد البر والصواب، إن شاء الله السكون . وخذناه الرشاشي ،
وقال إذا كان سكوتيا فهو تيجي وكندى . وكان مساوية لنا وإيا على إثريفة من
قبل عمرو بن العاص . فبعث عبد الله بن الزبير إلى سوسة في جمع كثيف ليحميها .
فتوجه عبد الله ونزل بجمعه على شرف عاليته وبينها اثنا عشر ميلا أو نحوها . فلما
علم الروم بوصولهم دفعوا جميع سفنهم إلى شاطئ البحر وأزمعوا الارتحال ،
فوصل عبد الله بجمعه من الغد حتى انتهى إلى سور المدينة . ثم نزل عن فرسه .
وقام يصلي بالناس بعض الصلوات الحاضرة . فجعل الروم يتعجبون من إقدامه
وقلة أكرانه بهم ، فأخرجوا له جمعا من حاتمهم فزحفوا إليه وهو مقبل على
صلاته لا يهوله ذلك ، حتى إذا قضى صلاته وكب فركبه وحمل عليهم ، فأنكشوا عنه
وولوا أبوابهم ، فصعدوا إلى مراكمهم . وأفلحوا إلى بلادهم (١) .

مراجع الكتاب

مراجع الكتاب

- ١- ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاى): كتاب الحلة السراء ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- ٢- . . . المعجم فى أصحاب الإمام أبى على الصدفى ، مجلد ٤ من المكتبة العربية الاسبانية ، تحقيق كوديرة ، مدريد ، ١٨٨٥ .
- ٣- . . . كتاب التكملة لكتاب الصلة . جزآن ، تحقيق كوديرة ، مدريد ، ١٨٨٧ - ١٨٨٩ .
- ٤- ابراهيم (دكتور عبد اللطيف) : وثيقة السلطان قايتباى ، من بحوث المؤتمر الثالث للآثار فى البلاد العربية بفاس ، القاهرة ، ١٩٦١
- ٥- ابراهيم (الاستاذ محمد أبو الفضل) مقدمة كتاب « تاريخ الرسل والملوكة » لمحمد بن جرير الطبرى ، مجموعة ذخائر العرب ، القاهرة ، ١٩٦٠
- ٦- أنكن (هيو) : دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية ، ترجمة الدكتور محمود زايد ، بيروت ، ١٩٦٣ .
- ٧- ابن الاثير (على بن أحمد بن أبى الكرم) : كتاب الكامل فى التاريخ ، القاهرة ، ١٣٤٨ .
- ٨- . . . التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية . تحقيق الاستاذ عبد القادر أحمد طليعات ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- ٩- أحمد (الاستاذ نفيس) : جهود المسلمين فى الجغرافية . ترجمة الاستاذ فتحى ميمان ، مجموعة الآلاف كتاب ، عدد ٢٧٣ .

- ١٠ — الإدريسي (الشريف أبو عبد الله محمد بن العزيز): صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ، مأخوذة من كتاب نزعة المستاق في اختراق الآفاق . نشره دوزي ودی غوفه ، لندن ، ١٨٩٣ ،
والقسم الخاص بالشام ، تحقيق جيلد ميستر ، بون ، ١٨٨٥
- ١١ — الأزرق (أبو الوليد محمد بن عبد الله) : كتاب أخبار مكة ، جزآن .
الأستاذ رشدي الصالح ملخص ، مكة ، ١٣٥٢ هـ
- ١٢ — أسامة بن منقذ (مؤيد الدولة أبو مظفر) : كتاب الاعتبار ، تحقيق الدكتور فيليب حتى ، برلستون ، ١٩٣٠ .
- ١٣ — الأصبغري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي) : المسالك والممالك ، تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحيني ، القاهرة ، ١٩٦١
- ١٤ — الأصفهاني (عبد الدين أبو عبد الله محمد) . كتاب الفتح القس في الفتح القس ، تحقيق الكونت كارلو دي لاندبرج ، لندن ، ١٨٨٨ ،
وطبعة القاهرة ، تحقيق الأستاذ محمد محمود ضنيح ، أصدرته
الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥
- ١٥ — الأصفهاني (حزرة بن حسن) : تاريخ سني ملوك الأرض والأقياء ،
برلين ، ١٣٤٠ هـ
- ١٦ — الأصفهاني (أبو الفرج) : كتاب الأغاني ، طبعة بيروت ، ١٩٥٦
- ١٧ — أغايوس (محبوب بن قسطنطين الرومي) : كتاب العنوا ، تحقيق
فاريليف ، جزآن ، باريس ، ١٩٠٩

- Alarcon (Maximiliano) & García de Linarés: Los — ١٨
Documentos Arabes Diplomaticos del archivo
de la Corona de Aragon, Madrid 1940.
- ١٩ — الألوسى (الأستاذ محمود شكرى): بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب،
٣ أجزاء، القاهرة ١٩٢٥
- ٢٠ — أمين (الأستاذ أحمد): فجر الاسلام، القاهرة، ١٩٤٥
- ٢١ — : ضلع الاسلام، ج ١، القاهرة ١٩٤٦، وج ٢،
القاهرة ١٩٢٨
- Amari (Michele). Biblioteca Arabo-Sicula, Lipsia, 1857 — ٢٢
(نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع، جمعها وحققها
ميخائيل أمارى).
- ٢٣ — الأسطاسكى (يحيى بن سعيد): صلة كتاب سعيد بن بطريق، تحقيق الألب
لويس شيخو، بيروت، ١٩٠٩
- ٢٤ — أوليرى: مسائل الثقافة الاغريقية الى العرب، ترجمة الدكتور تمام
حسان، القاهرة ١٩٥٧
- ٢٥ — ابن لياس (أبو البركات محمد بن أحمد): بدائع الزهور في وقائع الدهود،
تحقيق الدكتور محمد مصطفى، الاجزاء ١-٣، القاهرة،
- ١٩٦٣/ ١٩٦٥
- Bathold: Turkestan down to the Mongol invasion, — ٢٦
London, 1928

٢٧ — بالشيا (أنخل جنتال): تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة الدكتور

حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥٥

٢٨ — Palencia (Angel González): Los Mozarabes de Toledo en

los siglos XII y XIII, vol. I, Madrid, 1926

٢٩ — ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن أحمد): كتاب الفسلة في تاريخ أئمة

الأندلس وعلاتهم ، تحقيق كوديره ، مدريد ١٨٨٢

٣٠ — ابن بطرطة (أبو عبد الله محمد الروان الطنجي): رحلة ابن بطرطة ، طبعة

صادر ، بيروت ، ١٩٦٠

٣١ — de Perceval (Caussin): Essai sur l'histoire des Arabes,

3 vols. Paris, 1847.

٣٢ — البغدادي (الخطيب): تاريخ بغداد ، القاهرة ١٩٣١ (١٤ جزءا)

٣٣ — البغدادي (عبد اللطيف): كتاب الافادة والاعتبار ، طبعة مصر ، ١٨٧٠

٣٤ — البكري (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز): معجم ما استعجم ،

تحقيق الأستاذ مصطفى السقا ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٤٥

٣٥ — : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب

الممالك والممالك تحقيق البارون دي سلان - الجزائر ١٨٥٧

إفريقية والمغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ،

تحقيق البارون دي سلان ، الجزائر ١٨٥٧

٣٦ — البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر): كتاب فتوح البلدان ، تحقيق الدكتور

صلاح الدين المنجد ، ٢ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٥٧/١٩٥٦

٣٧ — : أنساب الأشراف ، ج ١ ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله ،

القاهرة ، ١٩٥٩

٣٨ — بسير : مادة وتاريخه ، بذائرة المعارف الإسلامية ، القسم العرب ،

مجلد ٤ ، عدد ٨ ، ص ٤٧٣

٣٩ — ابن بلقين (الأمير عبد الله الزري) : مذكرات الأمير عبد الله الزري ،

المسماة بكتاب التبيين ، تحقيق الأستاذ ليفي بروفسال ، القاهرة ،

١٩٥٥ .

٤٠ — Pons Boigues (F.): Ensayo bio-bibliografico sobre los

historiadores y geografos arabigo espanoles,

Madrid, 1898.

٤١ — البيهقي (أبو بكر الصهاجي) : كتاب أخبار المهدي بن عوف ، تحقيق

الأستاذ ليفي بروفسال ، باريس ١٩٢٨ .

٤٢ — البيهقي (أبو الزحمان محمد بن أحمد الخوارزمي) : الآثار الباقية عن

القرون الخالية ، تحقيق إدوارد شاو ، لينج ، ١٩٢٣ .

٤٣ — البيهقي : كتاب المحاسن والمساوي ، القاهرة ١٩٢٥ .

٤٤ — التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد) : رحلة التجاني ، تحقيق الأستاذ

حسن حسني عبد الوهاب ، تونس ١٩٥٨ .

٤٥ — الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد) : غرر أخبار ملوك الفرس

ومعهم ، القاهرة ، زوتنجر ، باريس ١٩٥٠ .

٤٦ — Gibb (H. A. R.): Tarik's, in Enc. of Islam, Supplement,

pp 233-245, Leiden-London, 1958.

والمقالة مرفقة في الجزء العرب من دائرة المعارف الإسلامية ،

المجلد ٤ ، العدد ٨ .

٤٧ — جنب (هاملتون): دراسات في حضارة الاسلام، ترجمة الدكتور إحصان

عباس ومحمد نجم ومحمود زايد، بيروت، ١٩٦٤.

٤٨ — ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد البلسي) كتاب تذكرة بالأخبار

عن اتفاقات الأسفار، تحقيق وليم رايت، لندن، ١٩٠٧.

٤٩ — جرومان (أدولف): أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية،

الأسفار الأربعة، ترجمة الأستاذ جرومان بالاشتراك مع

الدكتور حسن إبراهيم حسن، القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٦٧.

٥٠ — Grohmann (A) : Arabic Papyri in Egyptian Library, —.

4 vols, Cairo, 1924 - 1928

٥١ — ابن جعفر (أبو الفرج قدامة) كتاب الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق

دي غوبية، الجزء السادس من المكتبة الجغرافية العربية،

لندن، ١٨٨٩.

٥٢ — الجهشيارى (أبو عبد الله محمد) كتاب الوزراء والكتب، تحقيق

الاستاذة مصطفى القا، وإبراهيم الأياري، وعبد الحفيظ

شلي، القاهرة ١٩٣٨.

٥٣ — ابن الجوزى (أبو المظفر شمس الدين يوسف بن جيزوغل): كتاب

مرآة الإيمان، طبعه شيكاغو، ١٩٠٧. وطبعة حيدر آباد

الدهلي ١٩٥٢ - ١٩٥١.

٥٤ — حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، طبعه

أسطنبول، ١٩٤١.

٥٥ - ابن جزم (أبو محمد علي بن يوسف) : معجم الأدباء العرب ، تحقيق ليلى بروفسال ، القاهرة ، ١٩٤١ ، ١٦٥٠ صفحة ، عدد ٢٥

٥٦ - حسن (دكتور حسن إبراهيم) : النظام الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٣٩ .

٥٧ - حسن (دكتور زكي محمد) : دراسات في مناهج البحث في التاريخ الإسلامي مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ١٢ ، ج ١ ، مايو ١٩٥٠

٥٨ - : : : : الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٤٥

٥٩ - حسن (دكتور علي إبراهيم) : استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ المصري الوسيط ، القاهرة ، ١٩٤٩ .

٦٠ - حسن (الأستاذ محمد عبد القى) : علم التاريخ عند العرب ، القاهرة ، ١٩٦١ .

٦١ - حسين (دكتور طه) : في الأدب الجاهلي ، القاهرة ، ١٩٢٧ .

٦٢ - حسيني (مولوى) : الادارة العربية ، ترجمة الدكتور إبراهيم أحمد العدوى القاهرة ١٩٥٨ .

٦٣ - الحيدى (أبو عبد الله محمد بن فتوح) : جذوة المقتبس في تاريخ رجال الأندلس ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

٦٤ - الميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم) : صفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض المعمار في خبر الانظار ، تحقيق ليلى بروفسال ،

القاهرة ١٩٣٧

٦٥ - : : : : القسم الخاص بوصف صقلية من كتاب الروض المعمار ، تحقيق الأستاذ أومبرتو رينيتانو ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة

٦٦ - حوراني (الأستاذ جورج فاضلو) : العرب والملاح في المحيط الهندي ،
ترجمة الدكتور يعقوب بكر ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

٦٧ - الحوفي (دكتور أحمد محمد) : الطبرى ، من سلسلة أعلام العرب ،
القاهرة ، ١٩٦٣ .

٦٨ - ابن حوقل (أبو القاسم محمد) : صورة الأرض ، طبعة بيروت ، ١٩٦٣ .

٦٩ - ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف) : قطعة من المقتبس في تاريخ
رجال الأندلس ، من عهد الأمير عبد الله ، نشرها الأب
ملشور أبطونيه ، باريس ، ١٩٣٧ ، وقطعة من المقتبس ، من
عهد الخليفة الحكم المستنصر ، تحقيق الأستاذ عبد الرحمن علي
الحجى ، بيروت ١٩٦٥ . وقطعة من المقتبس من عهد الأمير
عبد الرحمن الأوسط ، تحقيق الدكتور محمود على مكي ،
(بيروت . ١٩٦٧ / ١٩٦٨)

٧٠ - ابن خاقان (الفتح) : كتاب مطمح الانفس ومسرح الناس في ملح أهل
الأندلس ، قسنطينة ، ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م)

٧١ - الحشنى (محمد بن حارث) : تاريخ قضاة قرطبة . تحقيق دون خليان
رييرا ، مدريد ، ١٩١٤

٧٢ - ابن الخطيب (لسان الدين) : كتاب أعمال الاعلام فيمن بويغ قبل
الاحتلام من ملوك الاسلام ، (القسم الخاص بالأندلس)
تحقيق لبقى بروفنسال . طبعة بيروت ١٩٥٦ . (والقسم
أخاص بالمغرب) تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى .
والاستاذ محمد ابراهيم الكتانى ، الدار البيضاء ، ١٩٦٤

٧٣— ابن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، تحقيق الأستاذ محمد عبدالله.

عنان، القاهرة ١٩٦٦. وطبعة مصر، ١٣١٩ هـ.

٧٤— : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، بحرمة رسالة، جمعها

وحققها الدكتور أحمد مختار المبادئ، الاسكندرية، ١٩٥٨.

٧٥— ابن خلدون (عبد الرحمن): كتاب العبر، المقدمة، تحقيق الدكتور علي

عبد الواحد وافي، ٤ أجزاء، القاهرة، ١٩٥٧.

٧٦— : كتاب العبر، طبعة بيروت، ١٩٦٥.

٧٧— : التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، تحقيق الأستاذ

محمد بن تاوريت الطنجي، القاهرة، ١٩٥١.

٧٨— Jimenez (Manuel Ocana): La Inscripcion fundacional

de la Mezquita de Ibn Adabdas en Sevilla, al Andalus,

vol XII, fasc. I, 1947

٧٩— ابن الدلائل (أبو العباس أحمد بن عمر بن أسلم العنزي): نصوص عن

الاندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتوزيع الآثار، والبستان

في غرائب البلدان، والمسالك إلى جميع الملوك، تحقيق الدكتور

عبد العزيز الأهواني، مدريد، ١٩٦٥.

٨٠— النعمري: حياة الحيوان الكبرى، القاهرة، ١٩٤٤.

٨١— الدوري: (دكتور عبد العزيز): بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب،

بيروت، ١٩٦٠.

٨٢— ديومينا، (جود فروا) : النظم الاسلاميه ، ترجمة الدكتور ريمييل السامح ،

والدكتور صالح الشماخ ، بيروت ، ١٩٦١

٨٣— ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر) : الأعلاني النفيسة ، طبعة السامح ،

المكتبة الجغرافية العربية ، تحقيق دى غوية : لبنان ، ١٩٩٢

٨٤— روزنتال (فرانز) : علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور صالح أحمد

العل ، بغداد ، ١٩٦٣

Recueil des Historiens des Croisades : Historiens — ٨٥
Orientaux, Paris, 1884

Rios (Azador de los) Inscripciones arabes de Sevilla, — ٨٦
Madrid, 1875

• • : Inscripciones arabes de Cordoba, Madrid 1879

• • : Epigrafia Arabe : Capiteles con inscripciones — ٨٧
descubiertos en Cordoba, Revista de Archivos, 1898

٨٨— ابن أبي زرع القاسي : كتاب الأليس المطرب بروض القراطس في أخبار

ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تحقيق تورنبرج ، أبالة ،

• ١٨٤٣

٨٩— الزبيرى (المصعب بن عبد الله) : نسب قریش ، تحقيق لى بروفنسال ،

القاهرة ، ١٩٥٣

٩٠— زيادة (دكتور محمد مصطفى) : المذرخون في مصر في القرن الخامس

عشر الميلادى ، القاهرة ، ١٩٤٩

- ٩١ — زيادة (دكتور نقولا) الرحالة العرب، القاهرة ١٩٥٦
- ٩٢ — د . د . د : الجغرافية والرحلات عند العرب، بيروت ١٩٦٢
- ٩٣ — سالم (دكتور السيد عبد العزيز): المآذن المصرية، نظرة عامة عن أصلها وتطورها، القاهرة ١٩٥٩
- ٩٤ — د . د . د : المغرب الكبير، ج ٢: المغرب الإسلامي، الاسكندرية ١٩٦٦
- ٩٥ — د . د . د : تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، الاسكندرية ١٩٦١
- ٩٦ — د . د . د : دراسات في تاريخ العرب، ج ١، عصر ما قبل الاسلام، الاسكندرية ١٩٦٧
- ٩٧ — د . د . د : طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي الاسكندرية ١٩٦٧
- ٩٨ — السخاوى (محمد بن عبد الرحمن بن محمد): الاعلان بالتاريخ لمن ذم أهل التاريخ . نص لشره روزنثال، في كتابه علم التاريخ عند المسلمين .
- ٩٩ — السخاوى (محمد بن عبد الرحمن بن محمد): كتاب التبر المحبوك في ذيل السلوك . بولاق ١٨٩٦
- ١٠٠ — Sobernheim (M): Corpus Inscriptionum Arabicarum, XXV, 1909
- ١٠١ — ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد): الطبقات الكبرى، طبعة لندن،

تحقيق الدكتور سترستين ، ١٣٢٢ هـ (١٩٠٥ م)

١٠٢ — ابن سعيد (أبو الحسن علي الأندلسي): المغرب في حلى المغرب ، الجزء

الأول من القسم الخاص بصر ، تحقيق الدكتور زكي محمد حسن

وشوقي ضيف ومسيده كاشف ، القاهرة ، ١٩٥٢

١٠٣ — السموودي (جمال الدين أبو المحاسن عبد الله): كتاب وفاء الوفا بأخبار

دار المصطفى ، طبعة مصر ، جزآن ، ١٣٢٦ هـ

Sauvaget (Jean) : Introduction à l'histoire de l'Orient — ١٠٤
musulman, Paris, 1928

Sauvaget (Jean) : Relation de la Chine et de l'Inde — ١٠٥
Paris, 1948.

١٠٦ — السيوطي (جلال الدين): المزه في علوم اللغة ، شرح الأستاذ محمد أحمد

جماد المولى وآخرين .

١٠٧ — السيوطي (جلال الدين): بغية الوعاة ، القاهرة ، ١٣٢٦ هـ

١٠٨ — ابن الشحنة الحلبي (أبو الوليد محمد الدين محمد): كتاب البدر المنتخب في

تاريخ مملكة حلب ، نشرة الأستاذ يوسف مريكي ،

بيروت ، ١٩٠٩

١٠٩ — ابن شداد الحلبي: الأعلام الخطيرة في ذكر أعلام الشام والجزيرة ،

تحقيق الدكتور سامي الدهان ، دمشق ، ١٩٦٢

١١٠ — ابن شداد (أبو المحاسن يوسف بن رافع): النوادر السلطانية والمحاسن

اليوسفية ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة

- ١١١ — الشريف (الاستاذ أحمد إبراهيم) : مكة والمدينة في الجاهلية ونحصر
الرسول ، القاهرة ١٩٦٧
- ١١٢ — الشيزرى (عبد الرحمن بن نصر) : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق
الاستاذ السيد الباز العربي ، القاهرة ، ١٩٤٦
- ١١٣ — شايد (جوردون) : التاريخ ، ترجمة الاستاذ عدلى برسوم عبد الملك ،
القاهرة ١٩٥٨
- ١١٤ — الشيال (دكتور جمال الدين) : التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن
التاسع عشر ، المكتبة التاريخية ، عدد ٣ ، القاهرة ، ١٩٥٨
- ١١٥ — el-Shayyal (G) : a history of Egyptian historiography
in the 19th Century, Alexandria, 1962
- ١١٦ — الصالح (دكتور صبحي) : مباحث في علوم القرآن ، دمشق ، ١٩٦٢
- ١١٧ — صالح بن يحيى : تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحريين من بني الغرب ،
نشره الآب لويس شيخو اليسوعي ، بيروت ، ١٨٩٨
- ١١٨ — ابن صاحب الصلاة (عبد الملك بن أحمد الباجي) : تاريخ المن بالإمامة على
المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، تحقيق
الاستاذ عبد الهادي التازي ، بيروت ، ١٩٦٤
- ١١٩ — الصولى (أبو بكر محمد بن يحيى) : أدب الكتاب ، تحقيق الاستاذ محمد
هبة الأثرى القاهرة ١٩٤١ •
- ١٢٠ — الضبي (أبو جعفر أحمد) : بقية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس ،
تحقيق كوديعة ، مدريد ، ١٨٨٥ •

١٢١ — ابن طباطبا (محمد بن علي) : كتاب الفخرى في الآداب السلطانية ، بيروت ،

١٩٦٠

١٢٢ — القابري (محمد بن جرير) : تاريخ الرسل والملوك . تحقيق دى غوية ،

لندن ١٨٨١ — ١٨٨٢

١٢٣ — طليحات (الأستاذ عبد القادر أحمد) : المؤرخ ابن الأثير ، بحث مقدم

لنيل درجة الدكتوراة في الآداب من جامعة عين شمس في

١٩٦٧/٧/٨

١٢٤ — العبادي (الأستاذ عبد الحميد) : التاريخ عند العرب ، فصل مضاف إلى

كتاب علم التاريخ لهرشو

١٢٥ — العبادي (دكتور أحمد مختار) . مؤلفات لسان الدين بن الخطيب في

المغرب ، مقال في مجله هسبيريس ، عدد ٣ ، ٤ ، ١٩٥٩

١٢٦ — . . : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، صحيفة معهد

الدراسات الإسلامية بمدريد ، ١٩٥٧

١٢٧ — عبد البديع (دكتور أحمد لطفي) : الإسلام في إسبانيا ، المكتبة التاريخية ،

العدد الثاني ، القاهرة ، ١٩٥٨

١٢٨ — ابن عبد الحق البغدادي (صفي الدين عبد المؤمن) : كتاب مرصد الإطلاع

في أسماء الأمكنة والباقاع ، طبعة جوينبل ، ٤

أجزاء ، لندن ، ١٨٥٣

١٢٩ — ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله القرشي) : كتاب فتوح مصر

والمغرب والأندلس ، تحقيق الأستاذ عبد المنعم عامر ،

القاهرة، ١٩٦١

١٣٠- عبد الحميد (دكتور سعد زغلول) : فتح العرب للغرب بين الحقيقة

التاريخية والأسطورة الشعبية ، دراسة ونقد لمخطوط فتوح

مدينة إفريقية ، من مخطوطات الواقدي بالمتحف البريطاني ، مجلة

كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، مجلد ١٦ ، الاسكندرية ١٩٦٢

١٣١- : ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها الجغرافيون

والرحالة المغاربة في القرنين السادس والسابع الهجري ، مجلة

كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، مجلد ٨ ، ١٩٥٤

١٣٢- عبدالوهاب (الاستاذ حسن) : الاسكندرية في العصر الاسلامي ، مجلة

الكتاب ، يناير ، ١٩٤٧

١٣٣- ابن العبري (أبو الفرج جرجوريوس بن هارون الملقب) : تاريخ مختصر

الدول ، تحقيق الأب أنطون صالحاني اليسوعي ، بيروت ،

١٨٩٠

١٣٤- ابن العديم الحلبي (كمال الدين أبو القاسم عمر) : كتاب زبدة الحلب من

تاريخ حلب ، الدكتور سامي الدعان ، دمشق ، ١٩٥١

١٣٥- ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار المغرب ، ج ٢ ، بيروت ،

١٩٥٠

١٣٦- عريب بن سعد : صلة تاريخ الطبري ، تحقيق دى غوية ، لندن ،

١٨٩٧

١٣٧ - علي (دكتور جواد) : تاريخ العرب قبل الاسلام ٨٠ أجزاء ،

بغداد ، ١٩٥٠ - ١٩٥٩

١٣٨ - عمارة النيني (أبو الحسن نجم الدين) : كتاب النكت المصرية في أخبار

الوزارة المصرية ، طبعة درتيج ، باريس ، ١٨٩٧

١٣٩ - العمري (شهاب الدين بن فضل الله) : كتاب مسائلك الإخبار في ممالك

الأممجار ، قطعه في وصف افريقية والمغرب والاندلس ، تحقيق

الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب ، نشره بتونس ، من

مطبوعات مجلة البدر

١٤٠ - عنان (الاستاذ محمد بن عبد الله) : مصر الاسلامية وتاريخ الخطط

المصرية ، القاهرة ، ١٩٣١

١٤١ - ابن غالب (محمد بن أيوب الاندلسي) : قطعة من كتاب فرحة الأنفس في

تاريخ الاندلس ، تحقيق الدكتور لطفي عيد البديع ، مجلة

المخطوطات العربية ، القاهرة ، ١٩٥٦

١٤٢ - العاسي (أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد) : كتاب شفاء الغرام

بأخبار البلد الحرام ، جزآن ، القاهرة ، ١٩٥٦

١٤٣ - ابن الفرات (ناصر الدين محمد عبد الرحيم) : تاريخ ابن الفرات ، تحقيق

الدكتور قسطنطين زريق ، مجلد ٩ ، ج ٢ ، بيروت ، ١٩٣٨

١٤٤ - ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله) : تاريخ علماء الاندلس ، جزآن ،

تحقيق كوديرة ، مدريد ، ١٨٩١

١٤٥ - فروخ (دكتور عمر) : تاريخ الجاهلية ، بيروت ، ١٩٦٤

١٤٦ - فتشلى (واتر) : نشاط ابن خلدون في عصر المماليكية ، مقال في
دراسات اسلامية و ترجمة الدكتور أنيس فريجة وآخرين ،
بيروت ، ١٩٦٠ .

١٤٧ - فهمي (دكتور عبد الرحمن) : فجر السكة العربية ، من مجموعات متحف
الفن الاسلامي ، القاهرة ، ١٩٦٥

١٤٨ - : صنع السكة في فجر الاسلام ، القاهرة ، ١٩٥٧

١٤٩ - : الشارات المسيحية والرموز القبطية على السكة
الاسلامية ، محاضرة في المؤتمر الثالث الأثري في البلاد العربية بفاس ،
القاهرة ، ١٩٦١

١٥٠ - : النقود العربية ، ماضيها وحاضرها ، المكتبة الثقافية ،
عدد ١٠٣ ، القاهرة ، ١٩٦٤

Fahmy (Dr. Aly Moh) : Muslim sea power in the - ١٥١
eastern Mediterranean, Cairo, 1966

Van Berchem (Max.) : Matériaux pour un Corpus - ١٥٢
Inscriptionum Arabicarum, L'Egypte, t. 19, 1894.

Matériaux pour un C. I A : - ١٥٣
La Syrie du Sud, 1929.

Edmond Fatio : Voyage en - ١٥٤
Syrie, 2 Vols, dans Mémoires de l'Institut Français
d'Archéologie Orientale du Caire, t. 37, le Caire,
1914-1915.

Vidal (Ramon Revilla) : Patio arabe del Museo Arqueologico nacional de Madrid, Madrid, 1932 ١٥٥

weil : Les bois à Epigraphes, jusqu a' l'époque mame- ١٥٦
louke, catalogue général du Musée arabe de Caire, 2
vols. 1931 - 1936

Wiet (Gaston) : Une inscription d'un prince de Tripoli — ١٥٧
de la dynastie des Baou Ammar, Memorial H.Basset,
Pub. I. H. E M, t XVIII.

١٥٨ — ابن قتبية الدينوري : كتاب المعارف، القاهرة، ١٣٠٠ هـ

١٥٩ — القرآن الكريم .

١٦٠ — القزويني (زكريا بن محمد) : آثار البلاد وأخبار العباد ، جوتنجن ،

١٨٤٨ .

١٦١ — ابن القلانسي (أبو يعلى حمزة) : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ، ١٩٠٨

١٦٢ — القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي) : صبح الأعشى في صناعة الانشا

١٤ جزءا ، القاهرة ، ١٩١٣ - ١٩١٤

١٦٣ — كاشف (دكتور سيدة) : مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث

فيه ، القاهرة . ١٩٦٠

١٦٤ — د . د . د . د . : مصر في عصر الولاة ، القاهرة ، ١٩٥٨

١٦٥ — د . د . د . د . : المريد بن عبد الملك ، سلسلة اعلام العرب ، عدد ٢٧

Casto Maria del Rivero : La Moneda arabigo espanola, — ١٦٦

Madrid, 1833.

١٦٧ - الكافيجي (محيي الدين محمد بن سليمان) : اقتدر في علم التاريخ ، نشره
نشره فرات روزثال ، في كتاب علم التاريخ عند المسلمين .

Enghel (Claude) : La Syrie du Nord a l'époque des — ١٦٨
Croisades et la Principauté franque d'Antioche, Paris,
1940.

١٦٩ - الكتاب المقدس (المهد القديم)

١٧٠ - ابن كثير الدمشقي (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل) : البداية والنهاية ،
طبعة مصر ١٣٥٨

١٧١ - الكلبي (هشام بن محمد بن السائب) : كتاب الأصنام ، نشره الأستاذ
أحمد زكي ، بولاق ١٣٣٢ هـ ، صورته الدار القومية في ١٩٦٥

١٧٢ - : كتاب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها ،
تحقيق أحمد زكي باشا . القاهرة ، ١٩٤٦ .

Combe, Sauvaget, Wiet : Repertoire Chronologique — ١٧٣
d'Epigraphie Arabe, le Caire, 1931-1944.

١٧٤ - الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف) : كتاب الولاية وكتاب القضاء ، تحقيق
رفق جيت ، بيروت ١٩٨٠ .

Lavoix (H) : Catalogue des monnaies musulmanes — ١٧٥
de la Bibliothèque Nationale, 3 vols, Paris, 1987

Lévi della Vida : La traduction arabe della Storia — ١٧٦
de Orosio, al Andalus, vol XIX, 1924

Lévi - Provençal (E) : Les Historiens des Chorfa — ١٧٧.
Paris, 1922

» » : Documents inédits d'histoire — ١٧٨
almohade, Paris, 1928

» » : La Description de l'Espagne — ١٧٩
d'Ahmad al Razi, al-Andalus, vol. XVIII, fasc I, 1953.

» » : Un document Sur la vie urbaine — ١٨٠
et le corps des métiers de Séville au début du XIe
Siècle, dans, Journal Asiatique, Avril Juin, 1934

» » : Inscriptions arabes d'Espagne, — ١٨١
2 vols., Paris 1931.

١٨٢ — ليفي بروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس ، تعريب الدكتور
السيد عبد العزيز سالم ، والأستاذ محمد صلاح الدين حملي ،
القاهرة ، ١٩٥٨ .

١٨٣ — لويس (برنارد) : العرب في التاريخ ، تعريب الدكتور نبيه أمين فارس ،
والدكتور محمود يوسف زايد ، بيروت ، ١٩٥٤ .

١٨٤ — ماجد (دكتور عبد المنعم) : مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامي ، القاهرة ،
١٩٥٣ .

١٨٥ — » » : النفود الفاطمية ، مقال بحوليات كلية
الآداب جامعة عين شمس ، مايو ١٩٥٣ .

١٨٦ — » » : تاريخ الحصار الاسلامي في العصور الوسطى ،
القاهرة ، ١٩٦٣ .

١٨٧ — » » : التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج ١ ،
القاهرة ، ١٩٦٧ .

١٨٨ — الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد) : الأحكام الجبلانية ، القاهرة

• ١٢٢٨ هـ

١٨٩ — مجهول : أخبار الصين والهند ، تحقيق جان سوفاجيه ، باريس ، ١٩٤٨

١٩٠ — المراكشي (محيي الدين عبد الواحد) : الموجب في تلخيص أخبار المغرب ،

تحقيق الأستاذين محمد سعيد الريان ، ومحمد العربي العلي ،

القاهرة ، ١٩٤٩ .

١٩٠ — المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين) : مروج الذهب ومعادن

الجواهر ، طبعة الأستاذ محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٨ .

١٩١ — مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد) : كتاب تحسارب الأمم ، تحقيق

أمدروز ، القاهرة ، ١٩١٤ — ١٩١٥

١٩٢ — Margoliouth (D. S) : Lectures on Arabic Historians ,

(delivered before the University of Calcutta, February

1929) , University of Calcutta, 1930

١٩٣ — المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد) : أحسن التقاسيم في معرفة

الأقاليم ، طبعة دي غويو ، لندن ، ١٩٠٦ .

١٩٤ — المقدسي (مطر بن طاهر) : كتاب البلد والارض ، نشره كلان هوار ،

باريس ١٨٩٩ .

١٩٥ — المقرئ (أحمد بن محمد) : نفع الطبيب من غصن أندلس الرطيب ، تحقيق

الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد ، ١٠ أجزاء ، القاهرة ١٩٤٩ .

١٩٦ — المقرئ (نقي الدين أحمد) : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق الدكتور

جمال الدين الشيال ، والدكتور محمد مصطفى زيادة ،
القاهرة، ١٩٥٧ .

١٩٧ - د : شذور المعفود في ذكر القود القديمة والاسلامية ، تحقيق الطباطبائي
التجف ، ١٣٥٦ .

١٩٨ - د : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ٣ مجلدات ،
طبعة بيروت ، بيروت ١٩٥٦ .

١٩٩ - مكي (دكتور محمود علي) : التثنيغ في الاندلس ، مقال بصحيفة معهد
الدراسات الإسلامية بمديرد ، مجلد ٣ ، ١٩٥٤

Mekki (Dr Mahmud Ali) : Egipto y los origines dela — ٧٠٠
historiografia arabe espanola , Revista del. Insti-
tuta Egipcio de Estudios Islamicos de Madrid,
vol. V , fasc 1-2, Madrid, 1957 .

٢٠١ - ابن مائ (شرف الدين أبو المكارم) : كتاب قوائن الدراوين ، جمع
وتحقيق الدكتور عزيز سوريال عطية ، القاهرة ١٩٤٣

٢٠٢ - ابن منبه (وهب) : كتاب التيجان في ملوك حير . طبعة حيدر آباد
الدكن ، ١٣٤٧ هـ

٢٠٣ - مومل (الويس) : شمال الحجاز ، ترجمة الدكتور عبد المحسن الحسيني،
الاسكندرية ١٩٥٣

٢٠٤ - مومل (الدكتور حسين) : الجغرافية والجغرافيون في الاندلس من
البداية إلى الحجاز ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في
مديرد ، المجلدان ٧ ، ٨ مديرد ١٩٥٩ - ١٩٦٠ .

- ٢١٣ — هرنشو : علم التاريخ ، ترجمة الأستاذ عبد الحيد العبادي . القاهرة ١٩٣٧
- ٢١٤ — المروى (أبو الحسن علي بن أبي بكر) : كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات ، تحقيق جاتين سورديك جومين ، دمشق ، ١٩٥٣
- ٢١٥ — الواقدي : مغازي رسول الله ، القاهرة ، ١٩٤٨
- ٢١٦ — ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله) : كتاب إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب ، طبعة مرجليوث ، القاهرة ١٩١٣
- ٢١٧ — . : معجم البلدان ، خمسة مجلدات ، طبعة بيروت ، ١٩٥٥
- ٢١٨ — البقوي (أحمد بن أبي يعقوب) : كتاب البلدان ، نشره دي غويه مع الأعلام النفيسة لابن رسته ، في الجزء السابع من المكتبة الجغرافية العربية ، لندن ، ١٨٩٢ .
- ٢١٩ — البلياذي (عبد الواسع بن يحيى الواسعي) : تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، القاهرة ، ١٣٤٦ هـ
- ٢٢٠ — يوتيخوس (سعيد بن بطريق) : كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، بيروت ، ١٩٠٥ - ١٩٠٦ .

فهرس و صنوعات الكتاب

فهرس موضوعات الكتاب

الصفحة

٢

المقدمة

الباب الاول الكتابة التاريخية عند العرب الفصل الأول

علم التاريخ في افوال مؤرخى العرب

- ١ - التقويم الهجرى ١٧
- ١ - لفظه تاريخ ، لغة واصطلاحا ١٧
- ب - ادخال التقويم الهجرى ٢٠
- ٢ - آراء مؤرخى العرب فى التاريخ ٢٦
- ١ - فائدة التاريخ ٢٦
- ب - أخطاء المؤرخين العرب فى رأى ابن خلدون ٢٤
- ج - الشروط اللازم توفرها فى الكتابة التاريخية ٢٩

الفصل الثانى

نشأة علم التاريخ عند العرب

- ١ - أخبار العرب فى الجاهلية ٤١
- عبد بن ثرية الجرهمى البنى ٤٥
- وهب بن سفيان ٤٦

الصفحة

٤٨	هشام بن محمد بن السائب الكلبي
٥٠	أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي
٥١	أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الحميري
٥٢	٢ — كتاب السيرة والمغازي وبداية الكتابة التاريخية عند العرب
٥٣	١ — مدرسة التاريخ في المدينة
٥٥	الطبقة الأولى
٥٧	الطبقة الثانية
٦٠	الطبقة الثالثة
٦٦	ب — مدرسة التاريخ في البصرة
٦٧	كتاب المغازي
٦٧	كتاب التاريخ (الأنجاريون)
٧١	كتاب الأنساب

الفصل الثالث

تطور الكتابة التاريخية في العصر الإسلامي

٧٥	١ — منهج الكتابة التاريخية عند المسلمين
٨٢	١ — التأريخ الحول أو حسب السنين
٩١	ب — التأريخ حسب الموضوعات
٩١	التأريخ للدول
٩٥	التأريخ حسب الطبقات
٩٥	٢ — منهج حسب الأنساب

الصفحة	
١٧	٢ — تنوع صور المادة التاريخية
١٧	أ — التاريخ العالمى
١٠٤	ب — التاريخ المحلى
١٠٧	التاريخ المحلى الدينى
١١٩	التاريخ المحلى الدينى
١٢٤	التاريخ المعاصر والمذكرات

الباب الثانى

مصادر التاريخ الاسلامى

الفصل الرابع

المصادر الأولية

١٣٣	١ — الوثائق الرسمية والأوراق البريدية والوقيات
١٣٣	الوثائق الرسمية
١٣٦	البرديات
١٣٩	الوقيات
١٤١	أمثلة من الوثائق الرسمية
١٥١	٢ — الكتابات الآثرية أو النقوش
١٥٦	٣ — العملات أو النيات أو المسكوكات
١٦٢	٤ — الآثار المعمارية والتحف

الصفحة

الفصل الخامس

المصادر المكتوبة

- ١ — القرآن الكريم والجديد والتفسير ١٦٩
- ٢ — كتب الطبقات والانساب ١٧٧
- ٣ — كتب الجغرافية ١٨٣
- مدرسة الجغرافية العربية المتأثرة بجغرافية اليونان ١٨٥
- مدرسة الجغرافية العربية ١٨٨
- ١ — وصف أقطار العالم الاسلامي (البليخي - الاصطخري - ابن حوقل المقدسي - الادريسي) ١٨٩
- ب - الجغرافيون المتخصصون في قطر واحد (الهمداني - البكري - المهلبى - الليثوني) ١٩٤
- ج - المجامع الجغرافية (البكري - ياقوت - الحميري) ١٩٦
- د - الموسوعات العامة (التويرى - العمرى - القلقشندي) ١٩٧
- كتب الجغرافية في الأندلس والمغرب ٢٠٠
- ٤ — كتب الرحلات ٢١١
- أولاً - الرحالة المشاركة ومصنفاتهم ٢١٦
- (١) ناصر خسرو علوى ٢١٦
- (٢) الهروى ٢١٨
- (٣) عبد العزيز البغدادي ٢١٩
- ثانياً - الرحالة المأثورة ومصنفاتهم ٢٢٠

الصفحة

٢١٠	(١) ابن جبير
٢٢٢	(٢) ابن سعيد المغربي
٢٢٥	(٣) العبدري
٢٢٨	(٤) النوشريشي
٢٢٩	(٥) ابن رشيد السبتي الفهري
٢٢٩	(٦) البلي
٢٣١	(٧) أبو حامد الغرناطي
٢٣٢	(٨) ابن بطوطة
٢٣٣	(٩) التجاني
٢٣٥	٥ - الشعر العربي وكتب الأدب
٢٣٩	٦ - كتب الخراج والحسبة والخطط
٢٤٧	ملحقات
٢٤٧	أولا - مقتطفات من الكتابات التاريخية
٢٧٠	ثانيا - مقتطفات من كتب الجغرافيين والرحالة

